جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم

إعداد

إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى

إشراف

د. عـــــودة عبد الله

د. رسمية عبد القادر

قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس ـــ فلسطين

2009م

الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم

إعداد

إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 1 / 4 /2009 وأُجيزت

أعضاء لجنة المناقشة	**التوقيع**
الدكتور عودة عبد الله (مشرفاً)	....
الدكتورة رسمية عبد القادر(مشرفاً)	....
الدكتور إسماعيل نواهضة	....
الدكتور خالد علوان	....

الإهداء

إلى روح والدتي الطاهرة...

والى والدي العزيز...

وإلى زوجتي الغالية...

إلى بناتـــي وأبنائـــــي: رؤيا, أســـــــــماء, عبـــد الرحيم, أحمـــــــد فلذات الأكـــباد, وقرة العيـــــــــون...

أهدي نور هذا الإنتاج شاكراً الله العلي القدير منّه و فضله و إنعامه...

شكر وتقدير

بعد الشكر والثناء على المنعم الوهّاب, صاحب المنّة والنعم والعطايا, الذي لـــولاه لمـــا كَمُل هذا العمل, وتمّت هذه الرسالة. فله الحمد والثناء الحسن الجميل.

واعترافاً لأهل الفضل بفضلهم, وأهل الإحسان بجودهم, وعملاً بالأدب الإسلامي الرفيع الراقي بشكر المحسن على إحسانه , فاني أتقدم بجزيل الشكر وعظـــيم الامتنـــان إلـــى فـــضيلة الدكتور عودة عبد الله ــ حفظه الله ــ الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة, ولم يدّخر وســـعاً في إبداء توجيهاته القيّمة وملاحظاته السديدة, ومنحني من وقته الكثير, وكان مثـــالاً فـــي الأدب واللين واللطف , فجزاه الله خير الجزاء, ونفع به وبعلمه .

كما أتقدم بالـــــشكر الجزيل والامتنان العظيم إلى الدكتورة رسمية عبد القادر ــ حفظها الله ــ على تكرمها بالإشراف على هذه الرسالة , والتي منحتني من وقتها الكثير, ولـــم تـــدّخر جهداً في إبداء توجيهاتها القيّمة وملاحظاتها السديدة , فجزاها الله خيراً. ونفع بها وبعلمها.

وأتقدم بخالص شكري للأستاذين الفاضلين الذين تكرما بقبول مناقشة الرســـالة الـــدكتور إسماعيل نواهضة حفظه الله ونفع به, والدكتور خالد علوان حفظه الله ونفع به.

فجزاهم الله عنا كل خير

إقرار

أنا الموقع أدناه , مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص , باستثناء مـــا تمـــت الإشارة إليه حيثما ورد , وإن هذه الرسالة ككل , أو أي جزء منها لم يقدم مـــن قبـــل لنيـــل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى .

Declaration

The work provided in this thesis , unless otherwise referenced , is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:	**اسم الطالب: إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى**
Signature:	**التوقيع:**
Date:	**التاريخ:** 2009/4/1م

فهرست المحتويات

الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم

إعداد

إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى

إشراف

الدكتور عودة عبد الله والدكتورة رسمية عبد القادر

الملخص

يعد الأنبياء عليهم السلام النماذج التي يقتدي ويتأسى بها الناس , فهم منارات الهدى ومصابيح الدجى , جعل الله تعالى أقوالهم وأفعالهم محلاً للتأسي والاقتداء .

ولقد أصاب الأنبياء عليهم السلام في مواجهتهم للأحداث والوقائع كثيرٌ من الانفعالات النفسية التي تركت آثاراً في مسيرة دعوتهم, كالغضب, والخوف, والندم, واليأس, وغيرها من الانفعالات. فجاءت هذه الدراسة المتواضعة لتتناول هذه الانفعالات النفسية من منظور قرآني ودراسة شخصية الأنبياء من خلال هذه الانفعالات , ثم معرفة مدى تأثيرها على عصمتهم عليهم السلام , والقيم التربوية المستفادة منها.

فعرّفت أولاً الانفعالات عند علماء الشرع والنفس, وبيّنت أقسامها, ثم تكلمت عن بشرية الأنبياء عليهم السلام.

ثم تحدثت عن عصمة الأنبياء , وبيّنت أن الانفعالات التي حدثت لهم لم تؤثر على عصمتهم.

ثم بدأت الحديث بالتفصيل عن أبرز الانفعالات التي حدثت للأنبياء عليهم السلام, فذكرت انفعال الخوف ودلالته النفسية, والمشاهد التي ذكرها القرآن الكريم لهذا الانفعال عند الأنبياء, ثم تحدثت عن أهم القيم التربوية لهذا الانفعال.

وذكرت باقي الانفعالات التي حدثت للأنبياء في سبعة فصول وهي: انفعال الغضب والندم, واليأس, والتبسم والعبوس, والحزن, وذكرت دلالة هذه الانفعالات النفسية, والمشاهد القرآنية لها, وعرّجت على القيم التربوية والإيجابية لهذه الانفعالات.

المقدمة:

الحمد لله الذي أضحك وأبكى, وأمات وأحيا، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد الذي غضب ورضي ، وتبسم وضحك ، وعبس وبكى ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن سلك سبيلهم واهتدى بهداهم إلى يوم الدين وبعد :

فقد خلق الله تعالى الإنسان وأودع فيه عجائب قدرته , وأسرار خلقته . أودع فيه الأحاسيس والمشاعر , والغرائز والانفعالات , ليكون بها شاهداً على عظيم قدرته جل جلاله قال تعالى: { وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ }[1] , ولتكون همزة الوصل والتفاعل بينه وبين الآخرين فيتأثر أو يؤثر في الأحداث والوقائع , والمناسبات والمشاهد , فيضحك أو يبكي ، ويفرح أو يحزن ، ويرضى أو يغضب ، ويأمن أو يخاف ، ويتفاءل أو ييأس .

ولمّا كان الأنبياء عليهم السلام هم خلاصة الجنس البشري, وأنموذج العنصر الإنساني فقد تفاعلوا مع الأحداث والوقائع التي واجهوها أو واجهتهم بهذه الانفعالات والأحاسيس.

ولقد قصّ الله تعالى علينا في كتابه الكريم الكثير من الأحداث والصور والمشاهد التي واجهت الأنبياء عليهم السلام فتفاعلوا معها, وانعكست على سلوكهم وتصرفاتهم, أو على وجوههم وملامحهم.

فمن ذلك ما صوّره الله تعالى لحالة الغضب عند موسى عليه السلام حين رجع إلى قومه فوجدهم عكوفاً على العجل قائلاً: { وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِ }[2].

والغضب انفعال نفسيّ حادّ, قد ينتج عنه أمور لا تحمد عقباها. وقد بيّن القرآن الكريم أن غضب موسى عليه السلام في هذا المشهد انعكس على تصرفاته بأن {وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ} وفيها شريعة الله مكتوبة, { وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ} هارون عليه السلام { يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِ}.

---

[1] سورة الذاريات: الآية 21 .

[2] سورة الأعراف : الآية 150 .

كما حدّثنا القرآن الكريم عن انفعال نفسي آخر حصل لنبينا محمد ﷺ في مشهد وواقعة عوتب الرسول ﷺ بسببها, وهو العبوس في وجه الأعمى, قال تعالى: { عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ }[1].

والنماذج من هذه المشاهد والوقائع في القرآن الكريم كثيرة ومستفيضة .

وهذه الدراسة عبارة عن تتبعٍ لهذه المشاهد والأحداث والوقائع من القرآن الكريم والتي برز فيها انفعال الأنبياء عليهم السلام نفسياً, وانعكاس هذا الانفعال عليهم, سواء على أقوالهم وأفعالهم, أو على سلوكهم وتصرفاتهم, أو حتى على قلوبهم أو ملامح وجوههم. ثم دراسة شخصية هذا النبي أو ذاك على ضوء هذا الانفعال , وتحليل موقفه تجاه هذا الانفعال , ومن ثمّ استخلاص العبر والدروس والقيم التربوية المستفادة منها .

وإني على يقين أن البحث في هذا المجال صعبٌ وخطير , أما صعوبته فتكمن في تتبع الباحث لحياة الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم وقصصهم , ودراسة شخصياتهم على ضوء الانفعالات التي حصلت لهم من خلال بعض المواقف والمشاهد التي واكبت مسيرة حياتهم. وأما خطورته فتكمن في أن الحديث يدور حول شخصيات بشرية لكنها ليست كباقي البشر في الرتبة والمكانة والمنزلة , إنها تتحدث عن الأنبياء والمرسلين المصطفين الأخيار, الذين صنعهم الله تعالى على عينه , وزكّاهم وطهّرهم , وجعلهم محلاً للتأسي والاقتداء.

ولكن الذي يسّهل عليّ هذه الصعوبة والخطورة هو أن هذه الدراسة جاءت خدمةً لكتاب الله تعالى , ورداً على الشبهات والطعون التي أثيرت حول بعض المواقف للأنبياء عليهم السلام , ومن ثم الاستفادة من القيم التربوية لمواقف الأنبياء تجاه هذه الانفعالات .

وقد أسميت هذه الدراسة **[الانفعالات النفسيّة عند الأنبياء في القرآن الكريم]**.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم, وأن يكون فاتحةً لدراسات نفسيّة أخرى, خدمةً لكتاب الله تعالى, واستفادةً من هدي الأنبياء عليهم السلام.

---

[1] سورة عبس : الآيتان 2,1 .

الدراسات السابقة :

بعد التحرّي والبحث والتدقيق بما تيسر من مراجع وكتب, تبين لي أن هذا الموضوع لم تتم الكتابة فيه بشكل علمي مستقل, وإنما وجدت بعض الإشارات إلى ما يشبه هذا الموضوع في بعض الكتب والمراجع منها:

1 - **التصوير الفني في القرآن / الأستاذ سيد قطب**

فقد أورد فيه المؤلف فصلاً عن شخصية الأنبياء عليهم السلام بعنوان: (رسم الشخصيات في القصة)[1] , تحدث عن نبي الله موسى عليه السلام بشكل خاص , وعن بعض الانفعالات التي حصلت معه, ووصف موسى عليه السلام بأنه " نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج" [2] .

كما تحدث عن إبراهيم ويوسف عليهما السلام . إلا أن هذه الدراسة لم تُعن بذكر الانفعالات النفسية وما نتج عنها, وعن القيم التربوية منها, كما أنها اقتصرت على ذكر انفعال أو اثنين لموسى عليه السلام , كذلك لم تذكر الكثير من الأنبياء الذين حصل لهم انفعالات نفسية .

2 - **سورة يوسف دراسةٌ تحليليةٌ / الدكتور أحمد نوفل**

وقد أورد فيه المؤلف إشارات عديدة للانفعالات النفسية التي حدثت لنبي الله يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام. وذكر بعض العبر والدروس المستفادة من هذه الانفعالات , وتوجيه البعض الآخر . إلا أنه اقتصر على ذكر نبيين اثنين هما يعقوب ويوسف عليهما السلام وعلى بعض الانفعالات التي وردت في سورة يوسف فقط لأنها مدار بحثه ودراسته.

---

[1] قطب , سيد : **التصوير الفني في القرآن** . ط : 4 . بيروت : دار الشروق . 1978. ص 161.

[2] المرجع السابق : ص162.

3 - **معارج التفكر ومدارك التدبر / الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني**

فقد أورد في كتابه المذكور (وهو عبارة عن تفسير تدبّري للقرآن الكريم) العديد من الانفعالات النفسية التي حدثت للأنبياء عليهم السلام, لكنها بقيت إشارات وومضات سريعة لم يقف طويلاً عندها, أو يستخلص منها القيم التربوية.

4 - **في ظلال القرآن /الأستاذ سيد قطب**

وقد أبدع رحمه الله في ذكر الكثير من الانفعالات , لكنه لم يقف عندها طويلاً , وحاول أن يوجهها بما يتلاءم وعصمة الأنبياء عليهم السلام , وهي مبثوثة ومتفرقة في كتابه في أكثر من أربعة آلاف صفحة.

وقد تمثل دوري كباحث في لم شمل هذه المادة العلمية القرآنية من أمّات كتب التفسير ومعاجم اللغة بشكل خاص ، وكتب علم النفس والاجتماع وغيرها بشكل عام , وإبراز القيم التربوية من هذه الانفعالات , وتوجيه الانفعالات التي ظاهرها يعارض عصمة الأنبياء عليهم السلام بما يتلاءم وعصمتهم , وعرضها بأسلوب البحث العلمي الموضوعي الحديث .

أهمية الدراسة :

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة الموضوع الذي تعالجه , ومن كونها تتحدث عن الأنبياء عليهم السلام , منارات الهدى ومصابيح الدجى , ويمكن إجمال أهمية الدراسة في الآتي:

1. أنها جاءت خدمة لكتاب الله تعالى, فهي دراسةٌ قرآنيةٌ بحتة, تم جني وقطف ثمارها من كتاب الله تعالى كمصدرٍ رئيسٍ وأساس.
2. شرف الموضوع وندرته , حيث جاءت الدراسة لتؤصل وتؤسس لنظرية الانفعالات عند الأنبياء عليهم السلام , وهي أول دراسة علمية شاملة تعنى بهذا الجانب فيما أعلم .

3. ويزيد من أهمية هذه الدراسة ما حوته من لفتات ولطائف وقيم تربوية مستفادة من انفعالات الأنبياء عليهم السلام , خاصة في واقع الأمة هذا الزمان , وفي حياة الدعاة والهداة والمربين والمصلحين بشكل أخص .

4. حاجة المكتبة الإسلامية عامة , والدراسات القرآنية خاصة إلى مثل هذا النوع من الدراسة الذي يعالج جانباً مهماً من حياة الأنبياء عليهم السلام , وخاصة الجانب البشري منها.

أسباب اختيار الموضوع :

إن اختياري لهذه الدراسة لم يكن وليد الصدفة , وإنما راودتني فكرته منذ زمن ليس بالقصير, وخاصة حين قرأت للأستاذ سيد قطب عن رسم الشخصيات في القصة القرآنية في كتابه القيّم (التصوير الفني في القرآن) , وزادت الرغبة في الكتابة في هذا المجال حين كتبت بحثاً لمادة التفسير الموضوعي بعنوان : نظرية الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم.

ويمكن إجمال الأسباب التي دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع في الآتي:

1. عدم وجود دراسة مستوفاة وشاملة في هذا المجال مقارنة مع علم النفس, وتعالج بعض الشبه التي تثار حول بعض المواقف للأنبياء عليهم السلام في مواجهتهم للأحداث.

2. إبراز هذا الجانب من القصة القرآنية , نظراً لعدم استقلالية البحث في مجال الانفعالات النفسية عند الأنبياء عليهم السلام .

3. دراسة الجانب البشري والإنساني والنفسي عند الأنبياء عليهم السلام , وتحليل هذا الجانب والإفادة منه في مسيرة الدعوة المعاصرة .

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على الأسئلة التالية :

1. ما مدى اهتمام القرآن الكريم بهذا الجانب من حياة الأنبياء عليهم السلام ؟

2. كيف تطرق القرآن الكريم لموضوع الانفعالات النفسية عند الأنبياء عليهم السلام ؟

3. ما القيم التربوية التي يمكن استخلاصها من الانفعالات عند الأنبياء عليهم السلام ؟

4. كيف عالج القرآن الكريم بعض الانفعالات التي ظاهرها يعارض العصمة , كاليأس والغضب, والندم ؟

أهداف الدراسة :

تتلخص أهداف هذه الدراسة بالآتي :

1. لفت الأنظار إلى الانفعالات التي حصلت للأنبياء عليهم السلام , ومدى ارتباطها بعصمتهم ونبوتهم .

2. رد الشبهات التي أثيرت حول بعض مواقف الأنبياء عليهم السلام تجاه بعض الأحداث التي واجهوها أو واجهتهم مثل إلقاء موسى عليه السلام للألواح وهو غضبان , وعبوس النبي محمد ﷺ في وجه الأعمى , ومغاضبة يونس عليه السلام لقومه أو لربه سبحانه وتعالى .

3. معرفة الكيفية التي من خلالها تحدث القرآن الكريم عن هذه الانفعالات .

منهجية الدراسة :

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي أولاً , وذلك من خلال جمع الآيات القرآنية التي تحدثت عن الانفعالات النفسية عند الأنبياء عليهم السلام من خلال القصص والوقائع , ثم استعنت بالمنهج التحليلي في تحليل ودراسة هذه الآيات وفق منهجية البحث في التفسير الموضوعي , وقد اتبعت في ذلك الخطوات التالية :

1. جمع الآيات التي تحدثت عن الانفعالات النفسية عند الأنبياء عليهم السلام وعزوها إلى سورها.

2. استخراج التوجيهات والقيم التربوية والدروس والعبر من هذه الآيــات, ومحاولــة ربطهــا بالواقع الذي نعيش حتى لا تبقى هذه الدراسة نظرية جامدة لا حراك فيها.

3. الرجوع إلى المصادر الرئيسة المعتمدة في هذا الموضوع وفي مقدمتها كتب التفسير القديمة منها والحديثة .

4. إتباع الأسلوب العلمي بتوثيق المعلومات بشكل علمي دقيق , وعزو الأقوال لأصحابها.

5. وضع علامات الترقيم والتشكيل والتصنيف كما يقتضي البحث العلمي , لتخــرج الدراســة بصورة جيدة وسهلة المنال .

محاور الدراسة:

قمت بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة وثمانية فصول وخاتمة, وضمنت كل فــصل عــدة مباحث على النحو التالي:

الفصل الأول: الانفعالات النفسية وبشرية الأنبياء, وفيه:

المبحث الأول: التعريف بالانفعالات النفسية.

المبحث الثاني: أقسام الانفعالات النفسية.

المبحث الثالث: بشرية الأنبياء.

الفصل الثاني: الانفعالات النفسية وعصمة الأنبياء, وفيه:

المبحث الأول: العصمة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: عصمة الأنبياء من الذنوب.

المبحث الثالث: الانفعالات النفسية لا تنافي العصمة.

الفصل الثالث : انفعال الخوف , وفيه :

المبحث الأول: مفهوم الخوف ودلالته النفسية.

المبحث الثاني: مشاهد انفعال الخوف عند الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثالث: القيم الإيجابية لانفعال الخوف عند الأنبياء عليهم السلام.

الفصل الرابع: انفعال الغضب, وفيه:

المبحث الأول: مفهوم الغضب ودلالته النفسية.

المبحث الثاني: مشاهد انفعال الغضب عند الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثالث: القيم التربوية لانفعال الغضب عند الأنبياء عليهم السلام.

الفصل الخامس : انفعال الندم , وفيه:

المبحث الأول: مفهوم الندم ودلالته النفسية.

المبحث الثاني: مشاهد انفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثالث: القيم الإيجابية من انفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام.

الفصل السادس: انفعال اليأس, وفيه:

المبحث الأول: مفهوم اليأس ودلالته النفسية.

المبحث الثاني: مشهد اليأس عند الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثالث: القيم التربوية لانفعال اليأس عند الأنبياء عليهم السلام.

الفصل السابع: انفعالا التبسم والعبوس, وفيه:

الفصل الأول

الانفعالات النفسية وبشرية الأنبياء عليهم السلام

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالانفعالات النفسية

المبحث الثاني: أقسام الانفعالات النفسية

المبحث الثالث: بشرية الأنبياء عليهم السلام

المبحث الأول

التعريف بالانفعالات النفسية

أولاً: الانفعالات في اللغة والاصطلاح:

الانفعالات: جمع انفعال, والانفعال: مأخوذ من الفعل انفعل بمعنى تأثّر. فقد عرّف مجمع اللغة العربية انفعل ومنفعل: ب" تأثر به انبساطاً وانقباضاً "[1].

أما الأصفهاني[2] فقد وضّح معنى المنفعل بقوله: " والمنفعل إذا اعتبر قبول الفعل في نفسه...لأنّ المنفعل يقال لما لا يقصد الفاعل إلى إيجاده وإن تولّد منه, كحمرة اللون من خجل يعتري من رؤية إنسان, والطرب الحاصل عن الغناء, وتحرك العاشق لرؤية معشوقه . وقيل لكل فعل انفعال إلا للإبداع الذي هو من الله تعالى فذلك هو إيجاد عن عدم"[3] .

وعليه فالمنفعل: هو المتأثر, وإن لم يقصد التأثر, فقد يكون التأثير بفعل مؤثّر أقوى من إرادة المنفعل .

وبالنظر في القرآن الكريم , يتبين أن هذه الكلمة لم ترد فيه , وإنما الذي دل على وجود دلالاتها فيه هو معناها اللغوي, وذلك من خلال المؤثرات التي حدثت للأنبياء والمرسلين عليهم السلام, ولغيرهم ممن قصّ الله علينا قصصهم في القرآن الكريم.

وعليه يمكن أن نعرّف الانفعالات في الاصطلاح بأنها: حالة تغيير أو تأثير نفسي تعتري المنفعل بفعل مؤثر.

---

[1] مصطفى, إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط .** بلا طبعة. مصر: مجمع اللغة العربية. بلا تاريخ . ص605.

[2] هو الحسين بن محمد أبو القاسم الراغب الأصفهاني. كان أديباً وحكيماً من الحكماء, سكن بغداد, واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي, من أجلّ مصنفاته: المفردات في غريب القرآن, جامع التفاسير, حل متشابهات القرآن. توفي سنة 502هـ .انظر : الزركلي, خير الدين: **الأعلام.** 8مج . ط:6. بيروت . دار العلم للملايين. 1984. ج2 ص255.

[3] الراغب الأصفهاني, أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن.** راجعه وقدّم له : وائل أحمد عبد الرحمن. بلا طبعة . القاهرة : المكتبة التوفيقية. بلا تاريخ . ص384 .

فمثلاً عبوس الرسول ﷺ في وجه الأعمى[1] عند قول الله تعالى:{عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ } [2]هذا العبوس هو حالة تأثير وتغيير في ملامح وجه الرسول ﷺ, وهي بطبيعة الحال حالة استثنائية ناتجة عن مؤثر, إذ إن الرسول ﷺ كان دائم التبسم . فعن عبد الله بن الحارث بن جزء[3]ﷺ أنه قال:" ما رأيت أحداً أكثر تبسّماً من رسول الله ﷺ"[4].

ثانيا : الانفعالات عند علماء النفس :

من المعلوم أن الذي قعّد قواعد الانفعالات , ووضع نظرياتها هم علماء النفس والاجتماع, فهم الذين تخصصوا بها , وأجروا النظريات على البشر والحيوانات وحتى النباتات لاستخلاص القواعد والأسس لهذا الفن من علم النفس, وككل المفاهيم لا يوجد تعريف متفق عليه بين علماء النفس للانفعالات النفسية, والسبب يعود كما يقول الدكتور محمد بني يونس: "لاختلاف خصائص ومكونات ووظائف الانفعالات, بالإضافة إلى الفروق في الخلفيات النظرية لدى علماء النفس"[5]. ويمكن الإشارة إلى بعض هذه التعريفات ومنها:

ــ " أنها حالةٌ جسميّةٌ نفسيّةٌ ثائرة, أو حالةٌ من الاهتياج العام تفصح عن نفسها في شعور الفرد وجسمه وسلوكه, ولها القدرة على حفزه على النشاط, وبذا يكون الفزع والهلع من الانفعالات"[6].
ــ " أنها حالاتٌ وجدانيةٌ عنيفة"[7].

---

[1] رواه الترمذي وحسّنه , وصحّح إسناده الألباني . انظر: الترمذي, محمد بن عيسى بن سورة: **سنن الترمذي.** حكم على أحاديثه الألباني . اعتنى به: مشهور آل سلمان. ط:1 . الرياض : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. بلا تاريخ . كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ. باب ومن سورة عبس . رقم الحديث (3331) . ص756 .

[2] سورة عبس: الآيتان 1, 2.

[3] هو الصحابي الجليل عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معد يكرب , من مذحج من اليمن , شهد بدرا , وسكن مصر وتوفي بها بعد أن عمّر طويلاً . توفي سنة خمس وثمانين هـ . انظر : ابن الأثير , أبو الحسن علي بن عمر الجزري : **أُسد الغابة في تمييز الصحابة** . 6مج . بلا طبعة . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر . 1409هـ - 1989م . ج 3 ص 99 – 100.

[4] رواه الترمذي وحسنه , وصححه الألباني. انظر: الترمذي: **سنن الترمذي.** كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ . باب في بشاشة النبي ﷺ. رقم الحديث (3641) . ص 828.

[5] بني يونس, د. محمد محمود: **سيكولوجية الدافعية والانفعالات.** ط:1. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. 2007. ص227.

[6] راجح , د. أحمد عزت: **أصول علم النفس.** ط:10. الإسكندرية: المكتب المصري الحديث للنشر والتوزيع . 1982. ص122.

[7] القوصي, د. عبد العزيز: **علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية.** ط: 8. القاهرة: مكتبة النهضة العصرية. بلا تاريخ. ص166.

ـ " أنها حالةٌ طارئةٌ مؤقتة غير مقيدة بموضوع معين"[1].

ـ " أنها حالةٌ من اللاتوازن بين الكائن الحي(الحيوان والإنسان) من جهة, والمثيرات الخارجية (المادية والاجتماعية) من جهة أخرى, مما يؤدي إلى ظهور الانفعالات بصورة مفاجئة ولحظية زائلة , تدفعنا للاقتراب من شيء, أو الابتعاد عنه, وتكون مصحوبة باضطرابات جسدية خارجية "[2] .

يقول الدكتور محمد بني يونس بعد ذكره لعشرة تعريفات للانفعالات:" يتضح أن التعريفات الإجرائية مختلفة في شكلها, لكنها متشابهة في محتواها. حيث إن القاسم المشترك في كافة التعريفات الإجرائية أنها اعتبرت الانفعالات: حالة وجدانية, داخلية مفاجئة, يصاحبها تغيرات فسيولوجية ونفسية معاً"[3] .

ولقد فرّق الدكتور أحمد راجح عند تعريفه للانفعالات بينها وبين الحالة المزاجية, معتبراً أن الانفعال حالة عابرة طارئة, وأما الحالة المزاجية فيقول عنها:" إنها حالة انفعالية معتدلة نسبياً تغشى الفرد فترة من الزمن أو تعاوده بين الحين والآخر"[4].

وأمام هذه التعريفات والمصطلحات والمفاهيم لعلماء النفس , رأينا أن بعض المفسّرين المعاصرين استفاد منها, واستخدمها في دراسة شخصيات الأنبياء عليهم السلام, فهذا الأستاذ سيد قطب[5] عند دراسته لشخصية الأنبياء عليهم السلام في كتابه القيّم (التصوير الفنّي في القرآن) يقول عن موسى عليه السلام :" لنأخذ موسى إنه نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج"[6].

---

[1] بني يونس: **سيكولوجية الدافعية والانفعالات .** ص227.

[2] بني يونس: **سيكولوجية الدافعية والانفعالات.** ص 228.

[3] المرجع السابق : نفس الصفحة.

[4] راجح: **أصول علم النفس.** ص122.

[5] هو سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي, مفكر إسلامي مصري, من مواليد قرية موشا في صعيد مصر عام 1906م. تخرّج من كلية دار العلوم بالقاهرة, وعمل في جريدة الأهرام, ثم عيّن مدرساً في مدارس وزارة المعارف, شغل عدة مناصب في وزارة المعارف, ثم استقال منها عام 1953م وانضم إلى صفوف جماعة الإخوان المسلمين, سجن عدة مرات ثم حكم عليه بالإعدام ونفذ فيه الحكم عام 1966م . من أهم مؤلفاته: في ظلال القرآن, التصوير الفني في القرآن, معالم في الطريق . انظر: الخالدي, د. صلاح: **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد.** ط:1. بيروت , دمشق: الدار الشامية, دار القلم. 1991م. ص15-17.

[6] قطب : **التصوير الفني في القرآن.** ص162.

وفي موضع آخر يقول عنه :" وهنا يبدو التعصب القومي, كما يبدو الانفعال العصبي" [1] ففرّق بين الاندفاع المزاجي(الحالة المزاجية) وبين الانفعال العصبي (الانفعال النفسي) وهذا التفريق ناجم عن الحادث الذي واجهه موسى عليه السلام أي المؤثر أو المنبه الذي سبّب هذه الحالة أو تلك.

وعليه فالانفعال عملية طبيعية, حتى وصفها وصوّرها أندروز بقوله:" الانفعال شيء يحدث كما تحدث العاصفة أو شروق الشمس"[2] .

يظهر مما سبق أن حدوث الانفعال النفسي مرتبط بأمرين اثنين هما:[3]

1. السبب أو المنبّه أو المثير: إذ إن الانفعالات لا يمكن أن تظهر من فراغ, بل يوجد وراء كل انفعال سبب معين أو مثير.

2. الاستجابة: وهي الإثارة التي تحدث كرد فعل على المثير أو السبب, ولها مظهران جسمي وشعوري, وتتفاوت الإثارة بين الأفراد فمنهم من يكون من ذوي الانفعالية العالية, ومنهم من يكون من ذوي الانفعالية المنخفضة . والاستجابة الانفعالية عند الأفراد تتراوح في شدتها بين عالية جداً وعالية ومتوسطة وقليلة وقليلة جداً. والسبب في هذا التفاوت يعود إلى عوامل نفسية أو فسيولوجية أو اجتماعية أو غيرها .

[1] المرجع السابق : ص 162.

[2] أندروز, ت. ج: **مناهج البحث في علم النفس.** 2مج. ترجمة: د. يوسف مراد. مصر: دار المعارف. طبعة 1961. ج2 ص524 .

[3] بني يونس: **سيكولوجية الدافعية والانفعالات .** ص236 - 237. بتصرف

المبحث الثاني

أقسام الانفعالات النفسية

يمكن تقسيم الانفعالات النفسية إلى الأقسام التالية [1]:

أولاً:من حيث تأثيرها في الكائن الحي . فهي تقسم إلى قسمين رئيسين هما:

1ـ انفعالات إيجابية أو سارّة: وهي الانفعالات الباعثة على السعادة, والمنشّطة للكائن الحي, والمؤدية إلى المتعة واللذة, ولها انعكاسات إيجابية على الصحة الجسمية والنفسية , مثل الفرح والسرور .

2ـ انفعالات سلبيّة أو غير سارّة: وهي الانفعالات الباعثة على التعاسة, وتعمل على الكبت وتؤدي إلى المعاناة والألم , كما تؤدي إلى نتائج غير حميدة بالنسبة للصحة النفسية والجسمية ،ومنها: الغضب والخوف والذعر .

ثانياً: من حيث شدّتها أو قوتها. كذلك تقسم إلى قسمين هما:

1ـ انفعالات قوية: وهي الانفعالات التي تعمل على زيادة النشاط, والطاقة, والحيوية والحماس, والحميّة, كما تعمل على زيادة ضربات القلب, وضغط الدم, ومن هذه الانفعالات على سبيل المثال لا الحصر: السرور والعنف والغضب والحسد . وهذه الانفعالات تكون شدّتها مرتفعة.

2ـ انفعالات ضعيفة: وهي الانفعالات التي تكون شدتها ضعيفة وتعمل على التقليل من النشاط والحيوية, ومن هذه الانفعالات : الحزن و الحنين و الضجر .

ثالثاً: من حيث بساطتها وتعقيدها. كذلك تقسم إلى قسمين هما :

1ـ انفعالات سفلى أو بسيطة .

2ـ انفعالات عليا أو معقدة.

---

[1] د. بني يونس: **سيكولوجية الدافعية والانفعالات**. ص239- 240 .

وهذه التقسيمات للانفعالات تفيدنا في تحديد نوعية الانفعالات التي حصلت للأنبياء علـيهم السلام, وذكرها القرآن الكريم, فمنها انفعالات إيجابية كالتبسّم الذي حصل لسليمان عليه السلام في قوله تعـالى:{حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ } [1].

ومنها انفعالات سلبية كانفعال الغضب الذي حصل لموسى عليه السلام, وما نتج عنه مـن إلقـاء الألواح التي أنزلها الله عليه من فوق السبع الطباق, وفيها شريعته سبحانه مكتوبـة, كمـا قـال سبحانه: { وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا }[2]. ثم أخذ برأس أخيه هـارون النبي عليه السلام يجرّه إليه . قال تعالى في وصف حالة الغضب عند موسـى عليه السلام :{ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِ}[3].

كما وتفيدنا هذه التقسيمات في التمييز بين قوة الانفعالات وضعفها عند الأنبياء عليهم السلام , فمما لاشك فيه أن موسى عليه السلام كان قوي الانفعال, حادّ المزاج, ووصفُنا إيّاه بذلك إنما يأتي من خلال استنطاق آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن قصصه مع بني إسرائيل, ومع فرعون, فيما لا نجد هذه الدرجة من القوة في الانفعال عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو عند أبي الأنبياء إبـراهيم عليه السلام. يقول سيد قطب رحمه الله في التفريق بين شدة الانفعال عند موسى عليه السلام وضعفه عند إبـراهيم عليه السلام:" لنأخذ موسى إنه نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج" [4].

---

[1] سورة النمل : الآيتان18,17.

[2] سورة الأعراف: الآية 145 .

[3] سورة الأعراف: الآية 150 .

[4] قطب : **التصوير الفني في القرآن** . ص 162.

ثم يعدّد مواقف الانفعال وشواهده. ثم يقول:" تقابل شخصية موسى شخــصية إبــراهيم . إنــه نموذج الهدوء , والتسامح والحلم { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ }[1]"[2].

[1] سورة هود: الآية 65 .

[2] قطب: **التصوير الفني في القرآن** . ص 164 .

المبحث الثالث

بشرية الأنبياء عليهم السلام

اقتضت حكمة الله عز وجل أن يكون الأنبياء والمرسلون عليهم السلام من البشر, قال تعالى لنبيه محمد ﷺ :{ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ }[1]. وقد أكدّ الله تعالى بشرية نبيّه ﷺ في هذه الآية مرتين " مرة باستعمال {إِنَّمَآ} وهي تفيد الحصر والقصر, ومرة بقوله: {مِّثْلُكُمْ} فهو مثلنا في تكوين جسده, وطبيعة خلقه"[2]. ولقد أقر الأنبياء عليهم السلام ببشريتهم في معركتهم لإثبات النبوة والرسالة مع أقوامهم. قال تعالى : { قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ}[3] . وبمقتضى كونهم من البشر , فقد اتصفوا بالصفات التي لا تنفك عنها البشرية فمن ذلك:

- إنهم ولدوا كما ولد البشر, لهم آباء وأمهات, وأعمام وعمّات, ويتزوجون ويتناسلون, قال تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً }[4].

- إنهم يحتاجون لما يحتاج إليه البشر من الطعام والشراب , قال تعالى : {وَمَا جَعَلْنَـٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَـٰلِدِينَ}[5]. قال ابن كثير[6]:" بل قد كانوا أجساداً يأكلون الطعام كما قال تعالى:{ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ }[7]

أي قد كانوا بشراً من البشر, يأكلون ويشربون مثل الناس , ويدخلون الأسواق للتكسب والتجارة, وليس ذلك بضارٍ لهم ولا ناقص منهم شيئاً "[8].

---

[1] سورة الكهف: الآية 110.

[2] الطنطاوي, علي: **تعريف عام بدين الإسلام.** ط:11. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1981م . ص191.

[3] سورة إبراهيم: الآية 11.

[4] سورة الرعد: الآية 38.

[5] سورة الأنبياء: الآية 8 .

[6] هو إسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدين. مفسّر, مؤرخ, محدّث, له تصانيف عديدة, من أشهرها : تفسير القرآن العظيم, البداية والنهاية, جامع المسانيد. توفي سنة 774هـ . انظر : ابن حجر, أحمد بن علي بن محمد: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.** 4مج. بلا طبعة. بيروت: دار الجيل. بلا تاريخ . ج1 ص373- 374.

[7] سورة الفرقان : الآية 20.

[8] ابن كثير, أبو الفداء إسماعيل بن عمر: **تفسير القرآن العظيم.** 7مج. ط : 2 . بيروت : دار الفكر. 1970. ج4 ص 554 .

- إنهم يتعرضون لما يتعرض له البشر من الصحة والمرض, والقوة والضعف, واللـذة والألـم والحياة والموت . قال تعالى في ذكر إبـراهيم عليه السلام لربـه:{ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ }[1] , وقال تعالى: { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ }[2], وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ :{ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ }[3] , وقال سبحانه مبيناً أن هذه سنته في الرسل كلهم:{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ }[4]. وقد صح أن النبي ﷺ قال لأم سليم:" يا أم سليم أمـا تعلمـين أنّ شرطي على ربي , أني اشترطت على ربي فقلت :إنما أنا بشر . أرضى كما يرضـى البـشر. وأغضب كما يغضب البشر, فأيما أحد دعوت عليه , من أمتي , بدعوة ليس لها بأهل, أن يجعلها له طهوراً وزكاة وقربة يقربّه بها منه يوم القيامة "[5] . ومن الأنبياء من سجن, كما حصل ليوسف عليه السلام . قال تعالى:{ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ}[6] وذكر الله سبحانه أنـه {فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} [7]. وقد يُقتل الأنبياء عليهم السلام كما قال سـبحانه : { أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ }[8].

- إنهم يقومون بالأعمال والأشغال التي يمارسها البشر, من رعي الأغنام وغيرهـا. فقـد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:" كنا مع رسول الله ﷺ نجني الكَباث[9] وإن رسول الله ﷺ

---

[1] سورة الشعراء:الآيات 79-81 .

[2] سورة الأنبياء: الآيتان 84,83 .

[3] سورة الزمر: الآية 30 .

[4] سورة آل عمران: الآية 144 .

[5] رواه مسلم. انظر : مسلم, مسلم بن الحجاج القشيري: **صحيح مسلم.** 5مج. رقمّه وعلّق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي. بـيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. طبعة 1983**.** كتاب البر والصلة والأدب, باب من لعنه الرسول ﷺ . رقم الحـديث (2603) . ج4 ص2010.

[6] سورة يوسف: الآية 33 .

[7] سورة يوسف: الآية 42 .

[8] سورة البقرة: الآية 87 .

[9] الكَباث: ثمر الأراك. ويقال ذلك للنضيج منه . انظر : ابن منظور, جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب .** 15 مج . بلا طبعة . بيروت: دار صادر. بلا تاريخ . ج2 ص178 .

قال: "عليكم بالأسود منه فإنه أطيبه" قالوا: أكنت ترعى الغنم ؟ قال: "وهل مـــن نبـــي إلا وقـــد رعاها"[1]. وقد ذكر الله في كتابه موسى عليه السلام ورعيه للغنم عدة سنوات فقد قال له العبد الصالح:

{ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ}[2].

- إنهم يعتريهم ما يعتري البشر, من بعض الانفعالات التي تقع للبشر بحكم بشريتهم. مثل الغضب, والخوف, والعبوس, والفزع وغيرها. قال تعالى عـــن داود عليه السلام:{ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ }[3] , وقال تعالى عن موسىعليه السلام : { فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ}[4], وقال تعالى عن داودعليه السلام:{ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡ }[5] , وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ :عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ }[6] , وقال تعالى عن جميع الأنبياء عليهم السلام:

{ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ}[7], والشواهد في ذلك كثيرة.

وهذا الجانب من حياة الأنبياء, هو الذي يعنينا في بحثنا هذا, كون هذه الانفعالات النفـــسية التي حدثت للأنبياء, إنما حدثت لطبيعتهم البشرية, ولمقتضى إنسانيتهم. وكانت حكمة الله في ذلك أن لا يخرج الأنبياء عليهم السلام عن طبيعتهم البشرية, وحتى لا تؤله الناس الأنبياء, لأنهم حين

---

[1] رواه البخاري. انظر : البخاري, محمد بن إسماعيل: **الجامع الصحيح المسند المختصر(صحيح البخاري)**. 3مج. تبويب وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي. ط:1. القاهرة: مكتبة الصفا. 2003م , كتاب أحاديث الأنبياء . باب **{يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡ}** .[الأعراف : 138] . رقم الحديث (3406). ج2 ص 155 .

[2] سورة القصص: الآيتان 26, 27 .

[3] سورة الأنبياء: الآية 87 .

[4] سورة القصص: الآية 18 .

[5] سورة ص:الآية 22 .

[6] سورة عبس: الآيتان 2,1.

[7] سورة يوسف : الآية 110 .

يرونهم ينفعلون غضباً,أو خوفاً, أو ندماً, أو عبوساً أو غيرها , دل على أن هــذه مــن صــفات البشر.

لقد استعظم بعض الكفّار اختيار الله البشر رسلاً, لأنهم نظــروا إلــى المظهــر الخــارجي للأنبياء, نظروا إليهم على أنهم جسد يــأكلون, ويــشربون, وينــامون ,وينفعلــون, ويــشتغلون ويتزوجون , قال تعالى:{ وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ } [1] .

بل إن بشرية الرسل كانت من أعظم أسباب صدّ الناس وابتعادهم عنهم , قال تعالى:{ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً }[2]. بل إنهم عدّوا إتّبــاع الرســل خسراناً مبيناً وضلالاً عظيماً لأنهم مــن البــشر , قــال تعــالى:{ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ } [3]. وقال تعالى:{فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ} [4] . والحكمة في كون الرسل من البشر أنهم أقدر على إيصال رسالة السماء إلى الناس, وأدعــى إلــى قيــادتهم وتوجيههم مما لو كانوا من غير البشر.

---

[1] سورة الفرقان: الآية 7 .

[2] سورة الإسراء: الآية 94 .

[3] سورة المؤمنون: الآية 34 .

[4] سورة القمر: الآية 24.

الفصل الثاني

الانفعالات النفسية وعصمة الأنبياء عليهم السلام

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العصمة في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: عصمة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب

المبحث الثالث: الانفعالات النفسية لا تنافي العصمة

المبحث الأول

العصمة في اللغة والاصطلاح

بحث العصمة من بحوث العقيدة, لأنها من مقتضيات نبوة الأنبياء عليهم السلام, ومن بحوث أصول الفقه لتوقف أدلة حجيّة السنّة عليها, وأنا أذكرها في بحثي هذا لتحديد مفهومها لغةً واصطلاحا ولمعرفة مدى ارتباط الانفعالات بها سلباً أو إيجاباً.

العصمة في اللغة :

العصمة: اسم مصدر عصم. قال ابن فارس[1]:" العين, والصاد, والميم, أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة. والمعنى في ذلك كله معنى واحد".[2] وتكاد تجمع معاجم اللغة على أن معنى العصمة في اللغة يدور على المعاني التالية :

1 - المنع: يقال: عصمه الطعام أي منعه من الجوع[3]. قال تعالى على لسان ابن نوح عليه السلام: { سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِ }[4] , أي يمنعني من الغرق بالماء. قال القرطبي[5] : "وسمّيت العصمة عصمةً لأنها تمنع من ارتكاب المعصية"[6].

---

[1] هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي. كان إماما في علوم شتى وخصوصا علم اللغة, فإنه أتقنها , ومن أشهر كتبه : معجم مقاييس اللغة , المجمل في اللغة, حلية الفقهاء, كما له أشعار حسنة. توفي سنة 390هـ بالري.

انظر: ابن خلّكان, أحمد بن محمد بن أبي بكر: **وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان.** 8مج . حققه : د. إحسان عباس. بلا طبعة. بيروت: دار صادر. بلا تاريخ . ج1 ص118 .

[2] ابن فارس, أبو الحسين أحمد : **معجم مقاييس اللغة .** 6مج. تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون. ط:2. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. 1391هـ - 1971م. ج4 ص 331 .

[3] الرازي, محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: **مختار الصحاح**.ط:1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1979. ص 437 _ 438 .

[4] سورة هود: الآية 43 .

[5] هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي, الإمام الجليل, الفقيه, المفسّر, المحدّث, له تفسير الجامع لأحكام القرآن, وهو من أجلّ التفاسير وأعظمها نفعاً, وله شرح الأسماء الحسنى, والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. توفي سنة 671هـ . انظر: مخلوف, محمد بن محمد: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية.** بلا طبعة . بيروت: دار الكتاب العربي. بلا تاريخ . ص197 .

[6] القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد: **الجامع لأحكام القرآن.** 22مج . بلا طبعة . بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ . ج 9 ص184 .

2 - الدفع. يقال: يعصمك الله من الشر أي يدفعه عنك.[1]

3 - الالتجاء. تقول العرب: أعصمت فلاناً أي هيأت له شيئاً يعتصم بما نالته يـده, أي يلتجـيء ويتمسك به[2]. وقال تعالى:{ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[3], أي يلتجيء ويحتمي.

4 - الاستقواء والامتناع. تقول: اعتصم العبد بالله إذا تقوّى به وامتنع[4]. ومنه قوله تعالى علـى لسان امرأة العزيز في حق يوسف ﷺ: { وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ }[5] , بمعنى امتنـع وتقوّى .

5 - الحفظ . يقال: عصمته فاعتصم[6].

6 - والعصمة تأتي بمعنى القلادة , سمّيت بذلك للزومها العنق[7].

ولعل هذا المعنى الأخير يفيدنا في التعريف الاصطلاحي للعصمة , حيث إن العصمة تكـون ملاصقةً وملازمةً للمعصوم لزوم القلادة للعنق. وقد وجدت أن مجمع اللغة العربية قد جمع فـي تعريفه للعصمة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي حيث عرّف العصمة بأنها:" ملكةٌ إلهيةٌ تمنع من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليها"[8].

---

[1] الفراهيدي, أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: **كتاب العين.** ط:1. بيروت: دار إحيـاء التـراث العـربي. 1421هـ _ 2001م. ص646 .

[2] ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة.** ج4 ص 331 .

[3] سورة آل عمران: الآية 101 .

[4] ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة.**ج4 ص 331 . وانظر : الفيروز آبادي, مجد الدين محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط** . 4مج. بـلا طبعة . بيروت: دار الجيل. بلا تاريخ . ج4 ص152 .

[5] سورة يوسف: الآية 32 .

[6] الجوهري, إسماعيل بن حماد : **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.** 7مج. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط:2 . بيروت: دار العلم للملايين. 1399هـ - 1979م. ج5 ص 1986 .

[7] ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة.** ج4 ص333.

[8] مصطفى: **المعجم الوسيط.** ص605 .

العصمة في الاصطلاح :

عرّف العلماء العصمة بعدة تعريفات متقاربة المعنى , بل تدور كلها علـــى معنـــى واحـــد. مأخوذة من معناها اللغوي. من هذه التعريفات:

1 - الحفظ من الوقوع في الذنب[1].

2 - القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية[2].

3 - وقال الأسنوي[3] : "أحسن ما قيل فيها : ملكةٌ نفسانيةٌ تمنع صاحبها الفجور"[4].

ولما كانت العصمة تختص بالأنبياء والمرسلين من البشر على وجـــه الخـــصوص, لأن الله تعالى جعلهم دون غيرهم محل القدوة والأسوة لقوله تعالى:{ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا }[5] . ولقوله تعـــالى : { فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ }[6], كـــذلك لتوقف الأدلة في حجيّة السنّة على عصمة الرسول ﷺ [7] تركّزت بعض التعريفات الاصـــطلاحية للعصمة في الأنبياء عليهم السلام.

فالأصفهاني يعرّف العصمة بقوله:" وعصمة الأنبياء حفظه إياهم أولاً بما خصهم بـــه مـــن صفاء الجوهر, ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية, ثم بالنـــصرة , وبتثبيـــت أقـــدامهم

---

[1] الأسنوي , جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن: **نهاية السول في شرح منهاج الأصول.** 4مج. بلا طبعة . بيروت :عالم الكتب . بـــلا تاريخ . ج3 ص6 .

[2] الشوكاني, محمد بن علي : **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول.** 2مج . تحقيق وتعليق : د. شعبان محمد إسماعيل. ط:1. مصر: دار الكتبي . 1413هـ - 1992م. ج1 ص162 .

[3] هو عبد الرحيم بن الحسن بن علي جمال الدين الأسنوي, فقيه, أصولي,من علماء العربية, انتهت إليه رئاسة الشافعية, له مؤلفات مـــن أعظمها: نهاية السول شرح منهاج الأصول. توفي سنة 772هـ. انظر: ابن حجر : **الدرر الكامنـــة في أعيـــان المائـــة الثامنـــة.** ج2 ص354- 356 .

[4] الأسنوي: **نهاية السول في شرح منهاج الأصول** . ج3 ص6 .

[5] سورة الأحزاب: الآية 21 .

[6] سورة الأنعام: الآية 90 .

[7] انظر : عبد الخالق , د. عبد الغني : **حجيّة السنّة** . ط : 1 .بيروت : دار القرآن الكريم . 1986 . ص 85-241. وهذا الكتـــاب يعتبر أوسع من تكلم في العصمة .

بالنصرة, ثم بإنزال السكينة عليهم, وبحفظ قلوبهم , وبالتوفيق , قال تعـــالى:{ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ }[1]والعصمة شبه السوار "[2].

كما عرّفها الصابوني بقوله:" العصمة : هي حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع في الذنوب والمعاصي, وارتكاب المنكرات والمحرمات, وهي من صفاتهم التي أكـــرمهم الله تعـــالى بهـــا وميّزهم عن سائر البشر" [3].

وعرّفها سيد سابق بتعريف شامل قريب من التعريفين السابقين حيث قال:" العصمة هي أنهـــم _الأنبياء_ لا يتركون واجباً, ولا يفعلون محرماً, ولا يقترفون ما يتنافى مع الخُلُق الكريم"[4].

وهذه التعريفات الاصطلاحية للعصمة, سواء من العلماء القدامى أو المحـــدثين, إنمـــا تبـــين حدود العصمة مم تكون , والنتائج المترتبة عليها .

---

[1] سورة المائدة : الآية 67 .

[2] الراغب الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن** . ص340 .

[3] الصابوني, محمد علي: **النبوة والأنبياء**. ط:1 . القاهرة : دار الحديث. 1986. ص50 .

[4] سابق, السيد: **العقائد الإسلامية**. ط:2. بيروت: دار الفكر . 1982م. ص 180.

المبحث الثاني

عصمة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب

الذنوب _غير الكفر_ تقسم إلى قسمين: كبائر وصغائر[1]. والصغائر إما أن تكون خسيسة أو غير خسيسة. قال تعالى:{ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ } [2] وقال تعالى:{إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا }[3] وقد ذهب أكثر علماء الإسلام إلى أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن تعمّد الكبائر والصغائر الخسيسة[4], إلا أنهم غير معصومين عن الصغائر غير الخسيسة شريطة أن لا يكون فيها إصرار لأنه لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار . وهذا كله بعد النبوة , أما قبل النبوة فالمعتمد كما قال الآمدي[5]:" انه لا يمتنع عليهم المعصية كبيرة كانت أو صغيرة , لأنه لا سمع قبل البعثة يدل على عصمتهم عن ذلك"[6].

يقول ابن تيمية[7]:" فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر: هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف, حتى إنه قول أكثر أهل الكلام , كما ذكر أبو الحسن

---

[1] الهيتمي, أبو العباس محمد بن أحمد بن حجر المكي: **الزواجر عن اقتراف الكبائر.** 2مج. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. طبعة1403هـ - 1983م. ج1 ص2 .

[2] سورة النجم: الآية 32 .

[3] سورة النساء:الآية 31 .

[4] الأنصاري, عبد العلي محمد بن نظام الدين: **فواتح الرحموت** . بهامش المستصفى من علم الأصول.2مج . ط: 2 بيروت: دار الكتب العلمية. بلا تاريخ. ج1 ص99 .

[5] هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي, الملقب بسيف الدين الآمدي, فقيه, أصولي, منطقي, فصيح اللسان, له مصنفات عديدة, من أهمها: الإحكام في أصول الأحكام, دقائق الحقائق في الحكمة. توفي سنة 631هـ. انظر: ابن خلّكان : **وفيّات الأعيان.** ج3 ص293- 294 .

[6] الآمدي, أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد: **الإحكام في أصول الأحكام.** 2مج. بلا طبعة . القاهرة: دار الحديث. بلا تاريخ . ج1 ص242 .

[7] هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني, نزيل دمشق, وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها, وهو إمام الأئمة, وشيخ الإسلام, وبحر العلوم, مفسّر, وفقيه, ومحدّث, وأصولي, ونظّاري, بلغ رتبة الاجتهاد المطلق. من أجلّ كتبه: درء تعارض العقل والنقل, منهاج السنة النبوية, له تفسير كبير. توفي سنة 728هـ في سجن القلعة بدمشق.انظر: ابن عبد الهادي, محمد بن أحمد: **العقود الدريّة من مناقب شيخ الإسلام بن تيمية.** حققه : محمد حامد الفقي. بلا طبعة . بيروت: دار الكتب العلمية. بلا تاريخ . ص2 .

الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية , وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء, بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول"[1].

وقد استدل العلماء على قولهم هذا بأدلة من الكتاب والسنة, أذكر بعضاً منها كشواهد على ترجيح قولهم:

1ـ قوله تعالى: { وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ }[2] أي أن آدم عليه السلام عصى ربه بأكله من الشجرة التي نهاه الله عنها, فلو كان معصوماً عن صغائر الذنوب لما خالف أمر ربه وأكل من الشجرة.

2ـ قوله تعالى في حق نبينا محمد ﷺ :{ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ }[3] وهذا عتاب من الله تعالى لنبيه محمدٍ ﷺ بسبب عبوسه في وجه الأعمى وعدم الالتفات إليه, والانشغال عنه بمحاولة هداية بعض الكفار. فلو كان ذلك مباحاً للنبي ﷺ ما عوتب من قبل ربه عز وجل.

3ـ قوله تعالى في حق داود عليه السلام:{ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ۝٢٤ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ }[4] فداود عليه السلام أسرع في الحكم قبل سماع قول الخصم, فأسرع إلى التوبة, فغفر الله له. ولو كان ما فعله داود صواباً لما استغفر ربه.

4ـ حديث الشفاعة[5], وفيه ذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم وأخطاءهم .

---

[1] ابن تيمية, أحمد بن عبد الحليم: **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية.** 37مج. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد النجدي. ط : 1. بيروت: مطابع دار العربية. 1398هـ . ج4 ص319 .

[2] سورة طه: الآيتان 121, 122 .

[3] سورة عبس: الآية 1, 2 .

[4] سورة ص: الآية 24 .

[5] رواه البخاري ومسلم . انظر: البخاري : **صحيح البخاري.** كتاب التوحيد. باب قول الله تعالى: { لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص : 75] . رقم الحديث(7410) . ج3 ص452. مسلم : **صحيح مسلم.** كتاب الإيمان. باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها. رقم الحديث (193) . ج1 ص180-181.

والحق أن الله سبحانه كان ينبه أنبيائه, ويصوّب أخطاءهم, لأن الأنبياء لا يقرهم الله على الذنب, ولا يؤخرون التوبة, فالله عصمهم من ذلك, والأنبياء بعد التوبة أكمل منهم قبـل التوبـة. وأما عصمتهم من اقتراف الكبائر أو الفواحش فالإجماع انعقد على ذلك.[1]

والأنبياء عليهم السلام هم خلاصة الجنس البشري, ووصلوا بما أفاضه الله عليهم إلى قمـة الكمال الإنساني, فمنهم من صنعه الله على عينه, قال تعالى في حق موسـى ﷺ:{ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ }[2], ومنهم من هو بعين الله , قال تعالى في حق نبينـا محمـد ﷺ :{وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا } [3], واختارهم الله واصطفاهم من بين البشر , قال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ }[4], "ولو لم يكونوا كذلك لسقطت هيبتهم من القلـوب, ولـصغر شأنهم في أعين الناس, وبذلك تضيع الثقة فيهم , فلا ينقاد لهم أحد, وتذهب الحكمة من إرسـالهم ليكونوا قادة الخلق إلى الحق"[5], ومع كل ذلك وبحكم بشريتهم كانت تقع منهم الأخطاء , يصوبهم الله عليها.

ومن المعلوم أن الأمة اتفقت على أن الرسل عليهم السلام معصومون:

1ـ في تحمّل الرسالة. فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله تعالى إليهم إلا شيئاً قد نسخ , قال تعالى:{ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ }[6].

2ـ في التبليغ. فالرسل لا يكتمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم, ذلك لأن الكتمان خيانة, قال تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ }[7].

3ـ من تعمّد اقتراف كبائر الذنوب و الصغائر الخسيسة.

---

[1] القاضي عياض , عياض بن موسى اليحصبي: **الشفا بتعريف حقوق المصطفى.** 2مج. تحقيق: محمد أمين قرة علـي وآخـرين . ط:2. بيروت: مؤسسة علوم القرآن, ودار الفيحاء. 1986م . ج2 ص327 .

[2] سورة طه: الآية 31 .

[3] سورة الطور : الآية 48 .

[4] سورة آل عمران : الآية 33 .

[5] السيد سابق: **العقائد الإسلامية.** ص183 .

[6] سور الأعلى: الآية 6 .

[7] سورة المائدة : الآية 67.

المبحث الثالث

الانفعالات النفسية لا تنافي العصمة

ذكرنا في المبحث السابق[1] أن أكثر علماء الإسلام مجمعون على أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن تعمد اقتراف الكبائر والصغائر الخسيسة, أما الصغائر غير الخسيسة فهم غير معصومين منها. ولما كانت الانفعالات النفسية لا تنفك عن الطبيعة البشرية, وعن الخلقة الإنسانية, والأنبياء عليهم السلام من البشر فهم إذاً واقعون فيها لا محالة. لكنها لا تنافي عصمتهم, ولا تصطدم معها, ذلك لأن الانفعالات التي حدثت لهم وما نتج عنها من تصرفات وأعمال لم تصل إلى درجة الكبائر, ولا حتى الصغائر الخسيسة. وكذلك لم تؤثّر على نبوتهم أو على شخصيتهم الرسالية.

يقول الدكتور عمر الأشقر:" الأعراض البشرية الجبليّة لا تنافي العصمة, فإبراهيم عليه السلام أوجس في نفسه خيفة عندما رأى أيدي ضيوفه لا تمتد إلى الطعام الذي قدمه لهم, ولم يكن يعلم أنهم ملائكة تشكلوا في صور البشر قال تعالى:{ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ }[2] , وموسى عليه السلام وعد الخضر بأن يصبر في صحبته له, فلا يسأله عن أمر يفعله العبد الصالح حتى يحدث له منه ذكراً, ولكنه لم يتمالك نفسه, إذ رأى تصرفات غريبة, فكان في كل مرة يسأل أو يعترض أو يوجه, وفي كل مرة يذكّره العبد الصالح ويقول له:{ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا }[3] , وعندما كشف له عن سر أفعاله قال له:{ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا }[4]. وغضب موسى عليه السلام غضباً شديداً, وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه, وألقى الألواح وفي نسختها هدىً. وذلك عندما عاد إلى قومه بعد أن تم ميقات ربه, فوجدهم يعبدون العجل { وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا

---

[1] انظر : صفحة 24 .

[2] سورة هود: الآية 70 .

[3] سورة الكهف: الآية 75 .

[4] سورة الكهف: الآية 82 .

خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ }[1] .

وفي الحديث:" ليس الخبر كالمعاينة, إن الله تعالى لما أخبر موسى بما صنع قومه في العجل, فلم يلق الألواح, فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت"[2] "[3] .

والأمثلة التي ذكرها الدكتور الأشقر جلّها من الانفعالات النفسية, التي تصيب البشر، والأنبياء بشر يصيبهم ما يصيب البشر, وعليه فإن الخوف الذي أصاب موسى عليه السلام بعد قتله للقبطي وسماعه نبأ حكم فرعون بقتله وإعدامه , { فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ }[4]. والفزع الذي أصاب داود عليه السلام حين دخل عليه رجلان لا يعرفهم, تسورا عليه بابه, { فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٍ}[5]. والعبوس الذي بان على وجه نبيينا محمد ﷺ في ملاقاته للأعمى , { عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ }[6]. وغيرها من انفعالات الأنبياء النفسية, لم تؤثر على عصمتهم, ولم تقدح في نبوتهم, لأنها عوارض بشرية, تصيب الجنس البشري, أياً كانوا أنبياء ومرسلين , أو أولياء ومقربين, أو عصاة متمردين, لأن هذه العوارض البشرية لا تنفك عن الجبلّة الإنسانية, والبشر مفطورون عليها , ولا نستطيع أن نضع هذه العوارض البشرية أو الانفعالات النفسية ضمن الذنوب, سواء كانت خسيسة أو غير خسيسة.

وإنما ما ينتج عن بعض الانفعالات, وخاصة انفعال الغضب, هو الذي يمكن أن نضعه ضمن الذنوب غير الخسيسة والتي يمكن أن يقع فيها الأنبياء وهم غير معصومين منها. أو ما يطلق

---

[1] سورة الأعراف: الآية 150.

[2] رواه أحمد في المسند . انظر : ابن حنبل, أحمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل** . وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال والأعمال . 6مج. ط : 2. بيروت: المكتب الإسلامي . 1978. ج1 ص215. وهذا الحديث صحّحه الألباني . أنظر . الألباني , محمد ناصر الدين : **صحيح الجامع الصغير وزيادته.** 3مج . ط : 3 . بيروت , دمشق : المكتب الإسلامي . 1982 . رقم الحديث (5250). ج 5 ص 87 .

[3] الأشقر, د. عمر سليمان: **الرسل والرسالات.** ط:8. عمان . دار النفائس للنشر والتوزيع. 1419هـ - 1999م . ص99-100.

[4] سورة القصص: الآية 18 .

[5] سورة ص: الآية 22 .

[6] سورة عبس: الآية 2,1 .

عليه بعض العلماء مصطلح " خلاف الأولى"[1] ومثالها ما نتج عن انفعال الغضب لموسى عليـــه السلام { وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ }[2] هذان التصرفان لموسى ﷺ والناتجان عن انفعال الغضب يمكن أن نطلق عليهما " خلاف الأولى" أو من الذنوب غير الخسيسة. وذلـــك لأن موسى ﷺ اتْبع هذين التصرفين ندماً واستغفاراً , فبعد أن هدأت نفسه قال بصوت خاشع: { قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ }[3].

وعليه فإن الانفعالات النفسية وما نتج عنها من تصرفات وأعمال, لا تنافي عصمة الأنبياء, وتبقى في دائرة " خلاف الأولى" أو الذنوب غير الخسيسة.

---

[1] هو: خلاف فعل الأكمل والأفضل, وإن كان بالنسبة لمقام الأنبياء يعتبر خطأ يستحق عليه المؤاخذة والعتاب على حد قول (حـــسنات الإبرار سيئات المقربين) .انظر: الصابوني: **النبوة والأنبياء.** ص82 .

[2] سورة الأعراف: الآية 150 .

[3] سورة الأعراف:الآية 151 .

الفصل الثالث

انفعال الخوف

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الخوف ودلالته النفسية

المبحث الثاني: مشاهد انفعال الخوف عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الثالث: القيم الإيجابية لانفعال الخوف عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الأول

مفهوم الخوف ودلالته النفسية

أولاً : الخوف في اللغة والاصطلاح :

تكاد معاجم اللغة تجمع على أن الخوف في اللغة معناه : الفزع . وأنه مشتق من خاف يخاف خوفاً وخيفة ومخافة, ومنه التخويف والإخافة , والنعت منها خائف[1]. وكل هذه الاشتقاقات وردت في القرآن الكريم. قال ابن فارس:" الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع "[2] .

أمّا اصطلاحاً فلا يخرج عن معناه في اللغة تقريباً, فالأصفهاني يعّرف الخوف بأنه:" توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة , ويضاد الخوف: الأمن "[3].

وقال الشيخ الميداني عند قوله تعالى : **{ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ }**[4] : "والخوف: شعور نفسي مؤلم مزعج, ويكون من توقع حلول مكروه, أو فوات محبوب أو مرغوب فيه"[5].

وعرّفه ابن القيّم[6] بقوله: "الخوف: اضطراب القلب وحركته من تذكّر المخوف. والخوف: هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره".[7]

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب .** ج9 ص99. وانظر: الجوهري : **الصحاح** . ج4 ص 1358 -1359. الفيروز آبادي : **القاموس المحيط** . ج 3 ص 144. الفراهيدي : **كتاب العين** . ص 273 . الرازي : **مختار الصحاح** . ص 193. الزبيدي , محمد مرتضى : **تاج العروس من جواهر القاموس.** 10مج. ط: 1 . بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة . 1306هـ . ج6 ص 105.

[2] ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة** . ج 2 ص230 .

[3] الراغب الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن.** ص166 .

[4] سورة طه: الآية 67 .

[5] الميداني, عبد الرحمن حسن حبنّكة: **معارج التفكر ودقائق التدبّر.** 15مج . ط:1. دمشق: دار القلم,2002م. ج8 ص 173. وانظر : مصطفى : **المعجم الوسيط** . ص262 .

[6] هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي. الفقيه الحنبلي, والمجتهد المطلق, والمفسر, والنحوي, والأصولي والمتكلم, اشتهر بابن قيّم الجوزيه. وكان عالماً بالحديث ومعانيه, وبالفقه وأصوله. من أشهر مؤلفاته: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان, مدارج السالكين, إعلام الموقعين عن رب العالمين. توفي سنة 752هـ . انظر: ابن العماد الحنبلي, عبد الحي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب.** 4مج. بلا طبعة. بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة . بلا تاريخ . ج6 ص168.

[7] ابن القيّم, أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.** 3مج. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط : 2. بيروت: دار الكتاب العربي.1972. ج1ص512 .

ويلحظ أن التركيز في هذين التعريفين كان على القلب , لأن ما يكون في القلب ينعكس على الجوارح , وأول درجات الخوف يكون من القلب.

وبالنظر في مشتقات كلمة الخوف في القرآن الكريم, يتبين أنها تستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية, قال تعالى:{ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ }[1]. وقال تعالى :{ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا }[2]. وقال تعالى: { تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ}[3]. وقال تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا }[4]. قال الأصفهاني:" فقد فسر ذلك بعرفتم, وحقيقته وإن وقع لكم خوف من ذلك لمعرفتكم. والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد , بل إنما يراد به الكف عن المعاصي, واختيار الطاعات, ولذلك قيل لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً"[5] .

ثانيا :الخوف عند علماء النفس:

عدّ علماء النفس الخوف حالة من حالات التوتر التي تدفع الخائف إلى الهرب من الموقف الذي أدّى إلى استثارة الخوف, كما عدّوه حالة طبيعية تصيب الإنسان , لأنه مفطور على مثل هذه الانفعالات .

يقول الدكتور محمد بني يونس:" الخوف: هو ظاهرة طبيعية أو سوية, ولا يدل على أي اضطراب نفسي أو انحراف في الشخصية, طالما أن هناك أسباباً معقولة له, وأن مستوى الخوف الذي يبديه الشخص الخائف يتناسب مع حجم المثير المخوف, والخوف في حد ذاته ليس شيئاً

---

[1] سورة الإسراء: الآية 57 .
[2] سورة الأنعام: الآية 81 .
[3] سورة السجدة: الآية 16 .
[4] سورة النساء: الآية 35 .
[5] الراغب الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن.** ص166 .

رديئاً يجب القضاء عليه, أو يجب الاستغناء عنه تماماً في مجالات التربية والمجالات الاجتماعية العادية"[1].

والحقيقة أن أكثر الانفعالات شيوعاً, هو انفعال الخوف, لأنه لا أحد معصوم منه, فهو فطري مكتسب . وكلام الدكتور محمد بني يونس يفيدنا إفادةً كبيرة في تحليل بعض انفعالات الخوف التي حدثت للأنبياء عليهم السلام , فهي في حد ذاتها ليست شيئاً رديئاً سواء للأنبياء أو لغيرهم, فمن الطبيعي جداً أن يخاف أي شخص , نبياً كان أو غير نبي , وسواء كان المثير للخوف مادياً أو معنوياً.

من هنا فلا غرابه أن يخاف موسى عليه السلام من عصا في يده تتحول إلى ثعبان يتلوى يميناً وشمالاً, ولا غرابة كذلك أن يخاف داود عليه السلام ويصل به الخوف إلى درجة الفزع حين يتسوّر عليه المحراب اثنان لا يعرفهم. فالخوف ليس صفة ذم أو نقص بالعموم ما دامت تتناسب مع حجم المثير(المخوف).

ثالثا :أقسام الخوف وموقف الأنبياء منها:

قد يأتي الخوف في معرض المدح إن كان الخوف من الله سبحانه , أو يكون في معرض الذم إن كان الخوف من شيء لا يستحق الخوف . وعلى ضوء ذلك يمكن أن نقسم الخوف إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: الخوف المشروع: ويقسم إلى قسمين:

1 - **الخوف من الله سبحانه**: وعلامته الهرب من معاصيه إلى طاعته. قال تعالى في مدح المؤمنين:**{** وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ }[2], وقال تعالى:{ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ }[3]. وهذا النوع من الخوف فرض على كل مسلم , وهو من أجلّ المراتب, وأرفع

---

[1] د. بني يونس: **سيكولوجية الدافعية والانفعالات.** ص 244- 245 .

[2] سورة الإسراء: الآية 57 .

[3] سورة الزمر: الآية 16 .

المنازل الموصلة إلى الله سبحانه. قال تعالى : { فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ }[1]. والفرار لا يكون إلا للخائف.

2 - **الخوف الطبيعي:** وهو الخوف من مؤثر خارجي , وهذا المؤثر غالباً ما يكون محسوساً ومشاهداً ومادياً , كأن يخاف الإنسان من ثعبان أو أسد أو غيره. وهذا لا يلام عليه الإنسان, لأن هذا النوع من الخوف مفطور عليه الإنسان في الغالب.

القسم الثاني: الخوف غير المشروع : ويدخل في هذا القسم ما يلي:

1 - **الخوف من الشيطان** . قال تعالى:{ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ}[2] .

2 -**الخوف من الأعداء**: وهو الخوف من قوتهم وعدّتهم وجبروتهم , بحيث يؤدي إلى التقاعس والنكوص عن أداء واجب الدعوة والعبادة ومواجهتهم , قال تعالى:{ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ}[3].

3 -الخوف من السلطان: وهو الخوف من قول الحق في وجهه , فقد روى الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ:" إذا رأيت أمتي تهاب فلا تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم "[4] .

وعلى هذا التقسيم للخوف, فإن خوف الأنبياء عليهم السلام هو من الخوف المشروع الذي لا يلامون عليه .

---

[1] سورة الذاريات: الآية 50 .

[2] سورة آل عمران : الآية 175 .

[3] سورة المائدة : الآية 54 .

[4] الحاكم , أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد : **المستدرك على الصحيحين** . وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي . 5مج. إشراف: د. يوسف المرعشلي . بلا طبعة . بيروت : دار المعرفة . بلا تاريخ . وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي في الذيل : صحيح . ج4 ص96.

لذا ستكون دراستي في تحليل شخصيات الأنبياء عليهم السلام على ضوء الانفعالات النفــسية التي حدثت لهم وأولها انفعال الخوف, وما القيم الايجابية من وراء هذه الانفعالات .

المبحث الثاني

مشاهد انفعال الخوف عند الأنبياء عليهم السلام

ذكر القرآن الكريم في معرض حديثه عن الأنبياء عليهم السلام انفعال الخوف عند بعضهم وهذا الخوف كان يتفاوت من نبي لآخر بحسب الواقعة التي تعرضوا لها . وسأتكلم في هذا المبحث عن مشاهد الخوف عند الأنبياء عليهم السلام .

المطلب الأول : مشهد الخوف عند موسى عليه السلام

أولاً : ملامح شخصية موسى عليه السلام :

موسى عليه السلام أحد أولي العزم من الرسل, وأشهر أنبياء بني إسرائيل, والحديث عنه وعن قومه في القرآن الكريم أطول وأوسع من الحديث عن أي نبي آخر. ومن فضائل موسى عليه السلام أنه كليم الله . قال تعالى:{ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا }[1] , ومن أولي العزم من الرسل قال تعالى:{ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ }[2]. وذكرهم سبحانه في موضعين في القرآن الكريم وذكر منهم موسى عليه السلام . قال تعالى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ }[3]. وقال تعالى :{ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ }[4]. كما فضّل الله موسى عليه السلام برسالاته وكلامه فقال: {قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي }[5] , وصنعه الله تعالى على عينه فقال:

{ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ }"[6].

---

[1] سورة النساء:الآية 164 .

[2] سورة الأحقاف:الآية 35 .

[3] سورة الشورى: الآية 13 .

[4] سورة الأحزاب:الآية 7 .

[5] سورة الأعراف: الآية 144 .

[6] سورة طه: الآية 39 .

ويعدّ موسى عليه السلام أكثر الأنبياء والمرسلين انفعالاً , سواء في انفعال الخوف أو في غيــره. ولعل ذلك يعود إلى الآتي:

1 - الأحداث والوقائع التي وقعت لموسى عليه السلام , متعددة الجوانب, متفرعة الأهداف, متباعدة في الزمان والمكان, متغايرة في الأشخاص. فيها عنصر الإثارة الشديدة والمفاجأة المزعجــة فمــن حادثة قتل القبطي, إلى حادثة لقائه مع ربه, إلى موقفه مع فرعون والسحرة, ثــم موقفــه مــع السامري, وموقفه مع الخضر, ثم موقفه من عبادة قومه العجل... الخ.

2 - الإحساس بالظلم من فرعون وقومه , حيث إن فرعون كان يذبّح أبناء بني إسرائيل كما قال سبحانه : {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}[1], ثم وقاحة فرعون حين ادّعى الإلوهية قــائلا :{ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي }[2] .

3 - قصة موسى عليه السلام كانت تمثل حقيقة الصراع بين الحق والباطل, لذا تنوعت أساليبها وكثرت مشاهدها. يقول الصابوني:" ليست قصة موسى وفرعون , قصة فرد مع ملك, أو ليــست قــصة نبي كريم مع جبّار عظيم , إنما هي قصة تتكرر في كل زمان ومكان , وتبرز في كــل وقــت وحين, وهي تصور حقيقة واقعية أليمة, تصور الصراع بين الحق والباطل"[3]. وما من شــك أن الصراع بين الحق والباطل حافل بالانفعالات الحادّة أحياناً, والبسيطة أحياناً أخرى.

4 - أسباب مادية أو بيئية , أو الظروف التي مرّ بها منذ ولادته وحتى كبــر, فالــدكتور فــضل عباس يشير إلى إمكانية أن تكون شدّة أمواج اليمّ الذي ألقي فيه وهو رضيع لها أثر فــي جعلــه حادّ المزاج, كثير الانفعالات , فيقول: " نتصور ملامح شخصية موسى عليه السلام , وأول هذه الملامح

---

[1] سورة القصص : الآية 4.

[2] سورة القصص : الآية 38 .

[3] الصابوني : **النبوة والأنبياء** . ص 165 .

ما نلمحه من حدّة في الطبع وحدّةٍ في المزاج, وكأن شدّة أمواج اليمّ الذي ألقي فيه, شـــاء الله أن يكون لها فيه أثر"[1]. وقد تكون البيئة الصحراوية لها علاقة بحدّة مزاجه ﷺ .

ثانياً : مشاهد انفعال الخوف عند موسى عليه السلام

المشهد الأول : خوف موسى عليه السلام من فرعون وزبانيته :

يبدأ هذا المشهد من قول الله تعالى في وصف حالة موسى ﷺ بعد قتله للقبطي: **{ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ }**[2]. ففي هذا المشهد يبين المولى عز وجل أن موسى ﷺ اعتراه الخوف مرتين:

الأولى: بعد يوم من قتله القبطي, خاف من اكتشاف أمره.{ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ } قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله:" ومر يوم _ أي على قتله القبطي _ وأصبح في المدينة خائفاً مـــن انكشاف أمره, يترقب الافتضاح والأذى, ولفظ**{يَتَرَقَّبُ}** يصوّر هيئة القلق الذي يتلفت ويتـــوجس ويتوقع الشر في كل لحظة, وهي سمة الشخصية الانفعالية تبدو في هذا الموقف كذلك. والتعبيـــر يجسّم هيئة الخوف والقلق بهذا اللفظ , كما أنه يضخّمها بكلمتي**{ فِي ٱلۡمَدِينَةِ }** فالمدينـــة عـــادة موطن الأمن والطمأنينة , فإذا كان خائفاً يترقب في المدينة , فأعظم الخوف ما كان فـــي مـــأمن ومستقر. وحالة موسى هذه تلهم أنه لم يكن في هذا الوقت من رجال القصر. وإلا فما أرخـــص أن يزهق أحد رجال القصر نفساً في عهود الظلم والطغيان, وما كان ليخشى شيئاً فضلاً على أن يصبح { خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ } , لو أنه كان ما يزال في مكانه من قلب فرعون وقصره".[3]

---

[1] عباس, د. فضل حسن: **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته.** ط:1. عمان: دار الفرقان. 1987. ص334 .

[2] سورة القصص: الآيات 18-21 .

[3] قطب, سيّد: **في ظلال القرآن.** 6مج . ط:17 . بيروت , القاهرة: دار الشروق 1992. ج5 ص2682-2683.

والثانية: حين خرج من بلده.{ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ } . يتابع الأستاذ سيد قطب وصف الحالة الانفعالية لموسى عليه السلام بقوله:" ومرة أخرى نلمح السمة الواضحة في الشخصية الانفعالية, التوفّز والتلفت... ثم يتبعه السياق خارجاً من المدينة, خائفاً يترقب, وحيداً فريداً غير مزوّد إلا بالاعتماد على مولاه "[1]. وهذا الانفعال له ما يبرره , فموسى عليه السلام بشر, يقوم بقتل رجل قبطي من طائفة فرعون مصر, فيصدر فرعون حكمه بقتله, فمن الطبيعي إذاً أن يفر ويهرب وينفعل ويخاف, ويترقب, ويتلفت .

يقول الدكتور صلاح الخالدي: " موسى عليه السلام بعد قتل القبطي, أصبح في المدينة خائفاً يترقب, لأنه يخشى أن ينكشف أمره. وهذا الخوف منطقيّ لا يلام عليه. ولمّا علم أن فرعون أصدر أمره بقتله خرج من المدينة خائفاً يترقب. وسبق وصول الجنود إليه, وهذا الخوف أيضا منطقي لا يلام عليه... وهو ليس جبناً ولا ضعفاً ,ألا تريد من رجل يخاف بعد أن أصدر الحاكم أمره باعتقاله وقتله "[2] .

المشهد الثاني: خوف موسى عليه السلام من الحيّة :

يبدأ هذا المشهد من قول الله تعالى:{يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ }[3].

وقال تعالى:{ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ }[4]

وهذا المشهد يكشف لنا عمق الانفعال الذي حصل لموسى عليه السلام , حين شاهد عصاه تتحول إلى ثعبان, فيفر هارباً خائفاً ولا يعقب, ولا يلتفت إلى الوراء من شدة الخوف. يقول الأستاذ سيد رحمه الله وهو يصوّر لنا حالة موسى عليه السلام : " فقد ألقى موسى عصاه كما أمر ، فإذا هي تدبّ

---

[1] المرجع السابق: ج5 ص2685.

[2] الخالدي, د. صلاح: **مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه**. ط:1. دمشق: دار القلم. 2003. ص231 .

[3] سورة النمل: الآيتان 10.9 .

[4] سورة القصص : الآية 31 .

وتسعى وتتحرك حركة سريعة كحركة ذلك النوع الصغير السريع من الحيّات "الجانّ"، وأدركت موسى عليه السلام طبيعته الانفعالية ، وأخذته هزة المفاجأة التي لم تخطر له ببال ، وجرى بعيداً عن الحيّة دون أن يفكر بالرجوع ، وهي حركة تبدو فيها دهشة المفاجأة العنيفة في مثل تلك الطبيعة الشديدة الانفعال "[1] .

ويقول في موضع آخر عند قول الله تعالى: { وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ}[2] : " إنها المفاجأة التي لم يستعد لها, مع الطبيعة الانفعالية ، التي تأخذها الوهلة الأولى .. {وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ} ولم يفكر في العودة إليها ليتبين ماذا بها ، وليتأمل هذه العجيبة الضخمة ، وهذه هي سمة الانفعاليين البارزة تتجلى في موعدها "[3].

وقول الله تعالى :{ وَلَمْ يُعَقِّبْ} يقول ابن عاشور[4] : " التعقّب: الرجوع بعد الانصراف مشتق من العقب لأنه رجوع إلى جهة العقب أي الخلف, وهو تأكيد لشدة توليه عليه السلام, أي أنّه ولّى تولياً قوياً لا تردد فيه, وكان ذلك التولّي منه لتغلّب القوّة الواهمة التي في جبلّة الإنسان على قوة العقل الباعثة على التأمل فيما دل عليه قوله تعالى:{إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ } من الكناية عن إعطائه النبوة والتأييد, إذ كانت القوة الواهمة متأصلة في الجبلّة سابقة على ما تلقاه من التعريض بالرسالة. وتأصل القوة الواهمة يزول بالتخلق, وبمحاربة العقل للوهم, فلا يزالان يتدافعان ويضعف سلطان الوهم بتعاقب الأيام"[5].

ويزيد الشيخ ابن عاشور رحمه الله فائدة أخرى عند قوله تعالى:{ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ } فيقول: "النهي عن الخوف تستعمل في النهي عن استمرار الخوف, لأن خوفه قد حصل , والخوف

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن.** ج5 ص2629 .

[2] سورة القصص: الآية 31 .

[3] قطب: **في ظلال القرآن .** ج5 ص2692.

[4] هو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور . رئيس المفتين المالكيين بتونس , وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس, ولد ودرس وتوفي بتونس , وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة . له مصنفات عديدة ومطبوعة من أشهرها : التحرير والتنوير في تفسير القرآن , ومقاصد الشريعة الإسلامية , وموجز البلاغة , وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام , وغيرها. توفي سنة 1973م . انظر : الزر كلي : **الأعلام .** ج6 ص174 .

[5] ابن عاشور, محمد الطاهر: **التحرير والتنوير .** 12مج . بلا طبعة . تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع . بلا تاريخ . ج8 ص228.

الحاصل لموسى عليه السلام خوف رعب من انقلاب العصا حيّة وليس خوف ذنب. فالمعنى: لا يجبن لديّ المرسلون لأني أحفظهم".[1]

المشهد الثالث: خوف موسى عليه السلام من فعل السحرة :

ويبدأ هذا المشهد من قول الله تعالى:{ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ }[2]

وهذه المرة الثالثة التي نلتقي فيها مع موسى عليه السلام في انفعال خوف, ولكنه خوف من نوع آخر إنه خوف الوجس. والوجس:" الصوت الخفي , قال تعالى :{ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗ }[3] فالوجس قالوا هو حالةٌ تحصلُ من النفس بعد الهاجس لأن الهاجس مُبتدأ التفكير, ثم يكون الواجس الخاطر"[4]. ويأتي بمعنى الإضمار[5]. يقول الشيخ الميداني:" وقوله تعالى:{ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ }[6] أي أحسّ موسى عليه السلام بشيء من الخوف في نفسه , من أن تتساوى في نظر الجماهير المحتشدة , آيته وسحر سحرة فرعون, وأحسّ بهذا الخوف بسبب المفاجأة التي أثّرت على بصره, وكان عارضاً بمقتضى طبيعته البشرية الانفعالية التي تتأثر بالعوارض قبل المحاكمة العقلية"[7] .

وللشيخ ابن عاشور توجيه جدير بالاهتمام لهذا الانفعال الذي حصل لموسى عليه السلام إذ يقول: "قوله تعالى:{ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ }[8] أوجس: أضمر واستشعر, والخيفة جاءت منصوبة

---

[1] المرجع السابق: نفس الجزء والصفحة .

[2] سورة طه: الآيات 65-68.

[3] سورة الذاريات : الآية 28 .

[4] الراغب الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** . ص528 .

[5] الزمخشري, أبو هاشم محمود بن عمر: **أساس البلاغة.** تحقيق: عبد الرحيم محمود. بلا طبعة . بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر . بلا تاريخ . ص492.

[6] سورة طه : الآية 67 .

[7] الميداني: **معارج التفكر.** ج8 ص172 .

[8] سورة طه : الآية 67 .

على المفعولية, أي وجد في نفسه, وخيفة: اسم هيئة من الخوف أريد به مطلق مصدر. وأصله خوفة , فقلبت الواو ياءً لوقوعها إثر كسرة. وزيادة { فِى نَفۡسِهِۦ } هنا للإشارة إلى أنها خيفة تفكر, لم يظهر أثرها على ملامحه, وإنما خاف موسى من أن يظهر أمر السحرة فيساوي ما يظهر على يديه من انقلاب عصاه ثعباناً, لأنه يكون قد ساواهم في عملهم, ويكونون قد فاقوه بالكثرة. أو خشي أن يكون الله أراد استدراج السحرة مدة فيملي لهم بظهور غلبهم عليه ومده, لما تكون له العاقبة فخشي ذلك. وهذا مقام الخوف, وهو مقام جليل مثله مقام النبي محمد عليه الصلاة السلام يوم بدر إذ قال: اللهم إني أسالك نصرك ووعدك, اللهم إن شئت لم تعبد في الأرض[1] . والدليل على هذا قوله تعالى:{ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ } [2], فتأكيد الجملة بحرف التأكيد وتقوية تأكيدها بضمير الفصل, وبالتعريف في { الأعلى} , دليل على أن ما خامره من الخوف إنما هو خوف ظهور السحرة عند العامة, ولو في وقت ما. وهو وإن كان موقناً بأن الله ينجز له ما أرسله لأجله, لكنه لا مانع من أن يستدرج الله الكفرة مدة قليلة, لإظهار ثبات إيمان المؤمنين , كما قال الله لرسوله عليه السلام:{ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلۡبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ}[3][4].

وهذه اللفتة من الشيخ ابن عاشور رحمه الله تفيدنا في أن انفعال الخوف الذي حصل لموسى ﷺ في هذه المرحلة إنما هو انفعال إيجابي وليس سلبياً, إنه يخاف ويضمر هذا الخوف لكنه ليس خوف جبن, أو خوفا على حياته, إنه خوف من أجل رسالة السماء أن تمس أو تهان, وحتى هذا الخوف كان داخلياً ومؤقتاً.

يقول الدكتور صلاح الخالدي عن هذه الخيفة التي ألمّت بموسى ﷺ : " وهذه الخيفة العرضية التي ألمت بموسى ﷺ من لوازم بشريته, ولا يلام عليها, لأنها لم تستمر طويلا, ولم تتحول إلى جبن وخوف, ولم تؤد به إلى الهزيمة, ومرور الخيفة به سريعاً على صورة طائف

---

[1] رواه مسلم بلفظ :" اللهم أنجز لي ما وعدتني . اللهم آت ما وعدتني . اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض". انظر: **صحيح مسلم,** كتاب الجهاد والسير. باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم. رقم الحديث(1763) . ج3 ص1384.

[2] سورة طه: الآيات 68 .

[3] سورة آل عمران: الآيتان 197,196 .

[4] ابن عاشور: **التحرير والتنوير.** ج7 ص259-260 .

عرضي موقوت, أمر مفهوم مبرر, لأنه كان في مباراة كبيرة, ومعركة قوة, ومن كان مكانـــه لا يتوجس خيفة , وإنما ينهار من الخوف "[1].

ثالثا: اللطائف والفوائد من هذه المشاهد:

لمّا كانت الغاية من هذا القرآن هداية الناس, والهداية تأتي من خلال التـــدبّر فـــي القـــرآن مصداقا لقوله تعالى :**{** أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ **}**[2] فبعد التدبر في هذه المشاهد الثلاثة التي قصها الله علينا في مواضع مختلفة من القرآن الكريم من سيرة نبي الله موسى عليه السلام , وصلت إلـــى نتـــائج وفوائد ولطائف كثيرة مرتبطة بموضوع بحثي, سأكتفي بذكر بعضها: -

أولاً: في هذه المشاهد إثبات بشرية نبي الله موسى عليه السلام , وأنه لم يخرج في كل مراحل حياتـــه قبل النبوة وبعدها, في صغره أو شبابه أو كبره, عن بشريته وإنسانيته, ووقع له ما يقـــع عـــادة للبشر من الخوف بحكم بشريته وطبيعته الإنسانية.

ثانياً: لقد كانت عناية الله تحيط بموسى عليه السلام منذ ولادته وحتى وفاته, ولقـــد وصـــف الله مـــدى عنايته بموسى حتى قبل ولادته قائلا:**{** وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ **}**[3] .

وقال:**{** وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى**}**[4] ومع هذه الرعاية والعناية والاصطناع, إلا أن الله سبحانه وتعـــالى أبقى في موسى عليه السلام هذا الجانب البشري بقوة, وهذا الانفعال وغيره مـــن الانفعـــالات ليكـــون النموذج والعبرة. وأن الله سبحانه وتعالى أبقى فيه هذه الانفعالات وأبرزها كثيـــراً فـــي كتابـــه الكريم.

ثالثاً: إن الخوف غريزة في البشر, ومنهم نبي الله موسى عليه السلام , فموسى يخاف مرتين مرة بعـــد قتله القبطي, ومعرفته بملاحقة فرعون له { فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ }[5] وأخرى في هروبه

---

[1] الخالدي: **مواقف الأنبياء في القرآن.** ص 152 .
[2] سورة النساء: الآية 82 .
[3] سورة طه: الآية 39 .
[4] سورة طه: الآية 41 .
[5] سورة القصص : الآية 18 .

من وجه فرعون وزبانيته وحتى من مدينتــه {فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ}[1]. والخوفــان مقرونــان بالترقب والتلفت للتدليل على مدى الخوف الذي انعكس على موسى عليه السلام , وللتدليل كذلك علــى أن الخوف انفعال مغروز في نفس موسى عليه السلام . وهذا الانفعال من النوع الشديد الــذي حــصل لموسى عليه السلام ولقد أثّر فيه وعليه عليه السلام .

رابعاً: مهما عظمت القوة الجسمية فإن انفعال الخوف يبقى جزءا لا يتجزأ من بــشرية موســى عليه السلام , فموسى بوكزة من يده يقتل رجلاً ,قال تعالى { فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ }[2], وهذا يــدل على شجاعته وقوته. لكن هذه القوة والشجاعة ما أغنت شيئا أمام انفعال الخوف.

خامساً: إن أهم الفوائد من هذه المشاهد أن انفعال الخوف كان باديا وظــاهرا علــى شخــصية موسى عليه السلام قبل النبوة في المشهدين الأول والثاني. فالخوف وتأكيده بكلمة يترقــب { فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ }[3] و{فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ}[4] يدل على مدى الانفعال وشــدته وظهــوره وبروزه بقوة في شخصية موسى عليه السلام .

وكذلك في مشهد انقلاب العصا إلى ثعبان في طور سيناء ولّى موسى عليه السلام هارباً ولم يعقّــب أي لم يلتفت وراءه. لأن المفاجأة والمباغتة في تحويل العصا إلى ثعبان كانت أقوى بكثير علــى نفسه من أن ينظر إلى الوراء .

وهذا الانفعال كذلك كان قبل النبوة. لكن في المشهد الثالث رأينا أن موسى عليه السلام خاف, لكــن هذا الخوف لم يظهر عليه, ولم يظهر على جوارحه, ولا على قسمات وجهه.

فانعكاس الخوف بقي داخليا, وجاء الخوف على صورة طائف مر على خاطره وفكره , مــع أن الموقف رهيب وشديد, بل أشد من تحويل عصا إلى ثعبان في سيناء, إن هذا الموقف فيه كثيــر

---

[1] سورة القصص : الآية 21 .
[2] سورة القصص : الآية 15 .
[3] سورة القصص : الآية 18 .
[4] سورة القصص : الآية 21 .

من العصي التي تحولت إلى ثعابين في مخيلة موسى عليه السلام { يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ }[1] ومع كل ذلك لم نر موسى عليه السلام يفر أو يهرب كما هرب عند الطور, وإنما بقي ثابت الجأش قوي البنيان ففي هذا المشهد كان موسى عليه السلام نبياً محاطاً بالرعاية الإلهية والتوفيق الرباني { قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ }[2].

المطلب الثاني : مشهد الخوف عند إبراهيم عليه السلام

أولاً : ملامح شخصية إبراهيم عليه السلام :

إبراهيم عليه السلام أحد أولي العزم من الرسل[3], ذكره القرآن المجيد في خمس وعشرين سورة [4], وسمّى سورة كاملة باسمه[5], وتعدّ قصته بمشاهدها المختلفة ثاني أطول وأوسع قصة في القرآن الكريم بعد قصة موسى عليه السلام.

وإبراهيم عليه السلام هو ابن آزر[6] وينتهي نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام[7]. وكان عليه السلام أشبه الخلق بهيئة وصفة نبينا محمد ﷺ , فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد

---

[1] سورة طه : الآية 66 .

[2] سورة طه : الآية 68 .

[3] لقوله تعالى:" { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ.[سورة الأحزاب: الآية 7] .

[4] وهي: البقرة : الآيات (260.258,140,136,135,133,132,130), آل عمران:الآيات (68,67,65,33, 97,95,84), النساء:الآيات (163,125,54) , الأنعام: الآيات (161,183,75,74) , التوبة: الآيتان(114,70) , هود : الآيات(76,75,74,69), يوسف:الآيتان(38,6) , إبراهيم :الآية(35), الحجر: الآية(51) , النحل : الآيتان (123,120) , مريم:الآيات(58,46,41), الأنبياء:الآيات(69,62,60,51), الحج:الآيات(78,43,26), الشعراء : الآية(69), العنكبوت:الآيتان(31,16), الأحزاب:الآية(7), الصافات:الآيات(109,104,83), ص:الآية(45), الشورى: الآية(13), الزخرف:الآية(26), الذاريات:الآية(24), النجم:الآية(37), الحديد:الآية(26), الممتحنة:الآية(4), الأعلى: الآية(19).

[5] هي سورة إبراهيم .

[6] وهذا هو الصحيح الذي يدل عليه ظاهر قوله تعالى:**{وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً }**.[سورة الأنعام:الاية74] .

[7] ذكره الحاكم عن محمد بن اسحق . انظر : الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**. ج2 ص550 .

الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "عرض عليّ الأنبياء ... ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبكم. يعني نفسه ﷺ"[1].

ويكفي إبراهيم عليه السلام فضلاً أنه أبو الأنبياء [2], وخليل الله , قال تعالى:**{ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا }**[3]. وأنزلت عليه الصحف قال تعالى:**{صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ }**[4], ولم يأمر الله رسوله عليه السلام أن يتبع ملة أحد من الأنبياء قبله إلا ملة إبراهيم عليه السلام, قال تعالى:{ **ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ** }[5] . وبعثه الله بالحنيفية السمحة, فلم يكن يهوديا ولا نصرانيا, قال تعالى:{ **مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ** } [6]

وكان عليه السلام شجاعاً, قوياً في الحق, لا يهاب ولا يخشى أحداً إلا الله, مضحياً بنفسه وولده في سبيل الله, حطّم الأصنام[7], وأُلقي في النيران[8], وجادل النمرود في الله[9], فتغلب عليه بالحجة والبيان والبرهان, إلا أنه لم يخرج عن بشريته, فقد ذكر الله سبحانه انفعال الخوف عند إبراهيم عليه السلام في مشهد بارز من مشاهد قصته في القرآن الكريم.

---

[1] مسلم: **صحيح مسلم,** كتاب الإيمان. باب الإسراء برسول الله ﷺ . رقم الحديث (167). ج 1 ص153 .

[2] ولقّب بهذا اللقب لكون جميع الأنبياء الذين جاؤوا من بعده هم من ذريته. انظر: أبو حجلة, عماد الدين بن أحمد: **النجوم اللامعة في ثقافة المسلم الجامعة.** ط:1. عمّان: دار الرازي. 1999. ص612. وقال ابن القيم: " فإبراهيم هو الأب الثالث للعالم , فإن أبانا الأول آدم , والثاني نوح . وأهل الأرض كلهم من ذريته, كما قال تعالى : **{ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ }**. [سورة الصافات : الآية 77]. وكأن ابن القيم يقصد في هذه الأبوة لإبراهيم عليه السلام في الفضيلة والمكانة , حيث يقول :" فالأب الثالث أب الآباء وعمود العالم , وإمام الحنفاء الذي اتخذه الله خليلا ..." انظر: ابن القيم, محمد بن أبي بكر: **جلاء الإفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام.** بلا طبعة. القاهرة : مكتبة المتنبي. بلا تاريخ . ص144 .

[3] سورة النساء : الآية 125 .

[4] سورة الأعلى : الآية 19 .

[5] سورة النحل: الآية 123 .

[6] سورة آل عمران: الآية 67 .

[7] قال تعالى : **{ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ }**.[سورة الأنبياء. الآية 58] .

[8] قال تعالى: { **قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ , قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ}** .[سورة الأنبياء: الآيتان 69,68] .

[9] قال تعالى: { **أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ }**. [سورة البقرة. الآية 258] .

ثانيا : خوف إبراهيم عليه السلام من ضيوفه:

ويبدأ هذا المشهد من قول الله تبارك وتعالى:**{** وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ , فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ... إلى قوله تعالى:{ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ , إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ **}**[1]. وجاء في سورة الذاريات قوله سبحانه:{ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ , إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ , فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ , فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ , فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ **}**[2].

فهذا المشهد يكشف الستار عن انفعال إبراهيم عليه السلام انفعال خوف وتوجس, وهو نداء نفسي خفي, ووسواس داخلي, يكون بسبب مرور الإنسان بحالة معينة, يقول الدكتور الخالدي: "التوجس لا يكون إلا مقترنا بالخوف, وهو حالة نفسية شعورية, فإذا تعمّقت في النفس قادت إلى التخوف الفعلي"[3]. ومقصود الدكتور الخالدي بالخوف: الخيفة أو الخوف الداخلي النفسي.

من هنا فإن هذا النوع من الخوف لم يخرج عن نطاق القلب والشعور الداخلي, ثم ظهر أثره على ملامح وجهه. وهذا الانفعال الذي حصل لإبراهيم عليه السلام كان حالة نفسية عرضية سريعة, بان أثرها على وجهه.

ولكن كيف حصل هذا الانفعال لإبراهيم عليه السلام ؟ من المعلوم أن إبراهيم عليه السلام " عرف عنه إكرام الضيفان, واعتياد قِراهم, وصار منزله مضيفة, مطروقاً لمن ورده, لا يحتاج إلى

---

[1] سورة هود : الآيات 69-74 .

[2] سورة الذاريات: الآيات 24-28 .

[3] الخالدي: **مواقف الأنبياء في القرآن الكريم.** ص251 .

استئذان"[1]. قال تعالى:{ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا }[2] لقد كان استئذان الداخل إلى منزله هو دخوله المنزل, وهذا غاية ما يكون عليه الكرم.

ولقد أبان المشهد القرآني بصورة جليّة وواضحة, وصول مجموعة من الملائكة على صورة رجال إلى منزل إبراهيم عليه السلام, وكان إبراهيم لا يعرفهم, دخلوا عليه منزله, فقام من فوره وقدم لهم طعاماً شهياً, فلم تمتد أيديهم إليه, فلما رأى إبراهيم ذلك منهم نكرهم.

يقول محمد رشيد رضا[3] :"ونكر الشيء وأنكره ضد عرفه , أي نكر ذلك منهم, ووجده على غير ما يعهد من الضيف, فإن الضيف لا يمتنع من المضيف إلا لريبة, أو قصد شيء, وأحس في نفسه خيفة منهم وفزعاً, أو أدرك ذلك وأضمره إذ شعر أنهم ليسوا بشراً, أو أنهم ربما كانوا من ملائكة العذاب. والوجس يطلق على ما يعتري النفس من الشعور والخواطر عند الفزع"[4].

وذكْر الشيخ رشيد رضا لهذين القولين بقوله:" وأحس في نفسه خيفة منهم وفزعاً أو أدرك ذلك وأضمر", يثير التساؤل التالي: هل انفعال الخوف عند إبراهيم عليه السلام بقي مضمراً في داخله,أم انعكس أثره على جوارحه أو ملامح وجهه؟.

وقبل ترجيح أحد هذين القولين, أؤكد على أن المفسرين متفقون على حصول الخوف عند إبراهيم عليه السلام . وذلك ثابت بالنص القرآني في ثلاث سور هي سورة هود[5],وسورة الحجر[6]

---

[1] ابن القيم, أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: **التفسير القيّم.** حققه: محمد حامد الفقي . بلا طبعة . بيروت: دار الكتب العلمية. بلا تاريخ . ص446 .

[2] سورة الذاريات : الآية 25 .

[3] هو محمد رشيد بن علي رضا القلموني , البغدادي الأصل , الحسيني النسب ,أحد رجال الإصلاح الإسلامي ,من الكتاب , والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير ,ولد ونشأ بالقلمون من أعمال طرابلس الشام , رحل إلى مصر وتتلمذ على يد الشيخ محمد عبده , اصدر مجلة المنار . من أشهر مؤلفاته : تفسير القرآن الحكيم , مجلة المنار, تاريخ الأستاذ الإمام . مات ودفن بالقاهرة سنة 1935. انظر : الزر كلي : **الأعلام** .ج6 ص126 .

[4] رضا ,محمد رشيد: **تفسير القرآن الحكيم.** 12مج. ط:2. بيروت :دار الفكر. بلا تاريخ .ج12. ص128 .

[5] الآية 52 .

[6] الآية 52 .

وسورة الذاريات[1], إلا أن الخلاف بينهم فيما إذا انعكس هذا الخوف على وجه إبـــراهيم عليه السلام أم بقي مضمراً؟.

هناك من المفسرين من مال إلى أن انفعال الخوف عند إبـــراهيم عليه السلام بقـــي مـــضمراً مـــنهم القرطبي[2], والقاسمي[3].

وابن الجوزي[4], وابن القيم[5], ودليلهم على ما ذهبوا إليه أمران هما :

1ـ تأويل كلمة أوجس بمعنى أضمر, وهذا يتعلق بداخل النفس.

2ـ دليل استنتاجي وهو أن الخوف في ظن الكثيرين صفة نقص, وانفعال سلبي, وهذا لا يليـــق بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام . وعليه بقي الانفعال داخلي.

والذي أميل إليه وأرجحه أن انفعال الخوف قد انعكس علـــى إبـــراهيم عليه السلام , ســـواء علـــى جوارحه أو على ملامح وجهه بدليل:

---

[1] الآية 28 .

[2] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن.** ج9 ص65 .

[3] هو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق , إمام الشام في عصره , علما بالدين , وتضلعا في فنون الأدب , مولده ووفاته في دمشق . كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد . له أكثر من سبعين مصنفا , من أشهرها : محاسن التأويل , قواعد التحديث من فنـــون مصطلح الحديث . مات سنة 1914م . انظر : الزر كلي : **الأعلام** . ج2 ص135. القاسمي , محمد جمال الدين: **تفـــسير القـــاسمي المسمى محاسن التأويل.** (10مج). رقّمه وخرج آياته وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. بلا طبعة. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. بلا تاريخ . ج15 ص5531 .

[4] هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد الجوزي البغدادي , فقيه حنبلي , وواعظ بليغ , كان علامة عصره , وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ , له مؤلفات كثيرة في فنون عديدة : منها زاد المسير في علم التفسير والمنتظم في التـــاريخ والموضـــوعات في الحديث , توفي سنة597هـــ. انظر :ابن خلكان : **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** .ج3 ص140 -142. ابن الجوزي, أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: **زاد المسير في علم التفسير.** 8مج. حققه : محمد بن عبد الرحمن عبد الله. خرج أحاديثه: السعيد زغلول. ط:1. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 1978م. ج4 ص102.

[5] ابن القيم: **التفسير القيم.** ص448 .

1ـ إن الملائكة (الضيوف) قد طمأنوا إبراهيم عليه السلام مباشرة بعد ما رأوا عليه أثر الخوف,{ لَا تَخَفۡ}. قال الآلوسي[1]:" قالوا: حين رأوا أثر ذلك عليه عليه السلام , أو أعلمهم الله تعالى بذلك"[2] فالآلوسي رحمه الله قدّم القول الأول وهو وجود الأثر والانعكاس على إعلام الله تعالى للملائكة وهذا هو الظاهر والله أعلم.

ومع أن ابن عباس [3] رضي الله عنهما قدّم إعلام الله للملائكة إلا أنه لم يغفل انعكاس الخوف على إبراهيم عليه السلام فقال : " وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب, وعلم الملائكة بما أضمر في نفسه من الخوف, إنما يكون باطلاع الله ملائكته على ما في نفسه أو بظهور أمارته في الوجه, فاستدلوا بذلك على الباطن"[4] . وهذا الذي أميل إليه.

2ـ ما جاء في سورة الحجر :{وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ }[5]. فإبراهيم عليه السلام , قال لهم:{ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ } أي خائفون[6]. فالخوف كان بادياً عليه منهم , خاصة بعد امتناعهم عن الأكل, فالتصريح بالقول:

{ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ } أظهر مدى الانعكاس الداخلي عند إبراهيم عليه السلام , فهو لم يظهر على معالم وجهه فحسب , بل إنه صرّح به وأعلنه بالقول. وهناك لفتة للآلوسي في هذا الأمر إذ يقول:"

---

[1] هو أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي , مفسر , محدّث , أديب , من المجددين , ولد وتوفي في بغداد , كان سلفي العقيدة , مجتهد , له مؤلفات كثيرة من أهمها : روح المعاني في التفسير , وغرائب الاغتراب في تراجم من لقيهم . توفي سنة 1854م. انظر : الزركلي : **الأعلام** . ج7 ص176.

[2] الآلوسي, شهاب الدين السيد محمود: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.** 15مج. بلا طبعة . بيروت: دار إحياء التراث العربي. بلا تاريخ . ج12 ص94 .

[3] هو أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب , ابن عم النبي ﷺ. كان يسمى البحر , لسعة علمه , ويسمى حبر الأمة , توفي الرسول ﷺ وعمره ثلاث عشرة سنة , وعمّر بعده حتى توفي سنة 68هـ , عن سبعين سنة . انظر :ابن الأثير: **أسد الغابة في تمييز الصحابة**.ج3 ص186-190.

[4] أبو حيّان, محمد بن يوسف: **تفسير البحر المحيط.** 8مج. دراسة وتحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وآخرون. ط:1, بيروت: دار الكتب العلمية. 1993م. ج8 ص138.

[5] سورة الحجر: الآيات 51-53 .

[6] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم.** ج4 ص166 .

وقيل يحتمل أن يكون القول{ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ } هنا مجازاً بأن يكون قد ظهرت عليه ﷺ مخايل الخوف حتى صار كالقائل المصرح بها"[1].

وأما استدلالهم بأن كلمة أوجس بمعنى أضمر أي في القلب. فإنها تأتي كذلك بمعنى آخر غير أضمر. تأتي بمعنى" أحس" كما قال القرطبي[2]. والإحساس يمكن أن يظهر على الجوارح والوجه. والآلوسي يقول:" أضمر: استشعر وأدرك"[3]. والشعور قد يظهر كذلك على الجوارح أو الوجه أو بعض التصرفات الأخرى.

وأما أن الخوف انفعال لا يليق بالأنبياء عليهم السلام . فأقول : إن الخوف هو انفعال طبيعي إذا لم يجاوز حدّه, وخوف إبراهيم ﷺ كان منطقياً طبيعياً , لا حرج فيه ولا عليه.

وسياق المشهد القرآني يؤكّد ذلك, بل إن عادة العرب أن الضيف الذي يدخل البيت ويكرم حين يقدّم له الطعام, ولا يأكل ولا يشرب إنما يكون مضمرا على شر في الغالب.

وبالتالي فإن إبراهيم ﷺ حين توجس خيفة فهو غير ملام على ذلك, وهذا من الطبيعة البشرية.

---

[1] الآلوسي: **روح المعاني**. ج14 ص61 .

[2] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. ج9 ص65 .

[3] الآلوسي: **روح المعاني**, ج12 ص95 .

المطلب الثالث : مشهد الخوف عند لوط عليه السلام

أولاً : ملامح شخصية لوط عليه السلام :

لوط ﷺ أحد الأنبياء الذين أكثر القرآن الكريم من ذكره, وذكر قومه, وذكر الفاحشة التي كانوا يقترفونها, والتي لم تعرف في تاريخ البشرية قبلهم[1], فقد ذكره القرآن الكريم في أربع عشرة سورة[2]. وكان ﷺ أحد الذين آمنوا برسالة إبراهيم ﷺ كما قال سبحانه:{ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ }[3] .

ولوط ﷺ هو ابن هارون بن آزر[4], أي ابن أخ إبراهيم ﷺ . ومن فضائل لوط ﷺ أنه لازم عمّه إبراهيم ﷺ في هجرته وفي أسفاره كلها, قبل أن يرسله الله سبحانه إلى أهل"سدوم" [5]. لقوله تعالى : { فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ }[6]

من أبرز ملامح شخصيته ﷺ :

1 - العلم والحكم . قال تعالى : {وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمًا وَعِلۡمًا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ}[7].

---

[1] لقوله تعالى : { وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٍ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ }. [سورة الأعراف : الآية 80]. قال القرطبي : " (من) لاستغراق الجنس , أي لم يكن اللواط في أمة قبل قوم لوط " . انظر : القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . ج7 ص245.

[2] وهي الأنعام: الآية(86) , الأعراف: الآية(80), هود: الآيات(89,81,77,74,70), الحجر : الآيتان(61,59) , الأنبياء :الآيتان(74,71) , الحج :الآية(43), الشعراء :الآيتان(167,160), النحل :الآيتان(56,54) , العنكبوت : الآيات(33,32,28,26), الصافات :الآية(133), ص :الآية(13) , ق :الآية(13), القمر :الآيتان(34,33), التحريم: الآية(10).

[3] سورة العنكبوت: الآية 26.

[4] ابن كثير, إسماعيل بن عمر : **البداية والنهاية.** 7مج . تحقيق : أحمد فيتح . ط : 6 . القاهرة : دار الحديث . 2002م . ج1 ص180.

[5] الطبري , محمد بن جرير : **تاريخ الأمم والملوك.** 6مج . بلا طبعة . بيروت : دار الفكر . 1979 . ج1 ص150. قال الحموي :" سدوم : فعول من السّدم وهو الندم مع غمّ . قال أبو منصور : مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سدوم". انظر : الحموي , ياقوت بن عبد الله : **معجم البلدان** . 5مج . بلا طبعة . بيروت : دار إحياء التراث العربي . بلا تاريخ . ج 3 ص 200.

[6] سورة العنكبوت : الآية 26 .

[7] سورة الأنبياء : الآية 74.

قال القرطبي :" والحكم : النبوة . والعلم : المعرفة بأمر الدين , وما يقع به الحكم بين الخصم"[1].

2- الصراحة وقوة الشخصية . فقد جابه قومه بأنهم "بدع دون خلق الله , فعلوا ما لم يسبقهم إليه أحد من العالمين"[2]. وعرض عليهم بكل صراحة ووضوح الزواج من بناته قائلا :{ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ }[3].

3- الكرم والعطاء . وهذه صفة مميزة في شخصيته , فقد رأينا لوط عليه السلام يستقبل ضيوفه وهو لا يعرفهم . قال تعالى :{ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِى فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ }[4]. وقال{فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ }[5].فقد استقبلهم وهو لايعرفهم .

4- الغيرة على العرض . حيث دافع بكل ما أوتي من قوة بيان , وحجة منطق , عن عرض ضيوفه . فقال لقومه:{ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِى ضَيۡفِىٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ }[6]. وقال :{ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِى فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ }[7].

5- الصبر على مشاقّ الدعوة , وتكاليفها . فقد كانت مهمته الدعوية محدّدة لقوم (سدوم) , الذين كانوا يمارسون الدنس والفجور , وكانوا " ممعنين في الغيّ , مستغرقين في الفحش , لا يبالون بما يمكن أن يقال " [8]. فمكث فيهم ما قدّره الله له أن يمكث , وهو يدعوهم إلى ترك غيّهم وباطلهم قائلا :{ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ }[9]. فما كان من قومه إلا أن هدّدوه بالطرد من القرية قائلين : { لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ

---

[1] القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . ج11 ص306 .

[2] الأميري , أحمد البراء : **فقه دعوة الأنبياء** . ط : 1 . دمشق : دار القلم . 2000 . ص267 .

[3] سورة هود : الآية 78 .

[4] سورة الحجر : الآيتان 69,68 .

[5] سورة الحجر : الآيتان 62,61 .

[6] سورة هود : الآية 78 .

[7] سورة الحجر : الآيتان 69,68 .

[8] عباس : **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته** . ص206 .

[9] سورة الشعراء : الآيتان 166,165.

لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ }[1]. وبيّنوا سبب هذا الطرد :{أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ }[2]. وكانوا سبباً في كفر زوجته , قال تعالى :{ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ }[3]. ومع كل هذه الابتلاءات في أهله وقومه فقد كان صابراً , شديد التحمّل.

ولقد حصل لهذا النبي الكريم الطاهر انفعال الخوف, وحُق له ذلك. فإن المشهد الذي ذكره القرآن الكريم يدل على مدى السقوط الأخلاقي الذي وصل إليه قوم لوط ﷺ , حين حاولوا المساس بشرف ضيوفه , فكان حقاً على لوط أن ينفعل خوفاً وغضباً وأسىً وحزناً.

ثانياً : خوف لوط عليه السلام على ضيوفه :

ويبدأ هذا المشهد من قول الله تبارك وتعالى:{ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ}[4]وفي سورة العنكبوت يقول الله سبحانه:{ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ }[5].

ففي هذا المشهد, نلمس من بين هذه الكلمات الربّانية, الحالة النفسية التي كان عليها لوط ﷺ, وهو يستقبل ضيوفاً لا يعرفهم. دخلوا عليه بيته, وكانوا حسان الوجوه, وبالتالي سيكونون هدفاً لأولئك الشوّاذ من قومه, إن لوطاً ﷺ كان يعرف جيداً حجم الشذوذ الذي أصاب قومه ويعرف جيداً ما الذي سيحصل لضيوفه من قبل هؤلاء الشوّاذ, لذا وصف اليوم الذي جاءه

---

[1] سورة الشعراء : الآية 167 .

[2] سورة النمل : الآية 56 .

[3] سورة التحريم : الآية 10 .

[4] سورة هود: الآيات 77-81 .

[5] سورة العنكبوت : الآية 33 .

ضيوفه فيه بأنه{ يَوۡمٌ عَصِيبٌ } {وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعًا } . ومعلوم أن قوم لوط عليه السلام كانوا قد منعوه استقبال الضيوف الغرباء, بدليل قوله تعالى على لسان قوم لوط:{ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ }.[1] لذا ما إن دخل ضيوفه عليه حتى بدأت الانفعالات النفسية تظهر على لوط عليه السلام , على وجهه, وجوارحه, ولسانه. ولننظر إلى التعبير القرآني الدقيق والبليغ وهو يصف حالة لوط عليه السلام وحجم هذه الانفعالات التي وصلت إلى ستة انفعالات وهي:

1_(سيء بهم) 2ــ (ضاق بهم ذرعاً) .ــ (قال: هذا يوم عصيب) 4ــ (هؤلاء بناتي هن اطهر لكم) 5 -(لو أن لي بكم قوة) 6ــ (أو آوي إلى ركن شديد) .

إن المتدبر في هذه الكلمات ليستشعر عظم وخطورة الموقف الذي وصل إليه لوط عليه السلام. إنها تشعر بالأسى, والحزن, والخوف, واليأس, والضعف.

ولقد كان انفعال الخوف هو البارز من بين هذه الانفعالات بدليل: قول الملائكة للوط عليه السلام : {لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ }[2]. فتقديم الخوف على الحزن , دليل ظهور أمارته على لوط عليه السلام أكثر من انفعال الحزن والهمّ والأسى. ثم إن لوطاً عليه السلام كان غريباً عن ديار قومه, فلقد جاء مهاجراً إليها, لا يوجد له فيها أهل ولا عشيرة ولا قبيلة تمنعه أو تحميه, لذلك قال :{ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ}[3] . ولقد أثّرت هذه الكلمات في نبينا محمد عليه السلام حين قال : " يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد "[4] يعني الله سبحانه وتعالى .

---

[1] سورة الحجر : الآية 70 .

[2] سورة العنكبوت : الآية 33 .

[3] سورة هود : الآية 80 .

[4] رواه البخاري . انظر : البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب أحاديث الأنبياء . باب {لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ } . [يوسف : 7] . رقم الحديث (3387) . ج2ص149 . وفي رواية أخرى للحديث:" رحم الله لوطا , لقد كان يأوي إلى ركن شديد , وما بعث الله بعده نبيا إلا في ثروة من قومه " . رواه الترمذي والحاكم . انظر : الترمذي: **سنن الترمذي** . كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ . باب ومن سورة يوسف . رقم الحديث (3116) . وقال الترمذي :الثروة: الكثرة والمنعة. وهذا حديث حسن . وحسنه الألباني . ص700. الحاكم : **المستدرك على الصحيحين** . وقال الحاكم صحيح الإسناد على شرط مسلم . وأقره الذهبي في الذيل .ج2 ص561 .

2 -قول الملائكة للوط ﷺ : {لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ}[1]. فتقديم الخوف على الحزن , دليـــل ظهــور أمارته على لوط ﷺ أكثر من انفعال الحزن والهمّ والأسى.

وعليه فإن انفعال الخوف الذي بدا واضحاً على لوط ﷺ , كان منطقياً جداً , بل كان انفعـــالاً محموداً وايجابياً . فلوط ﷺ لا يخاف من قومه على نفسه , فهو عندهم منذ مدة ليست بالقصيرة يدعوهم , ويذكّرهم , ويخوّفهم عذاب الله وعقابه . لكن خوفه ﷺ كان على ضـــيوفه الـــذين لا يعرفهم , من قومه الذين لا عهد لهم ولا أمان , لأنهم ليسوا راشدين , فحمّـــى الـــشذوذ قلبـــت موازين تفكيرهم . فأصبحوا لا يقدّرون حرمةً لضيف . وهذا الخوف جعله يـــستخدم أســـلوبين لحماية ضيوفه ذكرهما القرآن الكريم هما:

الأول: مناقشة القوم ومناظرتهم : فقد ناظرهم عليه السلام , يوم جاؤوا يهرعون إليـــه , قـــال تعالى : { وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ }[2] وكلمة{ يُهۡرَعُون} تلقي بظلالها وجرسها على نفـــسية هـــذه الحثالة البشرية , التي حرّكتها حمأة الشذوذ , ودعتها للهجوم على ضيوفه. فمنذ اللحظـــة التـــي رأوا فيها ضيوف لوط ﷺ حسان الوجوه , استبشروا وسرّوا للفتك بهم , قال تعـــالى : **{ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ }**[3]. وبدءوا بمراودة لوط ﷺ لأخذ ضيوفه . قال تعالى : **{ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ }**[4]. فقال لهم لوط ﷺ :**{ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ }**[5]. يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : " لقد وقف لوط يستثير النخوة الآدمية فيهم . ويستجيش وجدان تقـــوى الله . وإنه ليعلم أنهم لا يتقون الله 000ولكن في كربه وشدّته يحاول ما يـــستطيع **{ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ۝٦٨ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ }** [6،7].

---

[1] سورة العنكبوت : الآية 33 .
[2] سورة هود : الآية 78 .
[3] سورة الحجر: الآية 67 .
[4] سورة القمر : الآية 37 .
[5] سورة هود : الآية 78 .
[6] سورة الحجر : الآيتان 69,68 .
[7] قطب : **في ظلال القرآن** . ج4 ص2149 .

الثاني :عرضه عليهم الزواج من بناته : فحين لم تنفع معهم المنـــاظرة والتـــذكير والنقـــاش, عرض عليهم { هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ }[1] . و { هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ }[2]. فإذا أردتم الطهر والعفاف والنقاء في إطفاء الشهوة " فهؤلاء بناتي حاضرات تستطيعون الزواج منهن "[3]. لكن هناك تفسير آخر للآية وهو أن لوطاً ﷺ أرشدهم إلى نسائهم باعتبـــار أن النبـــي للأمـــة بمنزلة الأب أو الأم [4] . وهذا التفسير الذي تميل إليه النفس ويطمئن إليه القلب .

ويؤيده قوله عليه السلام : " إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم ..."[5] .

ويلاحظ من المشهد القرآني أن الضيوف _الملائكة _ كانوا يرقبون الوضع في صمت طـــوال فترة المحاولات والمناظرات بين لوط وقومه , وفجأة قال لوط ﷺ كما أخبر الله سبحانه: {قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ }[6]. قال هذه الكلمة بعد المحاولتين اليائستين لصرف قومه عن ضيوفه . في هذه اللحظة تدخّل الضيوف , وعرّفوا لوطاً بأنفسهم , وطمـــأنوه قـــائلين:{ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ }[7].

ولعل الحكمة من تأخير تدخّل الملائكة لحسم الموقف من اللحظة الأولى والله أعلم , تعـــود إلى الآتي:

أولاً :التأكيد على بشرية الأنبياء ومنهم لوط ﷺ , وأنه يصيبهم ما يصيب البشر من الشدة والكرب, والخوف , وضيق الصدر , والضجر, والضعف.

---

[1] سورة الحجر : الآية 71 .

[2] سورة هود : الآية 78 .

[3] القاسمي: **محاسن التأويل** . ج9 ص3471 .

[4] انظر : الطبري , أبو جعفر محمد بن جرير : **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** . 10 مج . تحقيق : أحمد البكري وآخرون . إشراف: د. عبد الحميد مدكور . ط : 2 . القاهرة : دار السلام للطباعة والنـــشر والتوزيـــع . 1428هــــ ـــ 2007م . ج 6 ص4385 . القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . ج 9 ص 76 . أبو حيان : **البحر المحيط** . ج 5 ص 246 . ابن كثير : **تفسير القرآن العظـــيم** . ج3 ص 566 .

[5] رواه أبو داود وحسنه الألباني . انظر : أبو داود : **سنن أبي داود** . كتاب الطهارة . باب كراهة استقبال القبلة عند قضاء الحاجة . رقم الحديث : (7) . ص 6 .

[6] سورة هود : الآية80 .

[7] سورة العنكبوت : الآية 33 .

ثانياً : تسلية للنبي محمد ﷺ ببيان أن إخوانه من الأنبياء قبله , أصابهم الخوف , والـضر والعنت , وصبروا على ذلك , حتى جاءهم الفرج الإلهي بعد الشدة , والأمن بعد الخوف .

المطلب الرابع : مشهد الخوف عند داود عليه السلام

أولا : ملامح شخصية داود عليه السلام :

داود عليه السلام نبي من أنبياء بني إسرائيل , جمع الله له النبوة والملك , وأعطاه خيري الـدنيا والآخرة , فكان نبيا ملكا, وأنزل عليه الزبور[1], وذكره القرآن في ستة عشر موضعا[2].

ومن أبرز ملامح شخصيته :

1 - كان رجلاً قوياً , ذا بأس شديد , وسلطان عظيم , وملك كبير . فقد قتل جالوت في معركـة فاصلة , قال تعالى : { وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ }[3] , وقال سبحانه : {وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ }[4], أي القوة في العلم والعمل [5] . وأعطاه الله الملك , قال تعالى : **{وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ }**[6] . ثم قال في وصف ملكه :{ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ }[7], أي قوّيناه بوفرة العَدَد والعُدَد , ونفوذ السلطة . وإمداده بالتأييد والنصر[8] . كما أعطاه الله الخلافة في الأرض , فقال سبحانه : **{يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ}**[9] . وهذا الملك والجاه والسلطان والقوة والبأس . انعكس على شخصيته بـالحزم والعزم .

---

[1] قال تعالى: { **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا** }. [سورة الإسراء . الآية55] .

[2] وهي في سور: البقرة : الآية(251), والنساء : الآية(163), والمائدة : الآية(78), والأنعام: الآية(184) والإسـراء: الآيـة(55), والأنبياء: الآيتان(79,78), والنمل: الآيتان(16,15), وسبأ: الآيتان(13,10), وص : الآيات(24,22,17 30,26).

[3] سورة البقرة : الآية 251.

[4] سورة ص : الآية 17.

[5] ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . ج6 ص50 .

[6] سورة البقرة : الآية 251

[7] سورة ص : الآية 20

[8] القاسمي : **محاسن التأويل** . ج14 ص5085

[9] سورة ص : الآية 25.

2 - كان ذا نفسيّةٍ صافيةٍ شفّافة , وروح نقيّة . حيث وصفه الله تعالى بـالأوّاب فقـال :{وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ}[1]. بمعنى رجّاع إليه تعالى بالإنابة والخشية والعبادة والصيام [2] لقوله عليه السلام :" أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام , وأحب الصيام إلى الله صيام داود , وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه , ويصوم يوما ويفطر يوما " [3] .

3 - كان يتمتع بالحكمة , والبصيرة النافذة القوية في التمييز بين الحق والباطل , ورفع الشبهة. لذا وصفه الله تعالى بقوله : { وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ }[4].

4 - أعطاه الله تعالى العلم والحكم والفهم . قـال سـبحانه : {وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗا }[5]. وقال تعالى : {وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا }[6].

5 - كان جميل المنظر , جميل الصوت . فقد جاء في حديث الذر : " لمـا خلـق الله آدم مـسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ...فـرأى رجـلاً مـنهم فأعجبه وبيص[7] ما بين عينيه . قال : أي رب من هذا ؟ قال : هذا رجل من آخر الأمـم مـن ذريتك يقال له داود " [8]. وروى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري , أن رسول الله ﷺ قال له :" يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود " [9]. والحديث فيه " أن أحداً لم يعط حسن الصوت ما أعطي داود عليه السلام , والمزمار هو الصوت الحسن "[10]

---

[1] سورة ص : الآية 17.

[2] القاسمي : **محاسن التأويل** . ج14 ص5085 .

[3] رواه البخاري . انظر : البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب التهجد . باب من نام عند السحر . رقـم الحـديث (1131) . ج1 ص120 .

[4] سورة ص : الآية 20 .

[5] سورة النمل : الآية 15 .

[6] سورة الأنبياء : الآية 79 .

[7] الوبيص : البريق . انظر : ابن منظور : **لسان العرب** . ج 2 ص 104 .

[8] رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح. انظر: **سنن الترمذي** . كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ . باب (ومـن سـورة الأعراف) . رقم الحديث (3076) , وقال الألباني : صحيح . ص689 .

[9] البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب فضائل القرآن . باب حسن الصوت بالقراءة بالقرآن . رقم الحديث (5048) . ج2 ص 552 . مسلم : **صحيح مسلم** . كتاب صلاة المسافرين . باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن . رقم الحديث (793) . ج1 ص546 .

[10] انظر : ابن حجر : فتح الباري . ج9 ص93 .

6 - كان يأكل من عمله . فقد روى البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رســول ﷺ : "إن داود النبي ﷺ كان لا يأكل إلا من عمل يده"[1] .

ومع كل هذا الملك الذي أعطاه الله إياه , ووجود الحشم والخدم والجند والحراس , فقد حــصل لداود ﷺ الخوف , بل هناك ما هو أشد وهو الفزع.

ثانيا : خوف داود عليه السلام من الخصمين :

ويبدأ هذا المشهد من قول الله تبارك وتعالى:{ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ }[2]

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب:" تتحدث الآيات عن قصة حــدثت لــداود ﷺ تــذكر أن خصمين دخلا عليه مجلسه في صورة غير مألوفة. تسورا السور. ولم يدخلا عليه من المــدخل الطبيعي إليه. ففزع منهم, وتوقع الشر من دخولهما على تلك الصورة التي يقتحمان عليــه فيهــا مجلسه اقتحاماً من غير استئذان, وهو الملك ذو البأس والسلطان, وتقوم على حراســته الجنــود والحجّاب"[3].

ويقول الرازي [4]: " إن السبب في الفزع أن داود ﷺ لمّا رآهما قد دخلا عليه لا من الطريق المعتاد, علم أنما دخلا عليه للشر فلا جرم فزع منهم "[5].

---

[1] البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب البيع . باب كسب الرجل وعمله بيده . رقم الحديث (2073). ج1ص 452.

[2] سورة ص : الآيات21-23 .

[3] الخطيب ,عبد الكريم :**التفسير القرآني للقرآن.** 15مج . بلا طبعة . بيروت : دار الفكر . بلا تاريخ . ج 23 ص 1065-1066 .

[4] هو العلاّمه الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني . المفسّر , كبير الأذكياء, والحكماء ,والمصنفين . له مؤلفات عديدة من أشهرها التفسير الكبير . توفي يوم عيد الفطر ستة 606هــ . انظر: الذهبي, محمد بن أحمد بن عثمــان : **ســير أعلام النبلاء** . 25مج . حققه: بشار عواد و محيي السرحان . ط : 8 . بيروت : مؤسسة الرسالة .1992 . ج21 ص500-501 .

[5] الرازي , فخر الدين محمد بن عمر : **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب** . 16مج . ط: 1. بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . 1981م. ج12-3 ص195 .

وحالة الفزع التي أصابت داود عليه السلام هي مرحلة متقدمة عن انفعال الخوف , فالفزع أشد من الخوف . حيث جاء في المعجم الوسيط أن الفزع هو : الخوف والذعر [1] . وقــال الأصــفهاني: "الفزع : انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف "[2]. وقال ابن عاشــور : " الفــزع: الذعر وهو انفعال يظهر منه اضطراب على صاحبه من توقع شدّة أو مفاجأة "[3] . وقــال فــي معرض تفريقه بينه وبين الخوف : " إن الذي حصل لداود عليه الــسلام فــزع ولــيس خــوف والفزع أعم من الخوف , إذ هو اضطراب يحصل من الإحساس بشيء شأنه أن يتخلص منه "[4]

والمتدبر لهذا المشهد القرآني يصل إلى نتيجة مفادها أن الإنسان مهما علت مكانته وارتفعت رايته , يبقى يعتريه من الخوف ما يعتري بني الإنسان .

فداود عليه السلام أعطاه الله الحكم, والملك, والسلطان, والجاه, والجيوش, والحراس. يفزع ويخاف , ويتوقع الشر , وحصول المكروه . ففي هذا دلالة واضحة على بشرية هذا النبي الكريم , حتى أن البقاعي [5] يصف حالة داود عليه السلام بقوله : " فزع منهم : ذعر, وفرق وخاف منهم , مع ما هو فيه من ضخامة الملك , وشجاعة القلب , وعلم الحكمة , وعز السلطان"[6].

---

[1] مصطفى : **المعجم الوسيط** . ص 687 .

[2] الراغب الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** . ص381 .

[3] ابن عاشور : **التحرير والتنوير** . ج 8 ص 232 .

[4] المرجع السابق : نفس الجزء ص 233 .

[5] هو إبراهيم بن عمر بن حسن أبو بكر البقاعي . مؤرخ , وأديب . سكن دمشق , ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة . له مؤلفات كثيرة , أشهرها : عنوان الزمان في تراجم الشيخ والأقران , ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور. توفي في دمشق سنة 885هـ. انظر: الزر كلي : **الأعلام** . ج1 ص56 .

[6] البقاعي, إبراهيم بن عمر : **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** . 8 مج . خرج آياته ووضع حواشيه : عبد الرزاق المهدي . ط : 1 . بيروت : دار الكتب العلمية . 1995. ج6 ص373 .

المطلب الخامس : مشهد الخوف عند يعقوب عليه السلام

أولاً : ملامح شخصية يعقوب عليه السلام :

يعقوب عليه السلام هو النبي الوحيد الذي بشّرت الملائكة به جدته قبل ولادة أبيه . قال تعالى: { فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ }[1]. وسمّاه الله إسرائيل[2] , ومعناه عبد الله[3]. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً وفي عشر سور من سوره[4].

ويعقوب هو ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . وهذا النسب ذكره الله سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ قال تعالى : {فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ}[5]. وروى البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم "[6]. ومن أبرز ملامح شخصيته :

1 - كان عليه السلام قوي الثقة بالله تعالى , مطمئناً حق الاطمئنان إلى موعود ربه , متفائلاً دائما بالله تعالى . لنرى يعقوب عليه السلام وهو يخاطب أولاده حين أخبروه أن ابنه سرق , قال : { بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ }[7]. ثم يقول

---

[1] سورة هود : الآية 71 .

[2] قال تعالى: {كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ }. [سورة آل عمران. الآية]93 .

[3] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**.ج1 ص331 .

[4] وهي: البقرة: الآيات(140,136,133,132), وآل عمران: الآية(84), والنساء: الآية(163), والأنعام : الآية(84), وهود: الآية(71), ويوسف: الآيات(68,38,6), ومريم: الآيتان(49,6), والأنبياء: الآية(72), والعنكبوت: الآية(27), وص : الآية45).

[5] سورة هود : الآية 71.

[6] البخاري : **صحيح البخاري** .كتاب أحاديث الأنبياء. باب قول الله تعالى: { لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ }.[يوسف : 6] . رقم الحديث (3390).ج2 ص 149 .

[7] سورة يوسف : الآية 83 .

بكل ثقة واطمئنان :{ يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ }[1] .

2- كان ﷺ صابراً على البلاء , وخاصة على بلاء فقدان ولده , فحين وصله خبر أكل الذئب يوسف , وهو موقن أنها مكيدةٌ مـــن أولاده قـــال : {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ }[2]. وحين وصله خبر ولـــده الثـــاني قـــال :{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ}[3].

3- كان ﷺ ذا عاطفة جيّاشة , ونفسيّة رقيقة شفّافة . وقصته مع ولده وحبيبه يوسف ﷺ تدل على هذه النفسية وهذه العاطفة . لقد عمي ﷺ من شدة حزنه وبكائه ووجده على يوسف. قـــال تعالى : {وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ}[4]. ويوم فصلت العير فـــي طريق عودتها من مصر ومعها قميص يوسف شم رائحته وهو بعيد عنه مئات الأميـــال . قـــال تعالى : {وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ }[5] .

4- كان الحرص الشديد يملأ نفسه , والغيرة على الدين تعمر فؤاده , والخوف على مستقبل بنيه يقلق قلبه . فحين كان يعقوب ﷺ على فراش موته , ما كان يشغل باله ونفسه إلا هذه المعاني , وهذه المعالم . قال تعالى :{أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ }[6] .

---

[1] سورة يوسف : الآية 87 .
[2] سورة يوسف : الآية 18 .
[3] سورة يوسف : الآية 83 .
[4] سورة يوسف : الآية 84 .
[5] سورة يوسف : الآية 94 .
[6] سورة البقرة : الآية 133 .

ثانياً : خوف يعقوب عليه السلام على يوسف من إخوته :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى :{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}[1].

يقول القاسمي:"قال القاشاني[2]: هذا النهي – لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ -من الإلهامات المجملة, فإنه قد يلوح صورة الغيب من المجردات الروحانية في الروح, ويصل أثره إلى القلب , ولا يتشخص في النفس مفصلاً حتى يقع العلم به كما هو , فيقع في النفس منه خوف واحتراز إن كان مكروهاً , وفرح وسرور إن كان مرغوباً . وسمي هذا النوع من الإلهام , إنذارات وبشارات . فخاف عليه السلام من وقوع ما وقع قبل وقوعه , فنهاه عن إخبارهم برؤياه احترازاً , ويجوز أن يكون احترازه كان من جهة دلالة الرؤيا على شرفه وكرامته , وزيادة قدره على إخوته فخاف من حسدهم عليه عند شعورهم بذلك "[3]. والأوضح من كلام القاشاني أن يعقوب عليه السلام يمكن أنه قال هذا الكلام وحياً عن طريق الإلهام , أو بواسطة الملك , ويمكن أنه قاله اجتهاداً بسبب معرفته لطبائع النفوس أو بسبب تفرسه في أبنائه , والأب أكثر الناس معرفة بأبنائه .

والملاحظ من خلال هذا المشهد , أن يعقوب عليه السلام قد تحركت مشاعره وأحاسيسه , وبدأ الانفعال ظاهراً على ملامحه , حين حدّثه يوسف عليه السلام برؤياه , فقد بدأ الخوف والقلق يعتريانه {يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا}[4]. و " الكيد هو : إخفاء عمل يضر بالمكيد,

---

[1] سورة يوسف : الآيتان 5,4.

[2] هو عبد الرزاق (جمال الدين) بن أحمد (كمال الدين) ابن أبي الغنائم محمد الكاشي أو الكاشاني أو القاشاني . صوفي مفسّر , من العلماء . له كتب منها : كشف الوجوه الغر في شرح تائية ابن الفارض , والسراج الوهاج في تفسير القرآن , وغيرها. توفي سنة 730هـ . انظر : الزركلي : **الأعلام** . ج3 ص350 .

[3] القاسمي : **محاسن التأويل** . ج9 ص3504-3505 .

[4] سورة يوسف : الآية 5 .

واللام في "لَكَ" لتأكيد صلة الفعل بمفعوله . كقولك : شكرت لك . وتنوين"كَيۡدًاۖ" للتعظيم والتهويل , زيادة في تحذيره من قصّ الرؤيا عليهم "[1].

وهذا المشهد يؤكد حصول انفعال الخوف عند يعقوب عليه السلام تجاه ولده وقرّة عينه يوسف عليه السلام , وهذا الأمر طبيعي جداً , وهو فطرة بشرية مغروزة في أعماق الآباء تجاه أولادهم , فالخطر قد يدهم يوسف عليه السلام من غيرة وحسد إخوته , أو من بطشهم له من خلال وسوسة الشيطان لهم فجاء تحذير يعقوب عليه السلام له .

ثالثاً : خوف يعقوب عليه السلام على يوسف من الذئب :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى :{ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدً۬ا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحۡزُنُنِىٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡڪُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَـٰفِلُونَ }[2].

وفي هذا المشهد نلمح وجود انفعالين عند يعقوب عليه السلام , انفعال الحزن{ إِنِّى لَيَحۡزُنُنِىٓ}, وانفعال الخوف {وَأَخَافُ أَن يَأۡڪُلَهُ ٱلذِّئۡبُ}. والذي يعنينا في هذا المطلب هو انفعال الخوف. فهل حقاً كان يعقوب عليه السلام يخاف الذئب على يوسف ؟ أم يخاف عليه إخوته؟.

يقول القرطبي رحمه الله :"وقيل : إنما قال ذلك لخوفه منهم عليه , وأنه أرادهم بالذئب , فخوفه إنما كان من قتلهم له , فكنّى عنهم بالذئب مساترةً لهم , قال ابن عباس : فسمّاهم ذئاباً. وقيل : ما خافهم عليه , ولو خافهم ما أرسله معهم , وإنما خاف الذئب , لأنه أغلب ما يخاف في الصحاري "[3].

إلا أن الدكتور أحمد نوفل ينفي بشدة أن يكون يعقوب عليه السلام قد قال غير الحقيقة فيقول :" إن نبي الله لا يخبر بغير الحقيقة , فخوف الذئب , واحتمال عدوانه قائم موجود , واحتمال التغافل

---

[1] نوفل , د. أحمد : **سورة يوسف دراسةٌ تحليليةٌ** . ط:1. عمان : دار الفرقان للنشر والتوزيع . 1989. ص278.
[2] سورة يوسف : الآيتان 12,11 .
[3] القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . ج9 ص .14.

والتشاغل عن الولد لتمكين الذئب منه وارد , وخلاصة القول إن قوله: { وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ } . هو عين الحقيقة , وليس خُلفاً من القول . أو نقول : إنه موقن أن الذئب لن يأكل ولده , ولكن يحكي لهم من باب الاحتمال العقلي فحسب , وإن لم يكن من باب الاحتمال الواقعي فإن يعقوب ﷺ كان يبشّر ابنه قبل قليل بأن الله سبحانه سيجتبيه ويتم عليه النعمة"[1].

بينما نجد سيد قطب يذكر أن يعقوب ﷺ كان يقصد إخوة يوسف ﷺ وليس الذئب قائلا: "جعل يعقوب ينفي بطريق غير مباشر أنه لا يأمنهم عليه , ويعلل احتجازه معه بقلة صبره على فراقه وخوفه عليه من الذئب " [2] .

وأياً كان مراد يعقوب ﷺ , إلاّ أن الخوف اعتراه, وبان من طريقة كلامه, ومن حق يعقوب ﷺ أن يخاف وينفعل , سواء خوفه من الذئب , أو من إهمالهم أخاهم فيأكله الذئب , أو من إخوته أنفسهم , وهو يستشعر تغلغل الحسد إلى قلوبهم . وهذا ما أميل اليه .

وهذان المشهدان من مشاهد الخوف ليعقوب ﷺ يوصلان إلى الحقائق التالية:

أولاً: إن يعقوب ﷺ مثله مثل باقي إخوانه من الأنبياء , يعتريه ما يعتريهم , وتتحرك مشاعره وأحاسيسه وانفعالاته , كأب وإنسان . ولقد جلّى الله سبحانه شخصيته ﷺ بواقعيتها .

يقول سيد قطب رحمه الله : " ويعقوب الوالد المحب الملهوف , والنبي المطمئن الموصول وهو يواجه بالاستبشار والخوف معاً تلك الرؤيا الواعدة التي رآها يوسف , وهو يرى فيه بشائر مستقبل مرموق , بينما هو يتوجس خيفة الشيطان وفعله في نفوس بنيه , فتتجلى شخصيته بواقعيتها الكاملة في كل جوانبها "[3] .

---

[1] نوفل : **سورة يوسف دراسةٌ تحليليةٌ** . ص309 .
[2] قطب : **في ظلال القرآن** . ج4 ص1975 .
[3] قطب : **في ظلال القرآن** . ج4 ص1975 .

ثانياً : الثبات الذي كان بادياً على شخصيته , فمع وجود انفعـــال الخــوف عنـــده ﷺ , إلا أن شخصيته لم يظهر عليها الاضطراب , وبقيت ثابتة .

المبحث الثالث

القيم الإيجابية من انفعال الخوف عند الأنبياء عليهم السلام

جعل الله سبحانه وتعالى الأنبياء عليهم السلام محلاً للأسوة والاقتداء فقال تعالى: {فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ}[1]. وقال تعالى : {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا }[2]. كما جعل الله تعالى في قصصهم عبرة وعظة للمؤمنين وأولي الألباب فقال جلّ ثناؤه :{لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ}[3]. من هنا أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقصص القصص على الناس للاعتبار , وأخذ الدروس , والاستفادة منها في حياتهم ومعايشهم فقال سبحانه :{فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[4].

فقصص الأنبياء عليهم السلام فيها العبرة والعظة , وفيها القيم والدروس , فهي " كنز لا ينفذ , ومعين لا ينضب , في دروسه ودلالاته وعبره , في الإيمان والعقيدة , وفي العمل والدعوة وفي الجهاد والمواجهة , وفي المنطق والأسلوب , وفي الصبر والثبات , وفي الموازين والحقائق "[5]. و " مواقف الأنبياء عليهم السلام تسهم مساهمة كبيرة في تحصين أبناء أمتنا , وهم يضيفون إلى تجاربهم القليلة , تجارب عامرة بالدروس والعظات , ويضيفوا إلى أعمارهم أعماراً جديدة , فيحاولون استشراف المستقبل الواعد, بوصله بالمجد العريق"[6].

ونحن ومن خلال مشاهد انفعال الخوف التي حدثت للأنبياء (موسى, وإبراهيم , ولوط وداود, ويعقوب) عليهم السلام . سنستلهم القيم الإيجابية , والدروس العملية , لنواجه الواقع بها, ونعيش الحياة من خلالها . وأهم هذه القيم :

---

[1] سورة الأنعام : الآية90 .

[2] سورة الأحزاب : الآية21 .

[3] سورة يوسف : الآية111.

[4] سورة الأعراف : الآية 176.

[5] الخالدي , د. صلاح عبد الفتّاح : **مع قصص السابقين في القرآن** . ط:4. دمشق : دار القلم . 2004م. ص30 .

[6] العلي , إبراهيم محمد : **الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء** . ط:1. دمشق , بيروت : دار القلم , الدار الشامية . 1995م. ص6 .

أولاً: الخوف ظاهرةٌ طبيعية , تصيب الإنسان أياً كان هذا الإنسان . يقــول الــدكتور ميــشيل دبابنه:" فالخوف أمر طبيعي معقول وضروري , يؤدي إلى حماية الفرد , والمحافظة عليه, وهو في درجاته المعقولة صفة طيّبة يجب الاتصاف بها . أما إذا كان الخوف كثيراً , ويتكرر الوقوع لأية مناسبة يكون شاذاً . كما أن انعدام الخوف في شخص ما أمر غير عادي , وهو نادر للغاية , ويغلب أن يكون سببه قلة الإدراك "[1]. ويقول الدكتور محمد بني يــونس :" الخــوف ظــاهرةٌ طبيعيةٌ أو سوية . ولا يدل على أي اضطراب نفسي أو انحراف في الشخصية طالما أن هنــاك أسباباً معقولةً له , وأن يكون مستوى الخوف الذي يبديه الشخص الخائف يتناســب مــع حجــم المخيف . والخوف في حد ذاته ليس شيئاً رديئاً يجب القضاء عليه , أو يجب الاســتغناء عنــه تماماً في مجالات التربية , والمجالات الاجتماعية العادية"[2].

وعليه فإن الخوف الذي أصيب به الأنبياء عليهم السلام كان خوفاً طبيعيا , جاء كــرد فعــل لحادثة أو واقعة واجهتهم , ولم يأت من باب الضعف أو الجبن أو الخور, حاشاهم.

فموسى عليه السلام مثلاً كان قوياً , شجاعاً , قبل النبوة , وبعدها . ذكر المولى عز وجل أنه قــضى على القبطي بوكزة واحدة , فقال سبحانه :{ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ }[3]. وقال ابن كثير عند قول الله ســبحانه : {وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾}[4]." قال المفسرون : وذلك أن الرعاة كانوا إذا فرغوا من وردهم , وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة , فتجيء هاتان المرأتان فيشرعان من فضل أغنام الناس . فلما كان ذلك اليوم , جاء موسى فرفع تلك الصخرة وحده , ثم استقى لهما , وسقى غنمهما "[5]. وهذا يدل على مدى قوته عليه السلام. وقد وصفت إحدى المرأتين موســى

---

[1] دبابنه, د.ميشيل: **سيكولوجية الطفولة** . بلا طبعة .عمّان: دار المستقبل للنشر والتوزيع . 1984م. ص169 .
[2] بني يونس : **سيكولوجية الدافعية والانفعالات** . ص244-245 .
[3] سورة القصص : الآية15 .
[4] سورة القصص : الآيتان 24,23.
[5] ابن كثير ,أبو الفداء إسماعيل بن عمر : **قصص الأنبياء** . ط:1. كانو: مكتبة أبو بكر أيوب . 2001م. ص229 .

عليه السلام بالقوة لما رأت ما صنع لهما , قالت :{ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ }[1]. وإنما الذي حصل لهم عليهم السلام من انفعال الخوف, كان بحكم بشريتهم وإنسانيتهم وكان بحجم المؤثر. إذ لو زاد على ذلك لأصبح جُبناً, وحاشاهم .

وإذا كان الخوف ظاهرةً طبيعية , والأنبياء عليهم السلام أصيبوا به , فلا يجوز في مجال التربية , والمجالات الاجتماعية أن نلوم أو نعتب أو نعنّف من ينفعل خوفاً , ما دام الخوف لم يخرج عن حدّه , وطالما أن له أسباباً معقولة . وذلك أن الخوف ظاهرةٌ بشريةٌ إنسانيةٌ تصيب أرفع الناس مكانةً كما تصيب أدنى الناس منزلةً. فالتربية الأسرية أو الاجتماعية يجب أن تراعي في الفرد هذا الجانب . يقول الدكتور بني يونس:" فالخوف كانفعال إذا حدث ضمن حدوده الطبيعية المعتدلة , فان له أهمية بالغة في التكيف مع المحيط الفيزيائي على أكمل وجه أما إذا خرج عن حدوده الطبيعية فانه يتحول إلى خوف مرضي"[2].

ثانياً : انفعال الخوف لا يوقف عجلة التطور والتغيير , أو حركة الدعوة والجهاد . فقد رأينا في مشاهد انفعال الخوف عند الأنبياء عليهم السلام, أن مسار الدعوة , وحركة التغيير , زادت بعد انفعال الخوف , أو بقيت مستمرة على حالها . وهذا يدل على أن الخوف الذي حصل للأنبياء كان مرحلياً عرضيا , وأنه زال بزوال أثره , أو تم التكيّف مع المؤثر , بحيث لم يؤثر على مسيرة الدعوة والتغيير . فمثلا لوط عليه السلام , والذي امتزج عنده انفعال الخوف باليأس والحزن والأسى وقال كلمته التي تدل على عمق الأسى الذي أصيب به {قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ}[3]. رأيناه وهو في قمة هذا الانفعال , يجادل ويناظر ويناقش ويهاجم , بل ويضع لقومه الحلول {هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ}[4]. مما يدل على أن لوطاً عليه السلام استطاع أن يتكيف في مرحلة ما مع المؤثر ويستمر في مسيرة الدعوة والبلاغ . وهذا موسى عليه السلام في

---

[1] سورة القصص : الآية 25 .

[2] بني يونس : **سيكولوجية الدافعية والانفعالات** . ص247.

[3] سورة هود: الآية 80 .

[4] سورة هود : الآية 78 .

مواجهته لسحرة فرعون , وأمام الملأ من قوم فرعون , وفي خضم معركة إثبات النبوة والرسالة , أوجس في نفسه خيفة , لكنه استمر في المعركة حتى النهاية , وكان النصر بعون الله حليفه .

وهكذا فان الواجب على أتباع الرسول ﷺ والسائرين على خطى الأنبياء عليهم السلام , أن يتنبهوا لهذه القضية المصيرية , وأن لا يوقفوا حركة الدعوة والتغيير بسبب خوف عارض , بل لابد أن تكون مشاهد ووقائع الخوف التي تواجههم حافزاً على العطاء , والاستمرار في الحركة والدعوة والجهاد .

إن الداعية تواجهه ظروف ووقائع وحوادث يصطنعها الطغاة لتثنيه عن مواصلة الدعوة والجهاد قد تخيفه ظاهرا , أو تشعره بالخوف باطنا . والشيطان يلعب دوره في مسيرة الداعية والدعوة , لإحباط الداعية , وتثنيه عن مواصلة الدعوة , قال تعالى:{ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[1]. فالداعية عليه أن يعرف جيداً أن " الشيطان صاحب مصلحة في أن ينتفش الباطل , وأن يتضخم الشر , وأن يتبدّى قوياً قادراً قاهراً , بطّاشاً جبّاراً لا تقف في وجهه معارضة , ولا يصمد له مدافع ... فتحت ستار الخوف والرهبة , يفعل أولياؤه في الأرض ما يقر عينه ... ومن هنا يكشفه الله , ويوقفه عارياً لا يستره ثوب من كيده ومكره , ويعرّف المؤمنين الحقيقة : حقيقة مكره ووسوسته ليكونوا منها على حذر. فلا يرهبوا أولياء الشيطان ولا يخافوهم . فهم وهو أضعف من أن يخافهم مؤمن يركن إلى ربه , ويستند إلى قوّته ."[2].

ثالثاً : انفعال الخوف لا يؤثر على الثبات على المبدأ , لأن صاحب العقيدة والمبدأ , وحامل الرسالة والفكر , ومبتعث الرب إلى الخلق لإخراجهم من ظلمات الجهل وأوحاله إلى نور المعرفة والهداية , لا تؤثر في عقيدته ودينه ومبدئه مشاهد الخوف مهما عظمت , ووقائعه مهما ضخمت , ما دامت ثقته بالله موصولة .

---

[1] سورة آل عمران . الآية175 .

[2] فائز , أحمد: **طريق الدعوة في ظلال القرآن** . بلا طبعة . بيروت : مؤسسة الرسالة . 1981م. ج1 ص249-250.

فها هو إبراهيم عليه السلام يقف أمام مشهد مرعب , ومنظر مخيف , وواقعة لا تكاد الجبال تقف أمامها , من هولها وشدّتها . إنه يقف أمام بنيان من النار الملتهبة , بنيت خصيصا ليلقى فيها, فقد قال الطغاة : { ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ }[1] . قال محمد زين العابدين : " أجمع قوم إبراهيم على قتل نبيهم , واختاروا له أفظع قتلة , وهي الإحراق بالنار , وليس في أيّ نار , بل بنوا بنياناً شاهقاً , ووضعوا فيه كميات كبيرة من الحطب , شارك القوم كلهم في جمعها "[2]

وقد شارك وساهم في هذه النار الوزغ[3] . فعن أم شريك رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ وقال : " كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام " [4].

وأمام هذا البنيان العظيم الشاهق من النار , والذي تتقطع أمامه أفئدة أعتى البشر , يقف إبراهيم عليه السلام رابط الجأش , واثق الخطى , راسخ الإيمان . أشد رسوخاً من الجبال الرواسي . وكانت ثقته بنصر الله وتأييده أقوى من الأرض ومن عليها.

ولقد كان إبراهيم عليه السلام في هذه الأثناء فتىً يافعا , في مقتبل عمره , قال تعالى : {قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ }[5]. لكن هذا اليافع – صاحب العقيدة والمبدأ – كان كالجبل في ثباته, وصموده , وتحديه .

وما إن خرج صوت من القوم قائلاً: {حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ }[6]. حتى رفع إبراهيم عليه السلام صوته بالسلاح الأمضى , حسبنا الله ونعم الوكيل. فعن ابن عباس رضي الله

---

[1] سورة الصافات : الآية 97 .

[2] زين العابدين , محمد سرور : **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله** . 2مج . ط : 3 . لندن : دار الأرقم للنشر والتوزيع. 1988. ج1 ص127.

[3] هو بفتح الواو والزاي والغين المعجمة : دويبة معروفة , واتفقوا على أن الوزغ من الحشرات المؤذيات . انظر : الدميري , محمد بن موسى بن عيسى : **حياة الحيوان الكبرى** . 2مج . اعتنى بتصحيحه: عبد اللطيف سامر بيتيه . ط: 2. بيروت : دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي . 1999 . ج2 ص215.

[4] رواه البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب أحاديث الأنبياء . باب قول الله تعالى **{وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا}** [النساء : 125] . رقم الحديث (3359) . ج2 ص 141.

[5] سورة الأنبياء : الآية 60.

[6] سورة الأنبياء : الآية 68 .

عنهما قال: " حسبنا الله ونعم الوكيل . قالها إبراهيم حين ألقي في النار , وقالها محمد ﷺ حين قالوا : { إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ }[1]"[2].

ولم يحدثنا القرآن الكريم هنا عن حصول انفعال خوف لإبراهيم عليه السلام , ذلك لأن الموقف كان يتطلب الصلابة, والثبات على المبدأ .

وهذا موسى عليه السلام ومعه قومه , حين طاردهم فرعون وزبانيته , ليفتنوهم عن دينهم ويزحزحوهم عن مبدئهم . قال تعالى : { فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ۝ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ }[3]. فهذا النص القرآني يكشف الستر عن الحالة النفسية التي أصابت قوم موسى بقولهم : {إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ} . ومعلوم أن إدراك فرعون لهم سيكون من نتيجته القتل والصلب . أما موقف صاحب المبدأ والعقيدة موسى عليه السلام فهو مغاير تماماً لموقف قومه . إنه موقف الثابت , الراسخ, الموصول بالله تعالى { كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ}. بهذه الكلمات التي تدل على مدى ثباته ويقينه , وثقته بربه . يقول سيد قطب : "ولكن موسى الذي تلقّى الوحي من ربه , لا يشك لحظة وملء قلبه الثقة بربه , واليقين بعونه , والتأكد من النجاة , وإن كان لا يدري كيف تكون . فهي لا بد كائنة والله الذي يوجهه ويرعاه .{قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ}[4].. كلا . في شدّة وتوكيد . كلا لن نكون مدركين . كلا لن نكون هالكين . كلا لن نكون مفتونين . كلا لن نكون ضائعين . بهذا الجزم والتأكيد واليقين"[5].

وعلى منهج الأنبياء سارت جماعة من المؤمنين السابقين . ذكرهم الله في سورة البروج. أرادهم الطغاة المجرمون أن يتجردوا من إيمانهم , ويتنصلوا من مبدئهم . وساوموهم على ذلك لكنهم " أبوا, وتمنّعوا بعقيدتهم . فشق الطغاة لهم شقاً في الأرض , وأوقدوا فيه النار , وكبّوا فيه

---

[1] سورة آل عمران : الآية 173.

[2] رواه البخاري . **صحيح البخاري** . كتاب التفسير . باب {ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ}. [آل عمران: 173]. رقم الحديث (4563). وفي رواية أخرى للحديث في البخاري عن ابن عباس قال : " كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار حسبي الله ونعم الوكيل" رقم الحديث (4564).ج2 ص 406.

[3] سورة الشعراء : الآيات 60-62 .

[4] سورة الشعراء : الآية 62 .

[5] قطب : **في ظلال القرآن** . ج5 ص2599 .

جماعة المؤمنين , فماتوا حرقاً " [1] . قال تعالى :{ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ }[2].

إن مشهد هذه الفئة المؤمنة وهي تساق الواحد وراء الآخر , الصغير منهم والكبير والمرأة والرجل , يساقون إلى هذا الأخدود , وفيه النيران مستعرة , من دون خوف ولا وجل. إذ لم يذكر القرآن حصول خوف من أحدهم . ليدل على رسوخ العقيدة والمبدأ في قلوبهم , واستعلاء الإيمان في نفوسهم . " لقد كان في استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم . ولكن كانوا يخسرون هم أنفسهم وكم كانت البشرية كلها تخسر كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير . معنى زهادة الحياة بلا عقيدة . وبشاعتها بلا حرية . وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد "[3] .

وقد ذكر الرسول ﷺ نماذج من المؤمنين الذين صمدوا أمام مشاهد الفزع والخوف , يوم ساومهم المجرمون على دينهم ومبدئهم . فما خافوا وما جبنوا أمام هذه الوقائع التي مزّقت أجسادهم , وقطّعتها إرباً إرباً . فقد روى البخاري في صحيحه عن خبّاب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟. فقال : " قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها , فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين , ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه , فما يصدّه ذلك عن دينه , والله ليتمنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على الغنم , ولكنكم تستعجلون "[4].

---

[1] المرجع السابق : ج6 ص3871 .

[2] سورة البروج : الآيات 4-8 .

[3] قطب , سيد : **معالم في الطريق** . بلا طبعة . بيروت : دار الشروق . بلا تاريخ . ص176 .

[4] البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب الإكراه . باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر . رقم الحديث (6943) .ج3 ص345 .

فعلى الدعاة والمصلحين , والمبتعثين بأمر الله لهداية الخلق , أن يقتفوا أثر هــؤلاء , وأن يتمسكوا بمبادئهم وعقيدتهم , مهما كانت مشاهد الخوف مفزعة , ووقائعه مرعبة , لأن الخــوف الحقيقي يجب أن يكون من الله تعالى , وأما قوى الأرض كلها فإنها " لا تخيف , أو لا ينبغي أن تخيف , لأنها قوى مسخرة , لا تستمد من نفسها , ولا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً . والقوة التــي يجب أن تخاف حقاً هي القوة التي بيدها كل شيء . هي المانعة حقــاً , والمانحــة حقــاً , وإذن فخوفها هو الخوف الواجب , وخشيتها هي السبيل "[1] .

[1] قطب , محمد : **منهج التربية الإسلامية** . ط: 2 . بيروت , القاهرة : دار الشروق . بلا تاريخ . ص161 .

الفصل الرابع

انفعال الغضب

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الغضب ودلالته النفسية

المبحث الثاني: مشاهد انفعال الغضب عند الأنبياء

المبحث الثالث: القيم التربوية لانفعال الغضب عند الأنبياء

المبحث الأول

مفهوم الغضب ودلالته النفسية

أولاً : الغضب في اللغة والاصطلاح :

قال ابن فارس: " الغين , والضاد , والباء , أصل صحيح يدل على شدّة وقــوة. يقــال: إن الغضبة: الصخرة الصلبة. قالوا:ومنه اشتق الغضب , لأنه اشتداد السخط ".[1]

وعرّف ابن منظور الغضب: ب" نقيض الرضا".[2] وهذا التعريف هو نفس تعريف ابن فارس فإن نقيض الرضا, هو السخط , أو شدّة السخط .

والغَضْبُ هو: " الأحمر الشديد الحمرة "[3] . وهذا اللون هو في الغالب ما يظهر على وجــه الغضبان حين يشتّد غضبه, وخاصة إذا كان صاحب بشرة بيضاء . جاء في الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : " خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر. فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب "[4]. وهذا من شدّة احمرار وجهه عند الغضب ﷺ . فشبّه هذا الاحمرار بفقء حب الرمان في وجهه.

أمّا اصطلاحاً: فقد تنوعت واختلفت تعريفات العلماء للغضب, لكنها بمجموعها لا تخرج عن نطاق وحدود خلاف التنوع . فكل التعريفات الاصطلاحية له تصب في معنى واحد , لا يختلف كثيراً عن معناه في اللغة. فقد قيل إن الغضب هو:

1 - "غليان دم القلب بطلب الانتقام "[5] .

---

[1] ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة.** ج4 ص428 .

[2] ابن منظور: **لسان العرب.** ج1 ص648 .

[3] الرازي: **مختار الصحاح.** ص476.

[4] رواه ابن ماجه. ابن ماجه, أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: **سنن ابن ماجه.** حكم على أحاديثه: الألباني. واعتنى بــه: مــشهور آل سلمان. ط:1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. بلا تاريخ. وقال الألباني: حديث حسن صحيح. ص31.

[5] الغزالي , محمد بن محمد : **إحياء علوم الدين .** 5مج . ط:4 . بيروت : دار الكتب العلمية . 2005م-1426هـ. ج3 ص224. وانظر : ابن رجب الحنبلي , عبد الرحمن بن أحمد : **جامع العلوم والحكم .** بلا طبعة . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر . بلا تاريخ . ص 126.

2 - " غليان القلب بسبب ما يؤلم "[1] .

3 - " استجابة لانفعال تتميز بالميل إلى الاعتداء"[2] .

وهذه التعريفات تدور على معنى واحد هو: ثوران دم القلب, وهيجانه .

ويمكن أن ينعكس الغضب على وجه الغضبان, بحيث تنتفخ أوداجه, ويحمّر وجهه, إرادة الانتقام ممن تسبب له بالغضب . وكل هذه المعاني يعبر عنها بشكل دقيق حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال : " ألا وإن الغضب جمرةٌ في قلب ابن آدم , أما رأيتم إلى حمرة عينيه, وانتفاخ أوداجه"[3].

ثانياً : الغضب عند علماء النفس :

عرّف علماء النفس الغضب بتعريفات قريبة جداً من تعريفات علماء اللغة والشرع. فقد عرّفوا الغضب بأنه[4]:

ـ " حالة انفعالية تتحدد بوجود إثارة فسيولوجية, وعنصر إدراكي معرفي .

ـ شعور قوي بعدم الرضا, موجه نحو شخص ما أو شيء ما , يؤدي إلى تسبيب الأذى أو الإزعاج للشخص المعنى, أو إلى أي شخص يهمه أمره, بهدف الحماية من التعرض لمثل هذه الحالة في المستقبل .

---

[1] الثعالبي , أبو زيد عبد الرحمن بن محمد: **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** . 2مج . بلا طبعة . بيروت : منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بلا تاريخ . ج2 ص54 . وانظر : أبو صفية , عبد الوهاب رشيد : **شرح الأربعين النووية في ثوب جديد** . ط : 2 . عمّان : دار البشير للنشر والتوزيع . 1993 . ص 206 .

[2] مصطفى: **المعجم الوسيط**. ص654 .

[3] رواه الترمذي : **سنن الترمذي** . كتاب القدر . باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة . رقم الحديث (2191). وقال : حديث حسن صحيح . وقال الألباني : ضعيف . ص496.

[4] بني يونس: **سيكولوجية الدافعية والانفعالات.** ص 247-248.

ــ استجابة انفعالية حادة تثيرها مواقف التهديد, أو العدوان, أو القمــع , أو الإحبــاط أو خيبــة الأمل, ويصحب الغضب استجابات قوية في الجهاز العصبي المستقبل, وخاصة الجهاز العصبي, والذي يدفع المرء إلى الاستجابة بالهجوم إما بدنيا أو لفظياً .

ــ انفعال إنساني يظهر كسلسلة من ردود الأفعال الفعلية, والجسدية, واللفظية ,استجابة للتهديــد أو التهديد المدرك, ويتطلب من (1 -30 جزء من الثانية) من لحظة إدراك التهديد إلــى لحظــة ردود الأفعال الجسمية, والعقلية المتزامنة".

والملاحظ من هذه التعريفات ما يلي:

1 - انسجامها مع التعريف اللغوي والشرعي للغضب .

2 - تشير إلى أن الغضب حالةٌ انفعاليةٌ مؤقتةٌ تطول أو تقصر وتقوى أو تضعف حسب المؤثر وحسب طبيعة الشخص .

ثالثا: أقسام الغضب وموقف الأنبياء عليهم السلام منه:

والغضب قد يكون ممدوحاً , وقد يكون مذموماً , ولذا يمكن أن نقسمه إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول : غضب الله عز وجل:

وهو صفة من صفات الفعل الثابتة له عز وجل على الوجه اللائق به[1], ثبتت بالكتاب والــسنّة, فمن الكتاب قوله تعالى: { وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا }[2]. ومن السنّة , ما ثبت في حديث الشفاعة الطويل عندما يفــزع النــاس

---

[1] العثيمين, محمد بن صالح: **شرح العقيدة الواسطية.** اعتنى به وخرّج أحاديثه: أحمد بن علي. ط:1. القاهرة : دار ابن الهيــثم. 2002. ص187 .

[2] سورة النساء : الآية 185 .

إلى الأنبياء, يطلبون منهم الشفاعة , فكل نبي يأتونه يقول لهم:" إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله, ولن يغضب بعده مثله"[1].

القسم الثاني: غضب الإنسان: ويقسم إلى قسمين:

1 - غضب مذموم (سلبي) : وهو الغضب الدنيوي , الذي يكون في غير الحق . وإنما يكون لهوى النفوس , يتجاوز فيه العبد بقوله , فيشتم ويقذف , ويجرح الآخرين بكلمات مؤذية ويتجاوز فيه بفعله , فيضرب ويتلف أموال الآخرين وأملاكهم .

وإذا أطلق الغضب فإنما يطلق على هذا النوع في الأغلب الأعم , لهذا حذّر منه الإسلام أيّما تحذير , واعتبره أساس كل مصيبة وبليّه , وسبباً لجلب الدمار والخراب , والقتل والأعمال العدوانية .

فقد روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال : إن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني: قال: " لا تغضب, فردّد مراراً قال: لا تغضب"[2].

وروى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سأل رسول الله ﷺ ما يباعدني من غضب الله عز وجل ؟ قال : " لا تغضب "[3].

2 - غضب محمود(ايجابي) : وهو الذي يكون لله , ومن أجل الله, وإذا انتهكت محارم الله.ويكون للحق إذا اعتدي على الإنسان بدون وجه حق على ماله , أو نفسه , أو عرضه , أو ولده . فهذا

---

1 البخاري: **صحيح البخاري.** كتاب أحاديث الأنبياء. باب قول الله عز وجل { **وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ** } [هود:25]. رقم الحديث (3320) . ج2 ص 135.

2 البخاري: **صحيح البخاري.** كتاب الأدب. باب الحذر من الغضب. رقم الحديث (6116) . ج3 ص161. ورواه الترمذي عن أبي الحصين بلفظ : " جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله علّمني شيئاً ولا تكثر علي لعلّي أعيه , قال : لا تغضب , فردد ذلك مراراً كل ذلك يقول لا تغضب " . **سنن الترمذي** . كتاب البر والصلة . باب ما جاء في كثرة الغضب . رقم الحديث (2020) . وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وقال الألباني : صحيح . ص 457.

3 ابن حنبل : **مسند الإمام أحمد** . ج2 ص175 .

الغضب يكون مستساغاً شرعاً , وقد يكون واجباً , لكن يجب أن يتصرف أثنـــاء غــضبه هــذا بحدود دينه, وبما يوافق الحق والعدالة.

وغضب الأنبياء عليهم السلام من هذا القسم المحمود , فقد كانوا لا ينتقمون لحظــوظ أنفــسهم وإنما يغضبون حين تنتهك محارم الله , وسنأتي بالأمثلة والشواهد على ذلك في المطلب الثـــاني وهو " مشاهد الغضب عند الأنبياء "[1] .

قال ابن منظور: " قال ابن عرفه : الغضب: من المخلوقين شيء يداخل قلوبهم ومنه محمـــود ومذموم , فالمذموم ما كان في غير الحق , والمحمود ما كان في جانب الــدين والحــق, وأمـــا غضب الله فهو إنكاره على من عصاه فيعاقبه "[2] .

والخلاصة " أن الغضب من شيم بني آدم , فــلا يُــذم , ولا يُمــدح إلا مــن جهــة آثـــاره ومقاصده"[3] .

وبعد هذا التعريف للغضب عند علماء اللغة والشرع والنفس , وتقسيمه إلى أقسامه المختلفـــة سأدخل إلى انفعال الغضب عند الأنبياء عليهم السلام . لنرى كيف كان هذا الانفعال ؟ ولنأخـــذ ثلاثة أنبياء , وقع منهم انفعال الغضب وهم موسى , ويونس , وسليمان , عليهم السلام .

---

[1] انظر : صفحة : 75 .

[2] ابن منظور: **لسان العرب.** ج1 ص649.

[3] سلطان, ناظم محمد : **قواعد وفوائد من الأربعين النووية.** ط:5. الرياض : دار الهجرة للنشر والتوزيع . 1997 ص 148.

المبحث الثاني

مشاهد انفعال الغضب عند الأنبياء عليهم السلام

ذكر القرآن الكريم انفعال الغضب عند بعض الأنبياء عليهم السلام في مناسبات عديدة وضمن مشاهد ووقائع مختلفة , وقد كان هذا الانفعال متفاوتاً بين الأنبياء حسب طبيعة النبي وحسب الواقعة أو المشهد الذي واجهه . وفي هذا المبحث سأتكلم عن هذا الانفعال عند ثلاثة أنبياء .

المطلب الأول : مشهد الغضب عند موسى عليه السلام

ذكر القرآن الكريم انفعال الغضب عند موسى عليه السلام في موضعين اثنين , وذكر حجم وشدّة هذا الانفعال , والآثار التي نجمت عنه , كما صوّر شخصية موسى عليه السلام الانفعالية[1] .

أولا: غضب موسى عليه السلام على عبادة قومه للعجل:

يبدأ هذا المشهد من قوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ }[2].

أما الموضع الثاني فقوله تعالى في سورة طه:{ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا

---

[1] سبق بيان ملامح شخصية موسى عليه السلام ص 35 .

[2] سورة الأعراف: الآيات 148 – 150.

وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ}[1]

ففي هذين الموضعين من هذا المشهد يبين الحق سبحانه وتعالى ما يلي:

1ــ السبب أو (المؤثر) الذي أدّى إلى انفعال الغضب عند موسى عليه السلام .

2ــ حجم الغضب وشدتّه عند موسى عليه السلام .

3ــ الآثار الناجمة عن هذا الغضب .

وسأذكر بإيجاز بعض التفصيلات الضرورية المتعلقة بهذه القضايا الثلاثة :

أولاً: السبب أو (المؤثر) الذي أدّى إلى انفعال الغضب عند موسى عليه السلام :

يذكر المولى عز وجل أن السبب المباشر و المؤثر الحقيقي الذي أدّى إلى انفعال الغضب عند موسى عليه السلام هو اتخاذ قومه عجلاً يعبدونه ويعكفون عليه قال تعالى: { وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌ..} [2].

يقول أبو السعود[3] في تفسيره : " وإنما نسب اتخاذه إليهم وهو فعله إما لأنه واحد, وإما لأنهم رضوا به فكأنهم فعلوه , وإما لأن المراد بالاتخاذ اتخاذهم إياه إلها لا صنعه وإحداثه "[4].

---

[1] سورة طه: الآيات 85 – 88 .

[2] سورة الأعراف : الآية 148.

[3] هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي, المولى , أبو السعود, الإمام, العلّامة, مفسر, وشاعر, وهو من علماء الترك المستعربين, ولد بقرية بالقرب من القسطنطينية, تقلد قضاء القسطنطينية, وهو صاحب التفسير المعروف بتفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم, له رسالة في المسح على الخفين, وكان ذو حظوة عند السلطان . توفي في القسطنطينية, ودفن بجوار قبر أبي أيوب الأنصاري سنة 982 هـ . انظر : ابن العماد : **شذرات الذهب** . ج8 ص398- 400. الزر كلي: **الأعلام**. ج7 ص59.

[4] أبو السعود, محمد بن محمد بن مصطفى العمادي : **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** . 6مج. وضع حواشيه : عبد اللطيف عبد الرحمن. ط:1. بيروت: دار الكتاب العربي . 1999م. ج3 ص32-33 .

وقد ذكر الله سبحانه أن الذي قام بهذا الدور الإجرامي هو السامري قال سبحانه:{ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ }[1] وإضافة الله سبحانه القوم إلى موسى عليه السلام هكذا{ قَوْمُ مُوسَىٰ } " تذكيرا لهم بتلك الآيات التي أجراها الله على يديه , تلك الآيات التي لم يكن لهم منها عبرة أو عظة... وفي هذا توبيخ لهم , واسترذال لعقولهم , وأنه ما كان لقوم ينتسبون إلى موسى الذي جاءهم بهذا الخير الكثير, وبتلك الآيات المشرقة , أن يفعلوا هذا الفعل المنكر الذي فعلوه "[2].

وقد صنع بنو إسرائيل هذا العجل في غياب موسى عليه السلام حين ذهب لموعود ربه مدة أربعين ليلة , قابل فيها ربه عز وجل , وأعطاه فيها الألواح. وأخبره ربه بما فعل قومه قائلاً:{ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ }[3] فانعكس هذا الخبر على موسى عليه السلام غضباً وأسىً , لذا فإن السبب الحقيقي لغضب موسى عليه السلام هو اتخاذ قومه عجلاً يعبدونه من دون الله , وهذا الغضب من القسم المحمود الذي يؤجر عليه فاعله .

ثانياً: حجم وشدّة انفعال الغضب عند موسى عليه السلام :

يذكر المولى سبحانه أن الغضب عند موسى عليه السلام بلغ أعلى درجاته , وعبّر عن ذلك بقوله:{ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا}[4] فحين رجع موسى عليه السلام إلى قومه , بعد إعلام الله له بما حصل معهم من عبادة العجل , غضب عليه السلام غضباً شديداً , وامتزج غضبه بالحزن والأسى .

يقول ابن عاشور: " الغضب انفعال النفس وهيجان ينشأ عن إدراك ما يسوؤها , ويسخطها دون خوف, والوصف منه غضبان . والأسف انفعال للنفس ينشأ عن إدراك ما يحزنها وما تكرهه مع إنكار الخاطر, والوصف منه أسفاً. وقد اجتمع الانفعالان في نفس موسى عليه السلام , لأنه يسوؤه وقوع ذلك في أمته , فانفعاله المتعلق بحالة غضب, وهو أيضا يحزنه وقوع ذلك, وهو

---

[1] سورة طه: الآية 85 .
[2] الخطيب: **التفسير القرآني للقرآن.** ج9 ص482 .
[3] سورة طه : الآية 85 .
[4] سورة الأعراف : الآية 150.

في مناجاة الله التي يأمل أن تكون سبب رضى الله عن قومه, فإذا بهم أتوا بما لا يرضي الله ولذلك انكسر خاطره"[1] .

فابن عاشور يؤكد حصول انفعالين عند موسى عليه السلام انفعال الغضب , وانفعال الأسف, فموسى عليه السلام غضب حين أخبره ربه بعبادة قومه العجل , ورأى بعد ذلك العجل بينهم , وحزن على حالة قومه لأنه كان يأمل رضى الله عليهم . لذلك انكسر خاطره مما سبّب له انقباضاً تولد عنه شدة الحزن .

وقال الأصفهاني:" الأسف : الحزن والغضب معاً. وقد يقال لكل واحد منهما على الانفراد وحقيقته : ثوران دم القلب شهوة الانتقام . فمتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضبا ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزناً, ولذلك سأل ابن عباس عن الحزن والغضب؟ فقال: مخرجهما واحد , واللفظ مختلف , فمن نازع من يقوى عليه أظهره غيظاً وغضباً, ومن نازع من لا يقوى عليه أظهره حزناً وجزعاً "[2].

وهذه لفتة ولطيفة من الأصفهاني في جمع(الأسف والغضب) معاً عند موسى عليه السلام . للدلالة على شدة انفعال الغضب .

وعليه فإنّ موسى عليه السلام قد عاد إلى قومه " غضبان أشد الغضب, يبدو انفعال الغضب في قوله وفعله "[3]. وهذا الغضب محمود ولاشك , ولا يلام عليه , وليس مخطئا فيه " فغضب موسى عليه السلام إنما هو لله , وغيرة على دين الله , ورفضٌ للباطل والمنكر, والكفر والضلال, وهو مأجور على هذا الغضب"[4].

---

[1] ابن عاشور: **التحرير والتنوير.** ج7 ص280-282 .

[2] الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن .** ص27 .

[3] قطب : **في ظلال القرآن** . ج4 ص1374 .

[4] الخالدي : **مواقف الأنبياء في القرآن** . ص267.

ثالثاً: الآثار التي نتجت عن انفعال الغضب عند موسى عليه السلام :

لقد انعكس الغضب عند موسى ﷺ على قوله وفعله ونتج عنه ثلاثة أمور هي:

1ـ التوبيخ والإنكار على قومه :

قال تعالى على لسان موسى ﷺ:{ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ }[1] يقول رشيد رضا : " أي بئس خلافة خلفتمونيها من بعد ذهابي عنكم إلى مناجاة الرب تعالى من بعد ما كان من شأني معكم أن لقّنتكم التوحيد وكَفَفْتُكُم عن الشرك... فكان الواجب عليكم أن تخلفوني, باقتفاء سيرتي. ولكنكم خلفتموني بضدها. إذ صنعتم لكم صنماً كأصنام أولئك القوم... فالتوبيخ عام , وفيه تعريض خاص بهارون ﷺ لأنه جعله خليفته فيهم "[2] . لقوله تعالى: {وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ }[3] . وقال تعالى على لسان موسى ﷺ منكراً على قومه:{قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي}[4]. قال الميداني : "استفهام فيه معنى الإنكار عليهم , إذ لم يستجيبوا لما أمرهم به من إتباعه , سائرين على أثره بقيادة أخيه هارون "[5]. فموسى ﷺ وهو في حالة غضب قام بتوبيخ قومه , والإنكار عليهم , وهذا يدل على رجاحة عقله حتى وهو في حالة الغضب والأسف .

---

[1] سورة الأعراف : الآية 150.

[2] رضا : **تفسير القرآن الحكيم** . ج9 ص207.

[3] سورة الأعراف : الآية 142.

[4] سورة طه : الآية 86 .

[5] الميداني : **معارج التفكر**. ج8 ص295 .

2ــ إلقاء الألواح وفيها شريعة الرب مكتوبة :

قال تعالى:{ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ }[1] , وهذه الحركة من موسى عليه السلام تدل على شدّة انفعال الغضب "فهذه الألواح هي التي كانت تحمل كلمات ربه , وهو لا يلقيها إلا وقد أفقده الغضب زمام نفسه"[2].

وهذا الغضب الذي أفقده زمام نفسه , إنما حصل له حين رآهم يعكفون على العجل بعيني رأسه . فموسى غضب حين أخبره ربه بما فعل قومه {قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۝ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا }[3]. لكنّ هذا الغضب أخذ منحىً آخر, حين رآهم بعيني رأسه يقومون بذلك . ويؤيد ذلك ما رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : " يرحم الله موسى ليس المعاين كالمخبر, خبّره ربه أن قومه فتنوا بعده فلم يلق الألواح . فلما رآهم وعاينهم ألقى الألواح" [4].

وإلقاؤه الألواح ناتج عن شدّة الغضب , والحزن , والأسف , والانفعال. قال القاسمي عند قوله تعالى وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ :" طرحها من شدة الغضب , وفرط الضجرة , بين يديه , فتكسرت, وهي ألواح من حجارة كتب فيها الشرائع والوصايا الربّانية , وإنّما ألقاها عليه السلام , لما

لحقه من فرط الدهشة عند رؤيته عكوفهم على العجل, فإنه عليه السلام لمّا نزل من الجبل, ودنا من محلّتهم, رأى العجل, ورقصهم حوله, اتّقد غضبه, فألقاها غضباً لله, وحميّةً لدينه, وكان هو في نفسه حديداً شديد الغضب. وكان هارون ألين منه جانباً , ولذلك كان محبّباً إلى قومه "[5] .

وقال ابن عاشور :" ثم إن إلقاءه إياها إنما كان إظهاراً للغضب , أو أثراً من آثار فوران الغضب

---

[1] سورة الأعراف : الآية 150 .

[2] قطب : **في ظلال القرآن.** ج4 ص1374 .

[3] سورة طه : الآية 85 .

[4] الحاكم: **المستدرك على الصحيحين** . وقال : هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي في الذيل . ج2 ص380 . ورواه أحمد في المسند بلفظ : " ليس الخبر كالمعاينة , إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه في العجل , فلم يلق الألواح , فلما عاين ما صنعوا , ألقى الألواح فانكسرت" . انظر . ابن حنبل : **مسند الإمام أحمد** . ج1 ص271 .

[5] القاسمي: **محاسن التأويل.** ج7 ص2861 .

, لما شاهدهم على تلك الحالة . وما ذكر القرآن ذلك الإلقاء إلا للدلالة على هذا المعنى, إذ ليس فيه من فوائد العبرة في القصة إلا ذلك "[1].

3 - الأخذ بلحية ورأس هارون عليه السلام وجرّه إليه :

قال تعالى :{ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ}[2]. وقال سبحانه على لسان هـــارون عليه السلام :{قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ}[3]. فموسى عليه السلام بعد إلقائه الألواح إلى الأرض , وهو في غضب شديد وحزن مرير , اتجه نحو أخيه , وأمسك بشعر رأسه ولحيته وأخذ يجرّه إليه , ظناً منه أن أخاه هارون قد قصّر في الإنكار على قومه . " وهي حركة تدل على شدة الانفعال "[4].

قال البقاعي :{ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ} أي بشعره {يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ} أي بناء على أنه قصّر , وإعلامـــاً لهم بأن الغضب من هذا الفعل قد بلغ منه مبلغا يجلّ عن الوصف , لأنه اجتثـــاث للـــدين مـــن أصله"[5] . وخلال هذه الحركة بدأ موسى عليه السلام يعنّف هارون عليه السلام بشدة قائلاً :{ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى } [6]. ونداء موسى عليه السلام لأخيه هـــارون (عليه السلام يـــا هارون) بدل(يا أخي) , يدل على أن انفعال الغضب كان قد ملك زمام نفسه , بحيـــث ذكـــره باسمه المجرد , دون الإشارة إلى الرابطة التي تربطه به وهي الأخوّة .

---

[1] ابن عاشور : **التحرير والتنوير** . ج4 ص115 .
[2] سورة الأعراف : الآية150 .
[3] سورة طه : الآية 94 .
[4] قطب : **في ظلال القرآن** . ج4 ص1374.
[5] البقاعي : **نظم الدرر** . ج3 ص115 .
[6] سورة طه : الآيتان 93,92 .

المطلب الثاني : مشهد الغضب عند يونس عليه السلام

أولاً : ملامح شخصية يونس عليه السلام :

يونس عليه السلام نبي كريم , ورد ذكره في القرآن الكريم ست مرات[1]. وسمّيت سورة باسمه. قال فيه الرسول ﷺ : " ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متّى"[2] . أرسله الله إلى قومه وكانوا أكثر من مائة ألف قال سبحانه : {وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ}[3] . فدعاهم إلى الله وذكّرهم , ونصحهم .

من أبرز ملامح شخصيته عليه السلام :

1 - شفافية روحه ورقة فؤاده. ونلمح هذه الصفة في شخصيته من قوله تعالى حاكياً عنه:{فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ}.[4]

2 - صلابة دينه وقوة إيمانه . حيث أرسله الله تعالى إلى أكبر قوم من حيث عددهم , قال تعالى : {{وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ}[5] .

3 - التواضع , ونلمح هذه الصفة من خلال مشاركته لهموم الناس وآلامهم , فقد ساهم مع ركّاب السفينة . قال تعالى : { إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ }[6] .

---

[1] في سور : النساء :آية رقم (163) , والأنعام : آية رقم (86) , ويونس: آية رقم (98) , والأنبياء : آية رقم (87) , والصافات : آية رقم (139) , والقلم : آية رقم (48)

[2] رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما . انظر : **صحيح البخاري** . كتاب أحاديث الأنبياء . باب قول الله تعالى { **وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ... فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ**}. [الصافات : 139-148] .رقم الحديث (3413). ج2 ص420

[3] سورة الصافات : الآية 147 .

[4] سورة الأنبياء : الآية 87 .

[5] سورة الصافات : الآية 147 .

[6] سورة الصافات : الآيات 140-143 .

ثانيا : غضب يونس عليه السلام من قومه :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى :{وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ }[1]. فهذا المشهد يكشف الستار عن انفعالي الغضب والندم عند يونس عليه السلام . لكن الذي يهمنا في هذا المطلب هو انفعال الغضب . فما الذي أغضب يونس عليه السلام ؟ وهل هذا الغضب له ما يبرره ؟ .

لقد غضب يونس عليه السلام من قومه , فحين دعاهم إلى الله تعالى وحذّرهم من غضبه وعقابه أبوا الاستجابة لدعوته , وأصرّوا على كفرهم وعنادهم , وتمرّدهم وطغيانهم , فتوعدهم بالعذاب , فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم [2].

وقوله تعالى:{وَذَا ٱلنُّونِ} هو يونس عليه السلام . والنون : هو الحوت [3] الذي التقم يونس عليه السلام فترة من الزمن , بأمر الله وإذنه . قال تعالى :{ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ }[4].

وقوله تعالى :{إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا}. اختلف أهل التفسير فيها على أقوال ثلاثة هي :

القول الأول : مغاضباً بمعنى : غضبان , وهو من المفاعلة التي لا تقتضي اشتراكاً, نحو قولك عاقبت اللص , وسافرت , وشارفت الأمر. وكأنه أستعمل هنا للمبالغة . وغضبه كان على قومه " لشدة شكيمتهم وتمادي إصرارهم مع طول دعوته إياهم " [5]. وهذا الذي رجّحه ابن الجوزي[6] والآلوسي [7].

---

[1] سورة الأنبياء : الآيتان 88,87 .
[2] ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . ج4 ص586 .
[3] القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . ج11 .
[4] سورة الصافات : الآية 142 .
[5] الآلوسي : **روح المعاني** . ج 17 ص 83 .
[6] ابن الجوزي : **زاد المسير** . ج5 ص263 .
[7] الآلوسي : **روح المعاني** . ج17 ص84 .

القول الثاني : مغاضباً بمعنى : مغاضباً لقومه , أغضبهم بمفارقته وتخوّفهم حلول العذاب وأغضبوه حين دعاهم إلى الله مدة فلم يجيبوه , فأوعدهم بالعذاب .

وهي من المفاعلة التي تقتضي اشتراكاً . وهذا الذي رجّحه الزمخشري[1] , والقاسمي[2]. ومن المعاصرين الشعراوي [3], والدكتور فضل عباس[4].

القول الثالث : مغاضباً بمعنى : مغاضباً لربه . أي مغاضباً من أجل ربه . كما تقول غضبت لك , أي من أجلك . والمؤمن يغضب لله عز وجل إذا عُصي . وهذا قول ابن مسعود من الصحابة , وقول الحسن وابن جبير من التابعين وهو القول الذي رجّحه الطبري [5], والقرطبي[6]

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة على النحو التالي : إن يونس عليه السلام غضب من عدم استجابة قومه لدعوة الله . فكان غضبه لله , ومن أجل الله , وحصل بينه وبين قومه مغاضبة بسبب توعّده لهم بالعذاب , وخرج من عند قومه وهو غضبان . ففسّر كل فريق كلمة مغاضبا من خلال غضب يونس عليه السلام في مراحله الثلاثة . عند مناظرة قومه , وعند خروجه من عندهم وعند عدم أخذه الإذن من الله في الخروج .

وهذا المشهد بيّن أن غضب يونس عليه السلام كان لله , وكرهاً وبغضاً لعبادة الأصنام التي أصرّ عليها قومه . كما بيّن خطأ يونس عليه السلام في سرعة خروجه من عند قومه دون إذن من ربه . ولذا طلب المغفرة من ربه قائلا :{لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ}[7]. وهذا الخروج السريع ليونس عليه السلام عجّل من توبة قومه , ورجوعهم إلى الله سبحانه . فما إن خرج يونس عليه السلام مغضباً من عند قومه , وتحققوا أن العذاب واقع بهم لا محالة , حين خرجوا إلى

---

[1] الزمخشري : **الكشّاف** . ج 2 ص 581 .

[2] القاسمي : **محاسن التأويل** . ج11 ص 4300 .

[3] الشعراوي, محمد متولي : **تفسير الشعراوي** . 18مج . بلا طبعة . القاهرة : أخبار اليوم . بلا تاريخ . ج15 ص9622 .

[4] عباس : **القصص القرآني** . ص 348 .

[5] الطبري: **جامع البيان.** ج7 ص5750-5751 .

[6] القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . ج11 ص 329 .

[7] سورة الأنبياء : الآية 87 .

الصحراء بأطفالهم , وأنعامهم , ومواشيهم , وفرّقوا بين الأمهات وأولادها. ثم تضرعوا إلى الله عز وجل وجأروا إليه"[1].

قـــال تعـــالى :{ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ}[2] .

المطلب الثالث : مشهد الغضب عند سليمان عليه السلام

أولا : ملامح شخصية سليمان عليه السلام :

سليمان عليه السلام نبي من أنبياء بني إسرائيل , وهو ابن داود عليه السلام . قال تعالى :{وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ }[3]. ورث عن أبيه داود عليه السلام العلم والملك[4] . قال تعالى : { وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ }[5]. وسخّر الله سبحانه له الجنّ , والإنس , والريح , والطير . وعلّمه لغة الطيـــر والحيوان . قال تعالى :{ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ}[6]. وقـــال تعالى :{ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ }[7] فكان له مُلكاً عظيماً , لم يكن لأحد من بعده . قال تعالى حاكيا دعوة ســـليمان عليه السلام { قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ }[8].

---

[1] ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . ج4 ص586 . وهذه الرواية ذكرها ابن جرير في التفسير برقم (17960) . وذكر رواية أخرى برقم (17698) عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ : " إن يونس عليه السلام كان قد وعد قومه العذاب وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام , ففرّقوا بين كل والدة وولدها , ثم خرجوا فجأروا إلى الله واستغفروه , فكفّ عنهم العذاب ... " انظر : الطبري : **جامع البيان** . ج 5 ص 4272. وقد صحح ابن حجر إسناد هذه الرواية . انظر : ابن حجر,أحمد إبن علي : **فتح الباري شرح صحيح البخاري** . 13مج . ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي . بلا طبعة . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر . بلا تاريخ . ج 6 ص 452 .

[2] سورة يونس : الآية98 .

[3] سورة ص : الآية 30 .

[4] لقوله عليه السلام : " إن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورّثوا العلم " . رواه الترمذي وصححه الألباني . انظر : الترمـــذي : **سنن الترمذي** . كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة . رقم الحديث (2682) . ص 604. وانظر : القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . ج 13 ص 164 .

[5] سورة النمل : الآية 16 .

[6] سورة النمل : الآية 17 .

[7] سورة ص : الآيتان 37,36 .

[8] سورة ص : الآية 35 .

من أبرز ملامح شخصية سليمان عليه السلام :

1- الحزم والعزم في الأمور : فقد كان عليه السلام حازماً في تسيير أمور مملكته . وهي صفة بارزة في حياته . ولو لم يتصف بها أمام مملكة ضخمة من الإنس, والجنّ , والطير , لضاعت هذه المملكة . وقصة سليمان عليه السلام مع الهدهد [1], وقصته مع ملكة سبأ[2], أعظم دليل على حزمه .

2- القوة والشجاعة : فقد كان عليه السلام قوياً , شجاعاً في الحق , مُهاب الجانب , ذا سطوة وسلطان . وتهديده لملكة سبأ بقوله:{ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةً وَهُمۡ صَٰغِرُونَ }[3]. دليل على قوته وشجاعته.

3- العزّة والأنفة : فلم يكن عليه السلام يرضى بالهدايا أو العطايا, مقابل دينه وعقيدته ,ودعوته ورسالته. قال تعالى :{ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ }[4] .

4- الفهم والعلم والحكمة : قال تعالى :{فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمًا وَعِلۡمًا}[5].

5- النبوّة والملك : فقد جمع الله له ذلك , فكان نبياً ملكاً . قال تعالى :{وَهَبۡ لِي مُلۡكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ}[6].

6- اليقظة والفطنة : وهذه السمة ندركها من خلال قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد . حين تفقد الطير , وافتقد الهدهد . قال سيد قطب :" كما ندرك من افتقاد سليمان لهذا الهدهد سمة من سمات شخصيته : سمة اليقظة والدقة والحزم "[7].

---

[1] في سورة النمل : الآيات 20-22.
[2] في سورة النمل : الآيات 35-40 .
[3] سورة النمل : الآية 37 .
[4] سورة النمل : الآية 36 .
[5] سورة الأنبياء : الآية 79 .
[6] سورة ص : الآية 35 .
[7] قطب : **في ظلال القرآن** . ج5 ص2638 .

ثانيا :غضب سليمان عليه السلام من الهدهد :

ويبدأ هذا المشهد من قولـــه تعـــالى : { وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ }[1].

فهذا المشهد يكشف الستار عن انفعال الغضب عند سليمان عليه السلام ولكنّ هذا الغضب كـــان منصبّاً على أحد جنوده , وهو الهدهد . ولكن كيف حصل هذا الغضب لسليمان عليه السلام ؟.

لقد حصل الغضب حينما بدأ سليمان عليه السلام يتفقد الطير - " وهذا يدل على كمـــال عزمـــه وحزمه , وحسن تنظيمه لجنوده , وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار , حتى إنه لم يهمل هذا الأمر , وهو تفقد الطير , والنظر هل هي موجودة كلها , أم مفقود منها شـــيء "[2] - فلـــم يجـــد الهدهد . " بدأ على سليمان انفعال الغضب , ونـــوى معاقبـــة الهدهـــد بأحـــد الطـــرق الـــثلاث المعروفة"[3]. ولذا قال السعدي[4]:" فحينئذ تغيّظ عليه , وتوعّده".[5]

وقول سليمان عليه السلام {لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ} . تقديمه للعذاب والعقوبة على البيان والإيضاح والعذر{أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ} . دالّ على نبرة الغضب والحزم .

وهذا الانفعال الذي حصل لسليمان عليه السلام , يأتي في سياق الانفعال الإيجابي , وله ما يبـــرره حيث إن سياسة وإدارة مملكةٍ ضخمةٍ , من الإنس والجن والطير , بحاجة إلى شدّةٍ وحزم ويقظةٍ وفطنة , مصحوبة بالغضب في موقعه ومحله . فغياب الهدهد صاحب المكانة الخاصة لسليمان

---

[1] سورة النمل : الآيات 20-22 .

[2] السعدي , عبد الرحمن بن ناصر : **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان** . 2مج . ط: 1 . فلسطين : مطبعة النور . 1997. ج2 ص828 .

[3] طبّارة , عفيف عبد الفتاح : **مع الأنبياء في القرآن الكريم** . ط : 22 . بيروت : دار العلم للملايين . 2003 . ص 294 .

[4] هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي . مفسر , من علماء الحنابلة , من أهل نجد . مولده ووفاته في عنيزة بالقـــصيم , وهو أول من أنشأ مكتبة فيها . له أكثر من ثلاثين كتابا. من أهمها : تيسير الكريم المنّان في تفسير القرآن , والقواعد الحسان في تفـــسير القرآن,والخطب المنبرية . توفي سنة 1956م. انظر: الزر كلي : **الأعلام** . ج3 ص340 .

[5] السعدي : **تيسير الكريم الرحمن**. ج2 ص195 .

ﷺ, أو صاحب المهام الخاصة كما يذكر ابن كثير [1] و القرطبي [2] . غيابه عن موقعه دون إذن من الملك سليمان ﷺ , سيؤدي إلى تسيّب في المملكة . من هنا ظهر انفعال الغضب عند سليمان ﷺ .

وليس في غضب سليمان ﷺ وتهديده للهدهد ما يتنافى مع الرفق بالحيوان وذلك للأسباب التالية :

1 - إن الهدهد كان أحد جنود سليمان ﷺ . وغيابه عن موقعه دون إذن من القائد قد يعرّض القائد والجيش وحتى المملكة للمخاطر , خاصة أنه ليس كباقي الجنود . ولذا كان يستحق التهديد والغضب والعتاب .

2 - إن سليمان ﷺ هدّد الهدهد وتوعّده بغيابه لكن أمام باقي الجنود . وهذا يدل على حنكة القائد وحكمته , وذلك من خلال توجيه رسالةٍ قوية للجنود بالانضباط بالتعليمات وعدم التسيّب

3 - لا يجوز النظر أو التعامل مع الطير أو الحيوان الغير عاقل كما تعامل معها سليمان ﷺ ففي وقته كانت مسخرة لسليمان ﷺ وتعي وظيفتها جيداً , فهي بالتالي معرضة للمساءلة والمحاسبة بالحق والعدل.

---

[1] ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** .ج5 ص227-228 .

[2] القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . ج13 ص177-178 .

المبحث الثالث

القيم التربوية لانفعال الغضب عند الأنبياء

من خلال مشاهد انفعال الغضب عند الأنبياء عليهم السلام , والنتائج المترتبة على هذه المشاهد , سنستخلص منها بعض الجوانب والقيم التربوية التي ستكون نبراساً يضيء الطريق ومشعلاً يهدي السبيل . وأهم هذه القيم :

أولاً : انفعال الغضب على الأغلب هو انفعال سلبي , وغير ايجابي . ويستثنى منه الغضب من أجل الله تعالى , وكذلك الغضب من أجل العرض والأرض والكرامة . فمن الأنبياء الذين حدث معهم انفعال الغضب وهما (موسى , ويونس) عليهما السلام , أتبعاه بانفعال الندم , والاستغفار والتوبة , وطلب العفو من الله سبحانه . وهذا يدل على أن هذين النبيين شعرا بالذنب والخطأ. صحيح أن أصل غضبهم كان لله تعالى , لكنه تجاوز المسموح به .

فهذا موسى عليه السلام بعد انفعال الغضب الذي حصل معه , وما نتج عنه من إلقاء الألواح , وجرّ أخيه من رأسه ولحيته . وبعد أن هدأت نفسه , رأيناه يقول بصوت خاشع خافت : {رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ}[1] .

ويونس عليه السلام بعد أن غاضب قومه , وخرج من عندهم دون إذن من الله تعالى , نادى في بطن الحوت , وجأر إلى الله تعالى : { لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ }[2] .

فلو لم يكن انفعال الغضب سلبياً , فلماذا يندم هؤلاء الأنبياء عليهم السلام ويستغفرون الله تعالى ويتوبون إليه .

ثم إن الله تعالى أوصى نبيه محمداً ﷺ ألاّ يكون كيونس عليه السلام في غضبه , قال تعالى :{وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ }[3]. قال الآلوسي : " أي لا يوجد منك ما وجد منه من

---

[1] سورة الأعراف : الآية 151 .

[2] سورة الأنبياء : الآية 87 .

[3] سورة القلم : الآية 48 .

الضجر والمغاضبة , فتبتلى بنحو بلائه عليه السلام "[1]. فلو كان انفعال الغضب عند يونس ﷺايجابياً لما حذّر الله تعالى نبيّه محمداً ﷺ أن يكون مثل يونس ﷺ .

ثانياً : الآثار والنتائج المترتبة على انفعال الغضب غالباً ما تكون غير منضبطة , ولا متزنة وأحياناً غير شرعية . لأنها تصدر في حالة ثورانٍ وهيجانٍ نفسي .

فهذا موسى ﷺ حين انفعل غضباً لم يتمالك نفسه في إلقاء الألواح , وجرّ أخيه هارون من رأسه ولحيته . وهذان التصرفان غير مشروعين ولا مستساغين , وإن صدرا من نبي كريم .

ويونس ﷺ لم يستأذن سيّده ومولاه تعالى في الخروج من قومه , وهو في حالة غضب أو مغاضبة .

وسليمان ﷺ يصدر تهديداً شديداً وهو في حالة غضب على الهدهد بدون تروٍ أو تثبت . لأنه غاب عنه بدون إذن قائلاً :{ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ }[2] . وكان الأولى أن يسمع منه حجته قبل إصدار الحكم أو التهديد .

من هنا جاء النهي من الرسول ﷺ عن إصدار الأحكام في حالة الغضب . فقد روى الإمام مسلم في صحيحه أن عبد الرحمن بن أبي بكرة كتب إلى ابنه عبيد الله بن أبي بكرة وهو قاض بسجستان[3] أن لا تحكم بين اثنين وأنت غضبان فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :" لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان " [4]. وذلك " أن الغضب غُول العقل يغتاله كما تغتاله الخمر ... والغضب نوع من الغلق , والإغلاق الذي يغلق على صاحبه باب حسن التصور والقصد"[5].

---

[1] الآلوسي : **روح المعاني** . ج29ص 37 .

[2] سورة النمل : الآية 21 .

[3] هي ناحية كبيرة وولاية واسعة , تقع جنوب هراة , وأرضها كلها رملة , وتقع اليوم على التخوم بين فارس (إيران) وأفغانستان , وهي منقسمة بين الدولتين إلا أن المساحة الأكبر منها تقع في أفغانستان . انظر : الحموي : **معجم البلدان.** ج 3 ص 190 . الشنتناوي , أحمد وآخرون : **دائرة المعارف الإسلامية** . 15 مج . بلا طبعة . بيروت : دار المعرفة . بلا تاريخ . ج 11 ص 282-283 .

[4] مسلم : **صحيح مسلم** . كتاب الأقضية . باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان . رقم الحديث (1717) .ج3 ص1343-1343.

[5] ابن القيم , أبو عبد الله محمد بن أبي بكر : **إعلام الموقعين عن رب العالمين** . 4مج . راجعه وعلّق عليه: طه عبد الرءوف . بلا طبعة . بيروت : دار الجيل للنشر والتوزيع .بلا تاريخ . ج2 ص175 .

وكذلك " لِما يحصل للنفس بسببه من التشويش الموجب لاختلال النظر , وعدم استيفائه على الوجه الصحيح "[1] . ولكن لو قضى وهو غضبان فإن قضاءه صحيح ونافذ [2] . وقال ابن رجب [3]: " وكذلك ما يقع من الغضبان من طلاق وعتاق أو يمين , فإنه يؤاخذ بذلك كله بغير خلاف"[4].

وعلى ذلك فإن الغضبان مسئول عن تصرفاته , فإذا أتلف مالاً حال غضبه ضمنه , وإذا قتل تترتب عليه آثار القتل التي نص عليها الشارع .

وقد استدل ابن العربي[5] بتصرفيّ موسى ﷺ على " أن الغضب لا يغيّر الأحكام , كما زعمه بعض الناس , فإن موسى لم يغيّر غضبه شيئاً من أفعاله , بل اطّردت على مجراها , من إلقاء لوحٍ وعتاب أخٍ وصكّ ملك "[6] .

وكلام ابن العربي وابن رجب ليس على إطلاقه . فإن هناك بعض التصرفات التي يعذر فيها الغضبان . فمن ذلك طلاق الغضبان , فقد روى أبو داود وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول :" لا طلاق ولا عتاق في إغلاق[7] "[8].

---

[1] أبو صفية : **شرح الأربعين النووية في ثوب جديد** . ص208 .

[2] النووي , أبو زكريا يحيى بن شرف : **صحيح مسلم بشرح النووي** . 9مج . بلا طبعة . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر . 1983 . ج12 ص 15 .

[3] هو الإمام الحافظ المحدّث الفقيه الواعظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي . ولد في بغداد . ونشأ وتوفي في دمشق . من أشهر مصنفاته : شرح علل الترمذي , وطبقات الحنابلة , وجامع العلوم والحكم . مات سنة 795هـ . انظر: السيوطي ,عبد الرحمن بن أبي بكر : **طبقات الحفاظ** . ط:2. بيروت: دار الكتب العلمية . 1994. ص540 :

[4] ابن رجب الحنبلي : **جامع العلوم والحكم** . ص129 . بل هناك خلاف ظاهر بين العلماء في هذه المسألة . انظر : ابن القيّم , محمد بن أبي بكر : **إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان** .اعتنى بتصحيحه وتخريجه: محمد عفيفي . ط : 2 . بيروت , الرياض : المكتب الإسلامي , مكتبة فرقد الخاني . 1988 . ص 60 -69.

[5] هو الإمام العلاّمة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي المالكي . فقيه . محدّث . مفسر . كان ثاقب الذهن , عذب المنطق , كريم الشمائل . وقد بلغ مرتبة الاجتهاد . من أشهر تصانيفه : عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي . وأحكام القرآن الكريم . توفي بفاس سنة 543هـ . انظر :الذهبي : **سير أعلام النبلاء** . ج20 ص197 -203 .

[6] ابن العربي , أبو بكر محمد بن عبد الله : **أحكام القرآن** . 4مج . تحقيق: على محمد البجاوي . بلا طبعة . بيروت : دار المعرفة , دار الجيل . 1987 . ج2 ص793 .

[7] والإغلاق : يأتي بمعنى الغضب الشديد . يقال أغلق فلان فغلق غلقا إذا أغضب فغضب واحتدّ . قال أبو بكر : الغلق الكثير الغضب . أنظر . ابن منظور : **لسان العرب** . ج10 ص292 .

[8] أبو داود , سليمان بن الأشعث : **سنن أبي داود** . حكم على أحاديثه: الألباني . اعتنى به: مشهور آل حسن . ط : 1 الرياض : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع . بلا تاريخ . كتاب الطلاق . باب في الطلاق على غلط . وحكم عليه الألباني بالحسن . وقال أبو داود : الغلاق أظن في الغضب . رقم الحديث (2193) . ص332. ابن ماجة : **سنن ابن ماجة** : كتاب الطلاق . باب طلاق المكره والناسي . وحكم عليه الألباني بالحسن . رقم الحديث (2046) ص353 .

وإنما اعتبر ابن العربي أن الغضب لم يغيّر شيئا من أفعال موسى عليه السلام , لأن الآثار التي نجمت عن غضبه تتسق مع الطبيعة الانفعالية الحادّة له عليه السلام . وقد قال ابن العربي في وصف موسى عليه السلام " كان موسى من أعظم الناس غضباً . لكنه كان سريع الفيئة , فتلك بتلك "[1] .

ثالثاً : لمّا كان الغضب حالةً انفعاليةً مؤقتة تزول بزوال المؤثر والمسبب له . لذا لا ينبغي أن يكون الغضب صفةً ملازمةً وحالةً ملاصقةً للنفس . بل يجب الإسراع في التخلص منه وإصلاح ما فسد من آثاره ونتائجه .

فموسى عليه السلام لم يسترسل في غضبه , وتنبه إلى خطئه , وقال تعالى في وصف حاله بعد غضبه :{ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ }[2] . أي أن موسى عليه السلام بدأ بإصلاح ما فعله في حالة غضبه من إلقاء الألواح وجر أخيه هارون من رأسه ولحيته. قال محمد جواد مغنية :" إن موسى نبي معصوم , ما في ذلك ريْب , ولكنه إنسان يحزن ويفرح , ويرضى ويغضب , وقد تملّكه الغضب حين فوجئ بارتداد قومه عن دين الله , وتركه الغضب حين استعطفه أخوه هارون , ووعده الله بالانتقام من المرتدّين , وبعد أن عاد موسى إلى وضعه الطبيعي عاد إلى الألواح التي ألقاها حين غضب "[3] .

فموسى عليه السلام أصلح ما بينه وبين ربه عز وجل بالتوبة والندم والاستغفار , وبأخذ الألواح. وأصلح ما بينه وبين أخيه بسماع عذره وحجته وبالدعاء له .

ويونس عليه السلام ما إن شعر أنه أخطأ في سرعة مغاضبة قومه حتى تاب إلى الله تعالى . ثم رجع إلى قومه فوجدهم قد آمنوا .

وهذا نبينا محمد ﷺ يعترف أنه يغضب كما يغضب باقي البشر , وأنه يمكن أن يؤذي الآخرين في حالة الغضب , ولذا أراد أن يصلح ما يمكن أن يحدثه في حالة غضبه من سبّ, أو شتم , أو جلد , أو غيره . ويتحلل من تبعات ذلك , بالدعاء لكل من سبب له أذى في بدنه

---

[1] ابن العربي : **أحكام القرآن** . ج2 ص793 .

[2] سورة الأعراف : الآية 154 .

[3] مغنية , محمد جواد : **التفسير الكاشف** . 6مج . ط: 2 . بيروت : دار العلم للملايين . 1980 . ج3 ص399 .

وعرضه , فعن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل على رسول ﷺ رجلان , فكلماه بشيء لا أدري ما هو , فأغضباه . فلعنهما وسبّهما . فلما خرجا . قلت : يا رسول الله من أصاب من الخير شيئا ما أصابه هذان . قال : وما ذاك ؟ قالت قلت : لعنتهما وسببتهما . قال :" أو ما علمت ما شارطت عليه ربي ؟ قلت : اللهم إنما أنا بشر . فأي المسلمين لعنته أو سببته , فاجعله له زكاةً وأجرا "[1] . فهذا الحديث يدلل على المنهجية التي اتبعها الرسول ﷺ كما إخوانه من الأنبياء عليهم السلام وهي التحلل من تبعات وآثار حالة الغضب التي تحصل لهم بحكم بشريتهم . من هنا فقد مدح الله سبحانه المؤمنين حين وصفهم بقوله : { وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ }[2] . وفي الآية حض وحث على الإسراع في كسر الغضب , وعدم التمادي فيه.

رابعاً : في انفعال غضب الأنبياء بيان للوسائل والأسباب المعينة على التخفيف من حدّة الغضب. وهذه الوسائل هي :

أولاً : ذكر الله تعالى , والالتجاء إليه , والاحتماء بجنابه :

فهذا موسى عليه السلام التجأ لربه مباشرةً بعد فورة الغضب التي ألمّت به . وما أعقبها من جرّ أخيه , وإلقاء الألواح . حيث دعا ربه بقوله :{ {رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ}[3].

وهذا يونس عليه السلام التجأ إلى ربه بعد مغاضبة قومه قائلاً : {لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ }[4].

---

[1] رواه مسلم . **صحيح مسلم** . كتاب البر والصلة والآداب . باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاةً وأجراً ورحمة . رقم الحديث (2600) ج4 ص2007. وللحديث طرق وألفاظ أخرى في مسلم منها . " اللهم إنما أنا بشر , فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاةً ورحمة . رقم الحديث (2601) نفس الجزء والصفحة .

[2] سورة الشورى : الآية 37 .

[3] سورة الأعراف : الآية 151 .

[4] سورة الأنبياء : الآية 87 .

وهذه الوسيلة تزيل الغضب , أو تخفف من غوائله . وترجع الغضبان إلى وضعه الطبيعي وإلى أدبه . قال تعالى:{وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ }[1]. قال عكرمة :" يعني إذا غضبت "[2]. وقال تعالى : {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[3]. ومعنى ينزغنك " أي يغضبنك . وقوله:{ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } أي سميع بجهل من جهل , وعليم بما يذهب عنك الغضب"[4].

وعن سلمان بن صرد قال : استبّ رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس , وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه , فقال النبي ﷺ :" إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد, لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ , قال : إني لست بمجنون[5]"[6] .

ثانياً: الانتقال عن الحالة التي هو فيها إلى حالة غيرها :

فقد رأينا يونس عليه السلام ما إن غاضب قومه حتى خرج من عندهم , قال تعالى :{ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا }[7] والابتعاد عن المكان الذي غضب فيه , خفّف عنه الغضب , وجعله يراجع نفسه.

وموسى عليه السلام بعد غضبه من قومه الذين عبدوا العجل . ذهب لمقابلة ربه عز وجل , قال تعالى : { وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدًى وَرَحۡمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ

---

[1] سورة الكهف : الآية 24 .

[2] ابن الجوزي : **زاد المسير** . ج5 ص89 .

[3] سورة الأعراف : الآية 200 .

[4] الماوردي,علي بن محمد بن حسين : **أدب الدنيا والدين** . ط:1 .القاهرة : جنة الأفكار. 2006م . ص247 .

[5] قال ابن حجر : " قيل إنه كان من جفاة الأعراب , وظن أنه لا يستعيذ من الشيطان إلا من به جنون " انظر : ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. ج10 ص 467 .

[6] رواه البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب الأدب . باب الحذر من الغضب . رقم الحديث (6115) ج3 ص 161 .

[7] سورة الأنبياء : الآية 87 .

وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ }[1] .

وقد أوصى نبينا محمد ﷺ باستخدام هذه الطريقة للتخفيف من حدّة الغضب ,فقد روى أبو داود في سننه وأحمد في مسنده من حديث أبي ذر قال : إن رسول الله ﷺ قال لنا :" إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس , فان ذهب عنه الغضب , وإلا فليضطجع"[2].

وقد ذكر الشيخ المناوي [3] الحكمة من وراء تغيير هيئة الغاضب فقال :" لأن القائم مهيأ للانتقام , والجالس دونه , والمضطجع دونهما . والقصد أن يبتعد عن هيئة الوثوب والمبادرة للبطش ما أمكن حسماً لمادة المبادرة "[4].

وهناك طرق ووسائل أخرى تعين على التخفيف من حدّة الغضب [5]. أعرضنا عن ذكرها لعدم ورود نص صحيح صريح فيها , ولأن دراستنا تختص بالقيم المستفادة من المشاهد التي حدثت مع الأنبياء عليهم السلام .

خامساً : لمّا كان الغضب من أسوأ الانفعالات النفسية , والتي تؤثر على سلوك الإنسان , فتفقده توازنه العقلي والنفسي , ويمكن أن يتصرف أو يقوم بأعمال تؤثر على شخصيته وسمعته . من هنا جاء التحذير الإلهي للنبي ﷺ أن لا يكون كيونس عليه السلام في سرعة الغضب , وقلّة التحمّل

---

[1] سورة الأعراف : الآيتان 155,154 .

[2] أبو داود : **سنن أبي داود** . كتاب الأدب . باب ما يقال عند الغضب . رقم الحديث (4782) وحكم عليه الألباني بالصحة . ص719 . ابن حنبل : **مسند الإمام أحمد** . ج5 ص152 . وقال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح . انظر . الهيثمي , علي بن أبي بكر: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** .10مج. ط: 2. بيروت : دار الكتاب العربي . 1967. ج8 ص71

[3] هو : محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي القاهري . من كبار العلماء بالدين والفنون . كان قليل الطعام كثير السهر, فمرض وضعفت أطرافه , فكان ولده يستملي منه تآليفه . له نحو ثمانين مصنفا من أشهرها : كنوز الحقائق وهو في الحديث , وفيض القدير , وشرح شمائل الترمذي . عاش ومات في القاهرة وذلك سنة 1031هـ . انظر . الزر كلي : **الأعلام** . ج6 ص 204 .

[4] المناوي , محمد عبد الرؤوف : **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير** . 6مج . بلا طبعة . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بلا تاريخ . ج1 ص408 .

[5] انظر . الغزالي : **إحياء علوم الدين** . ج3 ص232-235. الماوردي: **أدب الدنيا والدين.** ص247-249 . أبو عزيز , سعد يوسف : **صحيح وصايا الرسول ﷺ** . 3مج . بلا طبعة . القاهرة : المكتبة التوفيقية . بلا تاريخ . ج3 ص307-313

قائلا: {فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ}[1]. وبناءا على هذا التوجيه كان الرسول ﷺ مثالاً يحتذى في صبره وتحمّله .

ولخطورة الغضب , وكثرة أضراره على الفرد والمجتمع . حذّر منه الرسول ﷺ , وحذّر من نتائجه وعواقبه, فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: إن رجلاً قال للنبيﷺ أوصني: قال:" لا تغضب, فردّد مراراً قال: لا تغضب"[2].

ومعنى "لا تغضب " أي اجتنب أسباب الغضب , ولا تتعرض لما يجلبه . وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهي عنه لأنه أمر طبيعي لا يزول من الجبلة [3].

ومن أخطر نتائج الغضب الحقد والحسد . وهما من أخطر الأمراض التي تصيب الإنسان فإنهما يوردان العبد مواطن الخطر. وعليه فلا بد للإنسان من لجم نفسه أمام مسبّبات الغضب كي لا يقع في المحذور , ويسبّب الأذى للآخرين.

---

[1] سورة القلم : الآية 48 .

[2] البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب الأدب . باب الحذر من الغضب. رقم الحديث (6116) . ج3 ص161.

[3] ابن حجر : **فتح الباري شرح صحيح البخاري** . ج10 ص520 .

الفصل الخامس

انفعال الندم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الندم ودلالته النفسية

المبحث الثاني: مشاهد انفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الثالث: القيم الايجابية لانفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الأول

مفهوم الندم ودلالته النفسيّة

أولاً : الندم في اللغة والاصطلاح :

تكاد معاجم اللغة تتفق على أن الندم معناه : الأسف والحزن [1]. وقال البستاني [2] :" ندم على ما فعل يندم ندماً وندامةً أسف , وحزن , وتاب , أو فعل شيئا ثم كرهه " [3]. فقد أضاف إلى الحزن والأسف التوبة . وكأن الندم طريق التوبة . أمّا الأصفهاني فقال :" الندم والندامة: التحسّر من تغيّر رأي في أمر فائت . قال تعالى :**{فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّدِمِينَ}**[4]. وقال :**{فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَدِمِينَ}**[5]. وأصله من منادمة الحزن له " [6].

وقد يأتي بمعنى الأثر. قال ابن الأثير [7]:" الندم : الأثر "[8].

---

[1] ابن منظور : **لسان العرب** . ج12 ص572 . وانظر . الفيروز آبادي : **القاموس المحيط**. ج4 ص182 . الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس** . ج9 ص74 . ابن فارس : **معجم مقاييس اللغة** . ج5 ص411 . الفراهيدي : **كتاب العين** . ص 950 .

[2] هو : بطرس بن بولس بن عبد الله البستاني , صاحب دائرة المعارف العربية , عالم واسع الاطلاع , ولد ونشأ في الدبيّة من قرى لبنان , وتعلم بها وببيروت آداب العربية , واللغات : السريانية , والايطالية , واللاتينية , ثم العبرية , واليونانية . واشتغل بالتأليف , فصنّف : محيط المحيط في اللغة , واختصره في كتاب قطر المحيط , وكشف الحجاب في علم الحساب . توفي في بيروت سنة 1883م . انظر . الزركلي : **الأعلام** . ج2 ص58 .

[3] البستاني , بطرس : **قطر المحيط** . 2مج .بلا طبعة . بيروت : مكتبة لبنان . بلا تاريخ . ج2 ص2151.

[4] سورة المائدة : الآية 31 .

[5] سورة الشعراء : الآية 157 .

[6] الراغب الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** . ص489 .

[7] هو: أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري , ثم الموصلي , الكاتب ابن الأثير , القاضي الرئيس , العلاّمة , البارع , الأوحد , البليغ . صاحب جامع الأصول , وغريب الحديث . قرأ الحديث والعلم والأدب . ولي ديوان الإنشاء . وكان ورعا بهيّا . توفي بالموصل سنة 606هـ. انظر . الذهبي : **سير أعلام النبلاء** . ج21 ص488-491 .

[8] ابن الأثير , أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري : **النهاية في غريب الحديث** . 5مج . تحقيق: محمود الطناحي. بلا طبعة . بيروت : المكتبة الإسلامية . ج5 ص36 .

وذكره الزمخشري [1] بسكون الدال , من الندْم , قال :" وعن ابن الأعرابي : سمّي بذلك للزومه من الندْم , وهو من الغمّ اللازم إذ يندم صاحبه لما يعثر عليه في العاقبة من سوء آثاره"[2].

فالندم في اللغة هو : الأسف , والحزن , والغم , والتحسّر على ما فات , والتوبة منه .

أما اصطلاحاً : فإن مدلوله لا يختلف عن معناه في اللغة . حيث يدور معناه على التحسّر والألم على أمر فائت . فقد وردت مشتقات كلمة الندم في القرآن الكريم في ستة مواضع [3]. كلها تشير إلى نفس معناه اللغوي .

فقد عرّفه الشيخ الجمل[4]عند قوله تعالى : {فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ}[5]قال :" مغتمين غمّا لازما . فالندم غمّ يصاحب الإنسان صحبة لها دوام على ما وقع مع تمني انه لم يقع "[6].

وعرّفه ابن عاشور بقوله :"الندم : أسف الفاعل على فعل صدر منه , لم يتفطن لما فيه عليه من مضرّة . قال تعالى :{أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ}[7]"[8].

---

[1] هو : أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي , العلاّمة , كبير المعتزلة , صاحب الكشّاف والمفصل . كان رأساً في البلاغة والعربية , والمعاني والبيان , له نظم جيّد . وكان داعية إلى الاعتزال . وقد برع في الأدب كذلك , وكان نسّبة . توفي ليلة عرفة سنة 538هـ . انظر : الذهبي : **سير أعلام النبلاء** . ج20 ص151-156.

[2] الزمخشري , جار الله محمود بن عمر : **الفائق في غريب الحديث** . 4مج . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي . ط:2 . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر . 1979م ج3 ص418.

[3] هي: الآية (31) من سورة المائدة . والآية(52) من سورة المائدة . والآية (157) من سورة الشعراء . والآية (6) من سورة الحجرات . والآية (54) من سورة يونس . والآية (33) من سورة سبأ .

[4] هو : الشيخ سليمان بن عمر بن منصور العجلي , المصري الأزهري , الشافعي , المعروف بالجمل . مفسّر , وفقيه. ولد وتوفي في مصر . من تصانيفه : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين بالدقائق الخفية , وفتوحات الوهّاب بتوضيح شرح منهج الطلاّب , وغيرها من التصانيف . توفي سنة 1204هـ. انظر: كحّالة , عمر رضا : **معجم المؤلفين**. 8مج . بلا طبعة . بيروت : مكتبة المتنبي , ودار إحياء التراث . بلا تاريخ . ج4 ص271 .

[5] سورة الحجرات : الآية 6 .

[6] الجمل , سليمان بن عمر العجلي : **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية** . 4مج . بلا طبعة . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر . بلا تاريخ . ج4 ص178 .

[7] سورة الحجرات : الآية 6 .

[8] ابن عاشور : **التحرير والتنوير** . ج3 ص174 .

كما عرّفه الدكتور وهبه الزحيلي بتعريف قريب من تعريف ابن عاشور حيث قال عند

قوله تعالى:{وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ}[1]

قال:" الندم : هو ما يجد الإنسان في نفسه من الألم والحسرة عقب كل فعل ضار لمّا رأوا العذاب الشديد فصاروا مبهوتين متحيّرين . وقد يجهرون بالندم كما قال :{ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ}[2]"[3].

وعليه فان الندم : حالة انفعالية تنشأ من شعور الإنسان بالخطأ والذنب . وقد تصل إلى الحزن, والتحسّر, والأسى, والتوبة .

ثانيا : الندم عند علماء النفس :

عرّف علماء النفس الندم أو الشعور بالذنب بتعريفات مختلفة , إلا أنها تصب في معنى واحد , وإن اختلفت عباراتهم . فقد عرّفوا الندم بأنه :

- " لوم الذات وتأنيب الضمير نتيجة الإتيان بأفعال خاطئة , أو خرق أمر أخلاقي , أو الإخفاق في تحقيق طموحات , أو العجز عن فهم الآخرين "[4].

-" استعداد لا شعوري يقسر الفرد على الشعور الشاذ بالذنب , وعلى القيام بأعمال مختلفة لإيذاء نفسه وعقابها , أو إذلالها والغض من شأنها , وللتكفير عن ذنوب يتوهم أنه ارتكبها ويسمى هذا (عقدة الذنب وإدانة الذات)[5].

---

[1] سورة يونس : الآية 54 .

[2] سورة الزمر : الآية 56 .

[3] الزحيلي , أ.د وهبه : **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** . 15مج . إعادة ط: 1 . بيروت , ودمشق : دار الفكر المعاصر , ودار الفكر . 1998 . ج11 ص196 .

[4] مقال على الانترنت للكاتب محمد أحمد إبراهيم سعفان , بعنوان :" مقياس الشعور بالذنب " . أنظر :
http://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=egb63427-5063408&search=books

[5] راجع : **أصول علم النفس** . ص145

- "انفعال ينشأ عن شعور الشخص بالذنب , وأسفه على ارتكابه , ولومه لنفسه على ما فعل"[1]

وقد قسّموا الندم أو الشعور بالذنب إلى قسمين هما [2] :

الأول : ايجابي : وهو الشعور الذي يدفع صاحبه نحو الفعل الإيجابي الفعّال كالذي يذنب ذنبا فيشعر بالندم ويقرر نتيجةً لهذا الشعور ألاّ يعود لهذا الذنب أبدا .

الثاني : سلبي : وهو شعور الفرد بلوم الذات وتأنيب الضمير .

والمقصود من القسم السلبي هو " شعور الفرد بذنب غير معروف المصدر , فترى الفرد لا يعرف لماذا يشعر بالذنب , وهي مشاعر وهمية مبالغ فيها لا ترتبط بخطأ واضح أو واقعي وأحيانا ينظر إلى أخطائه وكأنها لا تغتفر "[3].

وعلى ضوء هذه التعريفات فإن الندم أو الشعور بالذنب عند علماء النفس له قيمة إيجابية مُثلى, لأنه ضرورة تهذيبية كي يقلع الفرد عن أخطائه , ويراجع نفسه ويحاسبها .

---

[1] مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه , بعنوان : "الانفعالات" . انظر :
http://www.fo-z.com/vb/t4312.html

[2] مقال على الانترنت للكاتب سيد يوسف , بعنوان : " المقياس النفسي للشعور بالذنب " . انظر :
http://www.aklaam.net/aqlam/show.php?id=1775

[3] مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه , بعنوان : " فوائد من المجلات العربية " . انظر :
http://www.hayatnafs.com/faoaied-men-almajalat-alarabia/masha3er-althanb.htm

المبحث الثاني

مشاهد انفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام

ذكر القرآن الكريم انفعال الندم أو التوبة والاستغفار لبعض الأنبياء عليهم السلام , وذلك بعد ذكره لخطأ أو معصية لهذا النبي أو ذاك , وذلك للتدليل على بشريّتهم . وفي هذا المبحث سأتحدث عن الأنبياء عليهم السلام الذين حصل معهم انفعال الندم .

المطلب الأول : مشهد الندم عند آدم عليه السلام

أولاً : ملامح شخصية آدم عليه السلام :

آدم عليه السلام أبو البشر [1] , وأول الأنبياء [2], خلقه الله تعالى من تراب [3] , ونفخ فيه من روحه[4] وأسجد له الملائكة [5] , وجعله خليفته في الأرض [6] . ورد ذكره في القرآن الكريم في ثمانية

---

[1] لحديث الشفاعة الطويل . وفيه : " فيقول بعض الناس : أبوكم آدم . فيأتونه فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر , خلقك الله بيده ... " رواه البخاري . انظر : البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب أحاديث الأنبياء . باب قول الله عز وجل **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ }** [هود : 25] . رقم الحديث (3340) . ج 2 ص 135 .

[2] لحديث أبي أمامة أن رجلا قال : يا رسول الله أنبي كان آدم ؟ قال : " نعم معلم مكلم " . رواه أحمد والحاكم . انظر : أحمد بن حنبل : **المسند** . ج 5 ص 266 . الحاكم : **المستدرك على الصحيحين** . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي في الذيل . ج 2 ص 262 .

[3] لقوله تعالى : { **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** } . [آل عمران : 59] .

[4] لقوله تعالى : { **فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ** } .[الحجر :]28 .

[5] لقوله تعالى : { **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ** }. [البقرة :]ربيع ثان ربيع أول .

[6] لقوله تعالى : { **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً** } .[البقرة :]30 .

سور [1]. و قد وردت قصته بجوانبها المتعددة كثيرا في القرآن الكريم مقارنة مـــع غيرهـــا مـــن قصص الأنبياء عليهم السلام .

ومن أبرز ملامح شخصيته عليه السلام :

1 - العلم : فقد علّمه الله تعالى أسماء كل شيء , قال تعالى : { وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا }[2]. وذلـــك ليتمكن من العيش في الأرض وخلافتها . حيث إن الغاية من خلقه عليه السلام هي خلافة الأرض . قال تعالى : { وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ }[3] .

2 - قوة الحجة وفصاحة اللسان : حيث منحه الله تعالى قوة الحجة في المجادلة وفصاحة اللـــسان في المواجهة . فقد ثبت في البخاري ومسلم حديث محاجة موسى لآدم عليهما السلام وفيه : فقال رسول الله ﷺ : " فحجّ آدم موسى مرتين "[4] .

3 - النسيان وضعف الإرادة : قال تعالى :{ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا }[5] . يقول سيد قطب : " وعهد الله إلى آدم كان هو الأكل من كل الثمار سوى شـــجرة واحـــدة , تمثل المحظور الذي لا بد منه لتربية الإرادة , وتأكيد الشخصية , والتحرر من رغائب الـــنفس وشهواتها بالقدر الذي يحفظ للروح الإنسانية حرية الانطلاق من الضرورات عندما تريد , فـــلا تستعبدها الرغائب وتقهرها . وهذا هو المقياس الذي لا يخطئ في قياس الرقي البشري " [6] .

---

[1] هي : البقرة : الآيات (37,35,34,33,31) . آل عمران : الآيتان (59,33) . الأعـــراف : الآيـــات(172,27,19,11). الحجر : الآيات (28-33) . الإسراء : الآية (61) . الكهف : الآية (50) . طه : الآيات (121,120,117,116,115) . ص : الآيات (71-75) .

[2] سورة البقرة : الآية مُحَرَّم رَبيع أوّل .

[3] سورة البقرة : الآية 30 .

[4] البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب أحاديث الأنبياء . باب وفاة موسى , وذكره بعد . رقم الحديث (3409) . ج 2 ص 145 . مسلم : **صحيح مسلم** . كتاب القدر . باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام . رقم الحديث (2652) . ج 4 ص 2042 .

[5] سورة طه : الآية 115 .

[6] قطب : **في ظلال القرآن** . ج 4 ص 2353 .

ثانياً : ندم آدم عليه السلام بعد الأكل من الشجرة وعصيان الله تعالى :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى : { وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ }[1]

فهذا المشهد يكشف الستار عن أمرين اثنين هما :

الأول : عصيان آدم عليه السلام لربه عز وجل في أكله من الشجرة : فقد أحـلّ الله تعـالى لآدم عليه السلام وزوجه أن يأكلا من أي أشجار الجنّة شاءا , بل ومن أي مأكول فيها قال تعـالى : { وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا }[2] . وحرّم عليهما شجرة بعينها . نهـى أن يأكلا منها بل أن يقتربا منها , لأن " النهي عن الاقتراب أبلغ من النهي عن الأكـل "[3] وهـذا النهي للتحريم لقرينة { فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ } .

ولما كان من ملامح شخصية آدم عليه السلام النسيان والغفلة , والضعف أمام المغريات , مـصداقاً لقوله تعالى : { وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا }[4] , فقد استطاع الشيطان أن يوسوس لآدم عليه السلام وزوجه ويغريهما ليأكلا من هذه الشجرة , مستخدماً ثلاثة أساليب هي :

1 - **القسم واليمين الكاذب** : { وَقَاسَمَهُمَا } , والمعنى " حلف لهما بالله "[5] . وهذا مـن أخبـث الأساليب للإيقاع والغواية .

[1] سورة الأعراف : الآيات 19-23 .
[2] سورة البقرة : الآية 25 .
[3] الميداني : **معارج التفكر** . ج 4 ص 131 .
[4] سورة طه : الآية 115 .
[5] ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . ج 3 ص 153 .

2- **النصح والإرشاد** : { إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ } , والمعنى أن الشيطان " صوّر نفسه لهما ناصحاً من جملة الناصحين "[1] .

3- **التدرج في خطوات الغواية** : { فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ } , والمعنى " استنزلهما إلى الأكل من الشجرة بغرور "[2] . " ومعلوم أن التدلية لا تكون رمياً أو قذفاً , وإنما تكون إرسالاً برفق شيئاً فشيئاً , وهذه هي وسيلة الشيطان , إنها قائمة على أسلوب الخطوات المتتابعات تنازلاً إلى الحضيض , أو إلى الدرك الأسفل من الجحيم " [3] . ولذا نهى الله تعالى عن إتباع هذه الخطوات الشيطانية قائلاً : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ }[4] .

وهذه الخطوات آتت أكلها حين أغراهما بان الأكل من هذه الشجرة سيوصلهما إلى الملك والخلود {إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ }[5] . وهذا يدل على أن آدم عليه السلام وزوجه كان عندهما الرغبة الشديدة في الخلود وأن يكونا ملكين , " ومعلوم أن شدّة الرغبة تتحول إلى هوى , ومن شأن الهوى أن يغشّي على مراكز التفكير الصحيح , ويجعل الإنسان يتصرف بموجّه من رغبات نفسه , لا بموجّه من فكره وعقله وإيمانه , ومن هنا يسقط المؤمنون في أوحال المعاصي والخطايا "[6] .

وفعلاً وقع آدم عليه السلام في المعصية {وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ }[7] . وأكل هو وزوجه من الشجرة. ولكن الأكل كان على مرحلتين :

---

[1] ابن القيّم , محمد بن أبي بكر : **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان** . بلا طبعة . بيروت : المكتبة الثقافية . 1989م . ج 1 ص 91 .
[2] أبو حيان : **البحر المحيط** . ج 4 ص 280 .
[3] الميداني : **معارج التفكر** . ج 4 ص 141 .
[4] سورة النور : الآية 21 .
[5] سورة الأعراف : الآية 20 .
[6] الميداني : **معارج التفكر** . ج 4 ص 139 .
[7] سورة طه : الآية 131 .

الأولى : التذوق : { فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا }[1] , أي " وجدا طعمها "[2] .

الثانية : الأكل : { فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا }[3] .

وقد انكشفت سوءاتهما حين ذاقا الشجرة وقبل أن يأكلا ,بدليل قوله تعالى : { فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا }[4] للتدليل على أن ملامسة المعصية وقبل الانغماس فيها توقع الإنسان في المحظور والعقوبة , وللتدليل كذلك على أن المعصية قد وقعت , والعقوبة المترتبة عليها قد حانت . وهي الخروج من الجنّة , وذلك أن الله تعالى بيّن لآدم عليه السلام أنه لن يجوع في الجنّة ولن يعرى قائلاً : { إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ }[5] . وما دامت سوأته قد انكشفت , فلا مقام له في الجنّة .

وقد عاتب الله تعالى آدم عليه السلام على هذه المعصية , وعلى عدم التزامه بأمره ونهيه , قائلاً: {أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ }[6] . فربنا سبحانه بيّن لآدم عليه السلام , وأعذره بهذا البيان , أن الشيطان عدوّ لا يؤمن جانبه , فعليه الحذر منه .

يقول سيد قطب :" وسمعا هذا العتاب والتأنيب من ربهما على المعصية وعلى إغفال النصيحة"[7] .

الثاني : اعتراف آدم عليه السلام بالمعصية وندمه عليها : فبعد هذا العتاب الإلهي , يقر آدم عليه السلام وزوجه بالذنب والخطيئة , وأنهما ظلما أنفسهما , ويطلبان من الله تعالى المغفرة والرحمة إذ

---

[1] سورة الأعراف : الآية 22 .
[2] أبو حيان : **البحر المحيط** . ج 4 ص 280 .
[3] سورة طه : الآية 131 .
[4] سورة الأعراف : الآية 22 .
[5] سورة طه : الآية 118 .
[6] سورة الأعراف : الآية 22 .
[7] قطب : **في ظلال القرآن** . ج 3 ص 1269 .

بـــدونهما يكونـــان مـــن الخاســـرين { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ}[1].

وهذا الدعاء يدل على عمق التحسّر والندم من آدم عليه السلام , وعلى مدى الاســتعطاف مــن الله تعالى ليغفر هذا الذنب وهذه الزلّة . وهذا الندم نتج عنه أمران :

الأول : غفران الذنب , وقبول التوبة , قال تعــالى : { وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ }[2] . وقال تعالى : { فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ }[3] , " وهذه الكلمات التي تلقّاها الرب سبحانه من آدم عليه السلام هي قوله { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ }[4] "[5] .

الثاني : الهبوط إلى الأرض , وإنفاذ وعد الله بالخلافة فيها , وإقامة شرعه عليهـــا , وإنـــزال الهداية إليها , قال تعالى : { قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ }[6] .

وأمام هذه المعصية من آدم عليه السلام , وهذا الندم والتحسّر , وهذه الرحمة والتوبة من الله تعالى, " ينكشف الجانب الآخر من طبيعة هذا الكائن المتفرد .. إنه ينسى ويخطيء . إن فيـــه ضـــعفاً يدخل منه الشيطان . إنه لا يلتزم دائماً ولا يستقيم .. ولكنه يدرك خطأه , ويعرض زلّته, ويندم ويطلب العون من ربه .. إنه يثوب ويتوب , ولا يلحّ كالشيطان في المعصية , ولا يكون طلبـــه من ربه هو العون على المعصية "[7] .

---

[1] سورة الأعراف : الآية 23 .
[2] سورة طه : الآيتان 132,131.
[3] سورة البقرة : الآية 37 .
[4] سورة الأعراف : الآية 23 .
[5] انظر : القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . ج 1 ص 324 . ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . ج 1 ص 141 .
[6] سورة البقرة : الآية 38 .
[7] قطب : **في ظلال القرآن** . ج3 ص 1269 .

وفي عصيان أبي البشر آدم عليه السلام , ثم ندمه واستغفاره , بيان وإيضاح لخصيصة هذا الإنسان, والغرائز والاستعدادات والأحاسيس والمشاعر التي وضعها الله تعالى فيه , " فلا عجـــب إذا أن نجد آدم عليه السلام بعد أن يعهد الله إليه أن ينسى , وأن يخور عزمه ويفتر عما عهد الله إليه "[1].

وأهم العبر المستفادة من هذا المشهد هي :

1 - الكشف عن حقيقة الشيطان , وأنه عدو للإنسان , غايته وهدفه الإيقاع به , وحرف مـــساره نحو الشر والفساد , والمعصية والفجور . ولذا نبّه الله تعالى عباده بعد معصية آدم عليه السلام بقولـــه: {يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ}[2] .

2 - إن الندم والتحسّر والشعور بالذنب واتهام النفس بالتقصير والظلم , والعزم على تـــصويب المسيرة , كلها وسائل وطرق تقرب الإنسان من ربه , وتمحو عنـــه الـــسيئات , وتجبـــر عنـــه المعاصي { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ }[3] .

3 - إن هذا الإنسان , وهذا الكائن الجديد , وضع الله تعالى فيه نوازع الخيـــر والـــشر , فهمـــا يتصارعان في نفسه وداخله , فإذا غلب الهوى واستحكم فقد الإنسان أهم عنصر فيه وهو العقـــل والفكر والإدراك , وأسلم قياد نفسه للشهوات والشبهات والغرائز المضلة , مما يسبب له الوقوع في المعاصي والمحرمات . وأما إذا استكانت نفسه لنوازع الخير , واطمأنت إليه , كـــان هـــذا الإنسان عنصر بنّاء في الأرض , وخليفة الله فيها .

---

[1] عبّاس : **القصص القرآني** . ص 79 .
[2] سورة الأعراف : الآية 27 .
[3] سورة الأعراف : الآية 23.

المطلب الثاني : مشهد الندم عند موسى عليه السلام

ندم موسى عليه السلام على إلقاء الألواح وجرّ رأس أخيه :

تحدثت عن انفعال الغضب عند موسى عليه السلام [1] المتمثل بإلقاء الألواح وفيها شريعة الرب مكتوبة , وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه. وكان في تصرفه هذا تحت تأثير الغضب الشديد . فقد وصف الله تعالى حالته النفسية بقوله :{ غَضْبَـٰنَ أَسِفًاۚ }[2]. لكن في هذا المشهد سنرى انفعالا مغايراً بادياً وظاهراً على موسى عليه السلام انه انفعال الندم . ويبدأ مشهد انفعال الندم عند موسى عليه السلام من قوله تعالى :{وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ}[3].

ففي هذا المشهد نلمح انفعال الندم , والشعور بالخطأ بادياً على موسى عليه السلام من خلال دعائه {رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ}. فحين تبيّن له أنه تسرّع في إلقاء الألواح, وإيذاء أخيه . شعر بالندم والخطأ تجاه ربه , وتجاه أخيه . فطلب المغفرة والرحمة له ولأخيه . ومن هنا حصل الندم عنده عليه السلام . قال أبو حيّان : " لمّا اعتذر إليه أخوه استغفر لنفسه وله . قالوا: واستغفاره لنفسه بسبب فعلته مع أخيه , وعجلته في إلقاء الألواح . واستغفاره لأخيه فعلته في الصبر لبني إسرائيل "[4] .

والآية {رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى} دالّة على وقوع ذنب وخطأ من موسى عليه السلام . إذ " كيف يلقي الألواح وفيها المنهج , وكيف يأخذ برأس أخيه هذه الأخذة قبل أن يتبين وجه الحق منه "[5].

---

[1] أنظر صفحة : 79-80 .

[2] سورة طه : الآية 85 .

[3] سورة الأعراف: الآيتان 151,150.

[4] أبو حيّان : **البحر المحيط** . ج 4 ص395 .

[5] الشعراوي: **تفسير الشعراوي** . ج7 ص4368 .

والغفران يكون من ذنب أو خطأ أو تقصير . قال ابن منظور : " وأصل الغفر : التغطية والستر . غفر الله ذنوبه أي سترها . والغفر : الغفران . والغفور والغفّار : هما من أبنية المبالغة . ومعناهما الساتر لذنوب عباده , المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم "[1]. وهذا يقع من الأنبياء عليهم السلام . ولا يؤثر في عصمتهم , وذلك أنهم معصومون عن كبائر الذنوب وعن الصغائر الخسيسة , لكنهم غير معصومين عن باقي الصغائر .

ويرى الدكتور الخالدي أن موسى عليه السلام لم يخطئ , وإنما فعل خلاف الأولى . فيقول : "ودعاؤه الله لهما بالمغفرة , ليس معناها أنهما ارتكبا ذنبا , وإنما هو ذكرٌ منه لله , وأدبٌ منه مع الله , وحاسيّته وتحرجه من فعل خلاف الأولى . إنه يستغفر الله مما ظهر عليه من الغضب والانفعال مع أنه لم يخطئ فيه , وإنما فعل خلاف الأولى , ويستغفر لأخيه من فعله خلاف الأولى مع بقائه مع القوم "[2].

وأنا أميل إلى أن موسى عليه السلام أخطأ وهو في حالة الغضب خطأين : الأول : إلقاء الألواح . والثاني : جرّ أخيه هارون عليه السلام من لحيته ورأسه . ثم ندم من هذين الخطأين , واستغفر لنفسه ولأخيه . وهذا يدل على أمرين اثنين هما :

1- سرعة رجوعه إلى الحق والصواب.

2 -عناية الله تعالى بنبيّه موسى عليه السلام , حيث أرشده إلى التوبة والاستغفار , لأن الله تعالى لا يقر أنبيائه على خطئهم , وإنما يعجّل لهم سبيل التوبة .

[1] ابن منظور : **لسان العرب** . ج5 ص25 .
[2] الخالدي : **مواقف الأنبياء في القرآن** . ص272.

المطلب الثالث : مشهد الندم عند نوح عليه السلام

أولاً : ملامح شخصيّة نوح عليه السلام :

نوح عليه السلام أول الرسل إلى أهل الأرض [1]. وأول أولي العزم منهم [2]. سمّاه الله عبداً شكوراً[3]. وهو أكثر الرسل مكثاً في قومه يدعوهم إلى الله . حيث مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما[4].

من أبرز ملامح شخصيته عليه السلام :

1 - الصبر والتحمّل في مواجهة الصعاب والمحن والابتلاءات . فقد كان عليه السلام كالطود الشامخ والجبل الأشم في مواجهته للصعاب والفتن . فلقد أبتلي من قومه , وزوجته , وولده . فقومه واجهوه بشتّى صنوف الأذى والاضطهاد . اتهموه بالسفه والضلال , قال تعالى :{قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ }[5]

واتهموه بالجنون, قال تعالى :{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ }[6] . واتهموه بكثرة الجدال والافتراء على الله تعالى :{ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ }[7]. وعلى الرغم من أنه مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين

---

[1] لحديث الشفاعة الطويل . وفيه : " فيأتون نوحاً , فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ... " . رواه البخاري : صحيح البخاري . كتاب أحاديث الأنبياء . باب قول الله تعالى : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ } .[هود : 25] رقم الحديث (3340) . ج 2 ص 135 .

[2] لقوله تعالى:{شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ}.[الشورى : 13] .

[3] لقوله تعالى :{ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}.[الإسراء : 3] .

[4] لقوله تعالى : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا}. [العنكبوت :14

[5] سورة الأعراف : الآيتان 61,60 .

[6] سورة القمر : الآية 9 .

[7] سورة هود : الآية 32 .

عاماً , إلا أنه لم يؤمن منهم إلا القليل , قال تعالى :{ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ }[1]. ومع كــل هــذه المحن صبر عليهم . وابتلي بزوجته فقد كانت كافرة, قال تعالى :{ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ}[2]. وابتلي بولده الذي اختار طريق الكفر على طريق الإيمــان, قال تعالى :{ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ }[3]. لــذا " كان جهاد نوح ﷺ , وصبره على إيذاء قومه , بما لا طاقة لأحد على تحمّله , ولا قــدرة لــه عليه , فقد كان جهاده جهاد الأبطال , وصبره صبر الجبال , أوذي , وعذّب , واضطهد , وهــو لم يكف عن تبليغ دعوة الله لمدة تقارب ألف عام"[4].

2- كان ذا نفسيّة أبيّة , يأبى الضيم , والذلّ , والهوان . فقد كان ﷺ يرد عن نفــسه وإخوانــه سخافاتهم , قال تعــالى :{ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ }[5].

3- كان صاحب همّة عالية , لا تعرف الكلل ولا الملل , ولا الكسل ولا الفتور . يــصل الليــل بالنهار في سبيل دعوته , فقد كان " يعيش لدعوته , فمن أجلها يواصل الليل والنهار , والسر مع الإعلان , ولا يتقاضى على ذلك أجرا , أو ينتظر مغنما , أو يطمع في جاه " [6]. قال تعالى:{قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا }[7].

---

[1] سورة هود : الآية 40 .
[2] سورة التحريم : الآية 10 .
[3] سورة هود : الآية 43 .
[4] الصابوني: **النبوة والأنبياء** . ص138 -139 .
[5] سورة هود : الآية 38 .
[6] زين العابدين: **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله.** ج1 ص74 .
[7] سورة نوح : الآيات 5-8 .

4 - " كان حليماً , واسع الصدر , محباً لقومه , لا يعرف الحقد سبيلاً إلى نفسه , ولا يأبــه مــن استخفاف الناس له , ولا يقيم للأهواء والأمزجة وزنا "[1].

5 - كان ﷺ أبا حانياً , ذا قلب شفوق ممزوج بالرحمة والحنان . حزن واغتمّ وتحـسّر لغــرق ولده . ودعا ربه أن لا يجعله من الكافرين قائلاً :{ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ }[2]

ثانياً : ندم نوح عليه السلام على استغفاره لولده الكافر :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى :{ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ }[3] .

فهذا المشهد يرسم شخصية نوح ﷺ الوالد , والأب , حيث تتحرك مشاعر وعواطف الأبوة الصادقة بهذا النداء الذي ينمّ عن مدى الشفقة والرحمة , والحنان والرأفة . نداء نوح الأب لابنه الكافر العاق {يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ }[4].فيرفض هذا العاق إجابة دعــوة والــده . وتتدخل بينهما موجة عاتيـة فتغرقــه فيكــون مــن المغــرقين {وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ }[5]. يقول الشيخ عبد الكريم الخطيب :" ماذا يكون من أب نحــو ابنــه مــن حنــو وإشفاق, ومن جزع وحزن . أكثر مما فعل نوح ﷺ مع ابنه هذا . لقد هتــف بــه أن يركــب السفينة معه , وذلك حين تفقّده فلم يجده بين أهله الراكبين فيها , ثم لقد برّح به الحزن, واشــتدّ عليه الألم , بعد أن هلك هذا الابن , وكان من المغرقين . فجعل نوح ﷺ يندب ابنه , ويطلــب من الله تعالى العزاء والسلوان الذي حكاه القرآن بقولــه :{ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ

---

[1] زين العابدين : **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله** . ج 1 ص 74 .
[2] سورة هود : الآية 45 .
[3] سورة هود : الآيات 45-47 .
[4] سورة هود : الآية 42 .
[5] سورة هود : الآية 43 .

أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ}[1]. فبهذا القلب الحزين الذي يتمـزق أسـى وحـسرة يناجي نوح ربه . وكأنه يعاتبه , أو يراجعه فيما قضى به سبحانه في هذا الابن العاق "[2] .

فنوحﷺ تحركت في نفسه لهفة الوالد المفجوع حين هدأت العاصفة . فقام بمناجاة ربه فـي ابنه{ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي }. وقد وعد الله تعالى نوحاً ﷺ بنجاة المؤمنين من أهله . إذ إنه أمره بحملهم في السفينة بقولـه تعـالى :{ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ }[3].

ويأتي الجواب الإلهي على صورة عتـاب {يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ }[4]. يقول سيد قطب :" جاءه الردّ هكذا في قوة وتقرير وتوكيد , وفيما يشبه التقريع والتأنيب والتهديد "[5]. فتبين لنوح ﷺ أنه تسرّع في سؤال الله عز وجل بشأن ولده . فاستحق بذلك العتاب الإلهي, والتأنيب الربّاني , بقوله :{ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ }[6] . وهذه الكلمات تدل علـى مـدى العتاب والتأنيب والتهديد . مما أدّى إلى وجود انفعال الخوف عند نوح ﷺ . قال محمد سـرور زين العابدين :" وترتعد فرائص نوح ﷺ من شدة الخوف , وترتجف من لوم الله له . فيتوجـه إلى ربه مستغفرا تائبا "[7].

بعد هذا العتاب الرباني ينفعل نوح ﷺ انفعال ندم , فيشعر بالذنب والخطأ , " ويرتجف نوح ﷺ ارتجافة العبد المؤمن . يخشى أن يكون قد زلّ في حق ربه , فيلجأ إليه , يعوذ به, ويطلب غفرانه ورحمته , { رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ}[8] "[9].

---

[1] سورة هود : الآية 45 .
[2] الخطيب : **التفسير القرآني للقرآن** . ج12 ص1144 - 1145 .
[3] سورة هود : الآية 40 .
[4] سورة هود : الآية 46 .
[5] قطب : **في ظلال القرآن** . ج4 ص1879 .
[6] سورة هود : الآية 46 .
[7] زين العابدين : **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله** . ج1 ص67 .
[8] سورة هود : الآية 47 .
[9] قطب : **في ظلال القرآن**. ج4 ص1880 .

والمتدبر لهذا المشهد يجد أن نوحاً عليه السلام قد أخطأ في سؤال ربه نجاة ولده , وأنه قد جاوز بذلك حدّه الذي يجب أن يقف عنده . قال الشيخ الخطيب :" ولهذا فقد عرف أن ما كان منه من سؤال عن ابنه , وعن حكمة الله في إغراقه مع المغرقين . هو أمر جاوز به الحدّ الذي ينبغي أن يقف عنده مع الله عز وجل , فجاء إلى الله تائباً مستغفرا "[1].

بينما يعتبرها رشيد رضا خطأ في اجتهاد رأي إذ يقول :" إن سؤال نوح عليه السلام ما سأله لابنه لم يكن معصية لله تعالى خالف فيها أمره أو نهيه , وإنما كانت خطأ في اجتهاد رأي بنيّة صالحة. وإنما عدّها الله سبحانه ذنبا له لأنها كانت دون مقام العلم الصحيح اللائق بمنزلته من ربه. هبطت بضعفه البشري , وما غرس في الفطرة من الرأفة والرحمة بالأولاد إلى اتباع الظن. ومثل هذا الاجتهاد لم يعصم منه الأنبياء فيقعون فيه أحيانا ليشعروا بحاجتهم إلى تأديب ربهم وتكميله إياهم آناً بعد آن , بما يصعدون به في معارج العرفان "[2] .

لذا سارع نوح عليه السلام بالاستغفار , والندم , وإظهار الافتقار إلى الله سبحانه , وأنه سيكون من الخاسرين إن لم تتداركه نعمة الله بالمغفرة ." وهذه التوبة منه عليه السلام عما وقع منه , وإنما لم يقل أعوذ بك منه أو من ذلك مبالغة في التوبة , وإظهارا للرغبة والنشاط فيها . وتبركاً بذكر ما لقنه الله تعالى . وهو أبلغ من أن يقول : أتوب إليك أن أسألك , لما فيه من الدلالة على كون ذلك أمرا هائلا محذورا , لامحيص منه إلا بالعوذ بالله تعالى . وأن قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره إلا بذلك "[3] .

ومن هداية هذا المشهد أن الندم , والاستغفار , والشعور بالخطأ والتقصير . سبيل إلى المغفرة والتوبة.

---

[1] الخطيب : **التفسير القرآني للقرآن** . ج12 ص1149 .
[2] رضا : **تفسير القرآن الحكيم** . ج12 ص86 .
[3] أبو السعود : **إرشاد العقل السليم** . ج3 ص319 .

المطلب الرابع : مشهد الندم عند يونس عليه السلام

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعـالى :{ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ }[1].

وفي هذا المشهد نلمح وجود انفعالين حصلا ليونس عليه السلام . انفعال الغضب . حيث غاضب قومه لله , وغاضبوه بعصيانهم له , وإصرارهم على عبادة الأصنام . فقرر تركهم والخروج من عندهم , دون أخذ الإذن من الله سبحانه . وقد تكلمت عن هذا الانفعال في مشهد الغضب عند يونس عليه السلام [2].

وظن يونس عليه السلام أن الله تعالى لن يضيّق عليه الأرض بعد خروجه عن قومه . "فهي فسيحة والقرى كثيرة , والأقوام متعددة , وما دام هؤلاء يستعصون على الدعوة , فسيوجهه الله إلى أقوام آخرين "[3]. قال تعالى : {فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ }[4]. يقول الدكتور فضل عباس :" وإذا كان مثل هذا الظن يمكن أن يقبل من غير أصحاب النفوس الكبيرة الذين لا يعدّون في هذه الحياة ليكونوا مصابيح هداية . فإنه لا يقبل ممن أعدهم الله تبارك وتعالى ليحملوا رسالته . لذلك كانت حسنات الأبرار سيئات المقربين . والله سبحانه الحكم العدل يأخذ كل واحد ويحاسبه على قدر ما أنعم عليه . وبمقدار ما مكنه في هذه الحياة "[5].

ولا يجوز أن يُظن أن يونس عليه السلام كان يظن بربه عز وجل أنه لا يقدر عليه . إذ " أن هذا الظن لا يجوز بضعيفة من النساء , أو بضعيف من الرجال , إلا أن يكون قد بلغ الغاية من الجهل . فكيف بنبي مفضل على الناس في العلم . ومن المحال المتيقن أن يكون نبي يظن أن الله الذي أرسله بدينه , لا يقدر عليه , وهو يرى أن آدميا مثله يقدر عليه , ولاشك في أن من نسب

[1] سورة الأنبياء : الآيتان 88,87 .
[2] انظر صفحة 82 .
[3] قطب : **في ظلال القرآن** . ج4 ص2393 .
[4] سورة الأنبياء : الآية 87 .
[5] عباس : **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته** . ص350 .

هذا إلى النبي الفاضل , فإنه يشتد غضبه لو نسب ذلك إليه أو إلى ابنه . فكيف إلى يونس عليه السلام الذي يقول فيه الرسول ﷺ " لا تفضلوني على يونس بن متّى "[1] . فقد بطل ظنهم

بلا شك , وصح أن معنى قوله : {فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ}[2]. أي لا نضيق عليه . كما قال سبحانه: {وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ}[3] أي ضيق عليه "[4].

وبعد خروجه عليه السلام عن قومه , ساقه القدر إلى مركب في البحر , ليساهم مع ركابه , فتأتي القرعة عليه , ليكون الحوت مأواه فترة من الزمن . قال تعالى : { وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ }[5].

واستقر يونس عليه السلام في بطن الحوت , وبدأت رحلة الابتلاء والمعاناة , ووجد يونس عليه السلام نفسه في ظلمات متراكبة " ظلمة الليل , وظلمة البحر , وظلمة بطن الحوت "[6].

وكأني بيونس عليه السلام يراجع نفسه وهو في بطن الحوت ما الذي فعله ؟ وما سبب هذه المحنة والمعاناة التي وقع فيها ؟ فيلجأ إلى ربه بالتسبيح { فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ }[7]. ثم بالإقرار والاعتراف بخطئه وذنبه. وهذا هو الانفعال الثاني وهو انفعال الندم .

---

[1] رواه البخاري بلفظ "ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متّى " . انظر : **صحيح البخاري** . كتاب أحاديث الأنبياء . باب قول الله تعالى : { **وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ**} إلى قوله : {**وَهُوَ مُلِيمٌ**} سورة الصافات : الآيات 139-142. رقم الحديث (3415). ج 2 ص 157 .

[2] سورة الأنبياء : الآية 87 .

[3] سورة الفجر : الآية 16 .

[4] ابن حزم , أبو محمد علي بن أحمد : **الفصل في الملل والأهواء والنحل** . 5مج . تحقيق: د. محمد نصر و د. عبد الرحمن عميرة . بلا طبعة . بيروت : دار الجيل . 1985. ج4 ص36 .

[5] سورة الصافات : الآيات 139-142 .

[6] القشيري ,أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك : **لطائف الإشارات** . 3مج . علّق عليه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن . ط : 1 . بيروت : دار الكتب العلمية . 2000 . ج2 ص304 .

[7] سورة الصافات : الآيتان 144,143 .

إن يونس‏ عليه السلام قد شعر بالذنب , وشعر أنه قام بفعل قد لا يرضي الله تعالى , وهو الخروج عن قومه دون أخذ الإذن من سيّده ومولاه سبحانه . فما كان منه إلا أن دعا ربه باكيا متضرعا قائلا :{ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ }[1]. وقوله : {إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ} إقرار منه عليه السلام بالذنب وشعور بالندم .

يقول النيسابوري[2]:" قول يونس :{ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ } أي بالفرار من غير إذن , وأنا الآن من التائبين "[3].

إن يونس‏ عليه السلام قد علم أن ما أصابه تأديب رباني . ولذا حصل له انفعال الندم , والشعور بالخطأ .

والهداية والعبرة التي نستخلصها من ندم يونس عليه السلام هي:

1- وجوب لوم النفس , والشعور بالتقصير والخطأ , والاعتماد على الله سبحانه وقت المحن والشدائد .

2- إن الأنبياء عليهم السلام " يؤاخذون في الدنيا على ما فعلوه , مما يظنونه خيراً وقربة إلى الله عز وجل إذا لم يوافق مراد ربهم . وعلى هذا الوجه أقرّ – يونس – على نفسه بأنه كان من الظالمين . والظلم : وضع الشيء في غير موضعه . فلما وضع النبي عليه السلام المغاضبة في غير موضعها , اعترف في ذلك بالظلم , لا على أنه قصده وهو يدري أنه ظلم "[4] . وذلك أنه غاضب قومه وأسرع بالخروج من عندهم دون أن يأخذ الإذن من الله تعالى .

---

[1] سورة الأنبياء : الآية 87 .

[2] هو : الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري . نظام الدين . ويقال له الأعرج . مفسر , له اشتغال بالحكمة والرياضيات , أصله من قم , ومنشأه وسكنه في نيسابور . له كتب منها : غرائب القرآن ورغائب الفرقان , ولب التأويل , وشرح الشافية في علم الصرف . توفي سنة 850هـ . انظر . الزر كلي : **الأعلام** . ج1 ص216 .

[3] النيسابوري , الحسن بن محمد القمي : **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** . 12مج . تحقيق: إبراهيم عطوة عوض . ط:1 . القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي . 1965 ج17 ص57 .

[4] ابن حزم : **الفصل في الملل والأهواء والنحل** . ج4 ص37 .

المبحث الثالث

القيم الإيجابية لانفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام

من خلال مشاهد الندم عند الأنبياء عليهم السلام , رأينا أن القرآن الكريم قد سبر غور نفسياتهم , وتوغل في أعماقها , وكشف مكنوناتها , وأظهر ما تخفي في داخلها , حتى يبين لنا "أن في الصورة النفسية وظيفة وعظ وإرشاد واعتبار وتذكير , تتضح معالمها وأبعادها في استخلاص العبر , لما تتضمنه من فوائد كثيرة " [1] .

ومن هذه القيم والفوائد التي نستخلصها من صورة الأنبياء النفسية في مشاهد الندم والاعتراف بالخطأ هي :

أولاً : ما من شك في أن الندم الذي ينشأ عن شعور الفرد بالذنب , وأسفه ولوم نفسه على ذنب أو خطأ أو تقصير فعله , من العوامل المهمة في تقويم شخصيته , وصقلها , وتهذيبها , ودفعها إلى تجنب الأفعال أو الأمور التي يمكن أن تسبب له الم النفس مستقبلا .

فالأنبياء عليهم السلام خطّوا منهجاً لأتباعهم في صقل شخصياتهم , وتهذيب نفوسهم من خلال ندمهم , وشعورهم بالخطأ , على أفعال ظاهرها المخالفة لأوامر الله تعالى .

فهذا آدم عليه السلام أول البشر وأبوهم خطّ للبشرية جمعاء ولأبنائه من بعده هذا المنهج , وذلك من خلال لوم نفسه وندمها واتهامها بالظلم حين عصى ربه عز وجل وقال : { رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ }[2]

وهذا موسى عليه السلام يخط لبني إسرائيل المنهج الأمثل في تهذيب النفس مما يعلق بها من أدران, وشبهات . فها هو عليه السلام يجأر أمامهم بكل جرأة وشجاعة{ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ }[3].

---

[1] هياجنة , د.محمود سليم محمد : **الصورة النفسية في القرآن الكريم** . ط : 1 . عمّان , اربد : جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع , عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع . 2008. ص 151 .

[2] سورة الأعراف : الآية 25 .

[3] سورة الأعراف : الآية 151 .

لقد أراد موسى عليه السلام من خلال هذا أن يعطيهم درساً في تصويب جريمتهم حين عبدوا العجل من دون الله تعالى , ويصقل نفسياتهم التي أُشربت الذل والخنوع , وانساقت كقطعان الإبل وراء شبهات ووساوس السامري الذي طلب منهم الحليّ ليصنع لهم عجلاً يعبدونه من دون الله تعالى قال تعالى :{وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ }[1].

لذا فإن الندم يدفع إلى تصويب العمل , وتصحيح المسيرة , وإصلاح السلوك . وبالتالي يدفع إلى الإيجابية دائما.

ثانياً : لا يختلف اثنان في أن الخطأ أو الذنب طبيعة البشر, كما قال الرسول ﷺ : " كلّ ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التوابون "[2]. إلا أن الاختلاف يكون في الطريقة التي يمكن أن يسلكها الفرد للتكفير عن ذنبه . وقد رأينا الأنبياء عليهم السلام كيف أوضحوا لنا عملياً السبيل والطريق الأمثل والأقوم لتجاوز مرحلة الذنب أو الخطأ أو التقصير . وهي الشعور بالذنب , والاعتراف به , والتحرر من قيده , ثم العمل على تغيير الواقع الذي يعيشه .

إذ أنه لا يجوز أن يبقى الفرد حبيس ذنبه , ورهين خطأه . ولا يجوز كذلك أن يبالغ في تأنيب نفسه ولومها وتعذيبها , لأن ذلك مدعاة إلى التطرف في الفكر , والشطط في السلوك.

لقد رأينا الأنبياء عليهم السلام الذين حصل معهم انفعال الندم والذي جاء بعد انفعال الغضب عند موسى عليه السلام , أو بعد ذنب ومعصية كما حصل لآدم عليه السلام , أو بعد خطأ في حق الله كما حصل مع نوح ويونس عليهما السلام . رأيناهم ساروا طريقاً وسطاً في معالجة ما فعلوه .

فآدم عليه السلام تجاوز عن معصيته لربه عز وجل بأن اعترف بها , وندم عليها , وتاب منها وطلب من الله تعالى قبول التوبة , ثم تابع مسيرة الحياة بأن تولّى خلافة الأرض وعمارتها , واكتشاف مكنوناتها .

---

[1] سورة الأعراف :الآية 148 .

[2] رواه الترمذي وقال : هذا غريب . وحسّنه الألباني . انظر : **سنن الترمذي** . كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ. باب ما جاء في صفة أواني الحوض . رقم الحديث (2499) . ص563 .

وموسى عليه السلام أراد أن يتجاوز عن الخطأ الذي وقع منه في إلقاء الألواح وإيذاء أخيه بأن نـدم على فعله , واستغفر لنفسه ولأخيه . لكنه لم يبق حبيس خطأه , وعتاب نفسه . وإنما تابع مسيرة الدعوة والتغيير , ولم يتوقف لحظةً واحدة .

وهذا نوح عليه السلام ما إن شعر أنه أخطأ وتجاوز الحد المسموح له به , حتى ندم واستغفر, وطلب من الله تعالى الصفح والعفو . لكنه لم يوقف عجلة السفينة التي كان يقودها , ولم تتوقف دعوته.

وهكذا يونس عليه السلام حين أقر بخطئه وهو في بطن الحوت , واعترف به , بل واتهم نفسه بالظلم حين قال { إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ }[1], ندم واستغفر , ثم تابع مسيرة جهاده ودعوته , ولم يترك الساحة والميدان للطغاة والطغام .

وعليه فإن الدعوة والإصلاح , والتغيير والتعمير في هذه الأرض , لا يجوز لهـا أن تتوقـف بخطأ يرتكب هنا أو هناك . وإنما يجب معالجة هذا الخطأ أو الذنب بالندم أولا , ثم بالاستغفار ثانيا , ثم بمتابعة نهج التغيير للأصلح والتعمير في الأرض .

ثالثاً : إن الندم أول مظهر من مظاهر التوبة النصوح , وأول شرط من شـروط قبولهـا " لأن شعور الإنسان بالندم هو الذي يدل على أنه صادق في التوبة , بمعنى أنه يتحسر على ما سـبق منه , وينكسر من أجله , ولا يرى أنه في حلّ منه حتى يتوب منه إلى الله "[2] .

والمتدبر لحال الأنبياء عليهم السلام , والذين حصل معهم انفعال الندم , من خلال الـصورة التي رسمها القرآن الكريم لهم , سيجد حالة التحسر والحزن والأسى بادية عليهم . مما يدل على شفافية أرواحهم ورقّتها , وعظمتها في الاعتراف بالخطأ.

---

[1] سورة الأنبياء : الآية 87 .

[2] ابن عثيمين , محمد بن صالح : **شرح رياض الصالحين** . 4 مج . بلا طبعة . القاهرة : مكتبة الإيمان . بلا تاريخ . ج 1 ص 46 .

فانظر بعين التأمل إلى كلمات نوح عليه السلام وهو يقول :{ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ }[1]. تجد في ثناياها التحسر والخوف والحزن والندم . وهذا من سبر القرآن غور نفوسهم . وهكذا مع موسى ويونس عليهما السلام

لذا اعتبر الرسول ﷺ الندم توبة , فقد روى ابن ماجة في سننه وصححه الألباني عن ابن معقل قال : دخلت مع أبي على عبد الله فسمعته يقول : قال رسول الله ﷺ : " الندم توبة " . فقال له أبي : أنت سمعت النبي يقول :"الندم توبة " ؟ قال : نعم [2].

قال القشيري [3]في رسالته : " قال أرباب الأصول من أهل السنّة : لكي تصح التوبة لا بد لها من ثلاثة شروط : الندم على ما عمل من المخالفات , وترك الزلة في الحال , والتصميم على أن لا يعود إلى مثل ما عمل من المعاصي "[4]. وقال ابن القيّم : " فأما الندم : فإنه لا تتحقق التوبة إلا به , إذ من لم يندم على القبيح فذلك دليل رضاه به , والإصرار عليه "[5].

رابعاً : الندم طريق الخروج من المصائب والهموم , والآلام والغموم , ومن كل ضائقة يمكن أن يمر بها المسلم في حياته . فيونس ﷺ حين التقمه الحوت " مضيّقاً عليه أشد الضيق . فلما كان في الظلمات : ظلمة جوف الحوت , وظلمة البحر , وظلمة الليل نادى { لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ }[6] . فاستجاب الله دعاءه , ونجاه من الغم الذي هو فيه , ولفظه الحوت

---

[1] سورة هود : الآية 47 .

[2] ابن ماجة : **سنن ابن ماجة** . كتاب الزهد . باب ذكر التوبة . رقم الحديث (4252) . وقال الألباني : صحيح . ص 704 .

[3] هو: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري الشافعي . فقيه . مفسر . صوفي صادق . متكلم . حافظ محدث . نحوي أديب . قال فيه البغدادي : كان ثقة , يقصّ , وكان حسن الموعظة , مليح الإشارة . له مصنفات عديدة . من أهمها : لطائف الإشارات في التفسير , والرسالة القشيرية في علم التصوف . توفي في بغداد سنة 465هـ . انظر . البغدادي , أحمد بن علي : **تاريخ بغداد** . 14 مج . بلا طبعة . المدينة المنورة : المكتبة السلفية. بلا تاريخ . ج11 ص 83 . الذهبي : **سير أعلام النبلاء** . ج22 ص 252- 255.

[4] القشيري , عبد الكريم بن هوازن : **الرسالة القشيرية في علم التصوف** . تحقيق : معروف زريق و علي بلطجي . ط : 1 . بيروت : دار الخير . 1991 . ص92. وانظر : النووي , يحيى بن شرف : **رياض الصالحين** . حققه : حسان عبد المنان . ط : 3 .عمّان : المكتبة الإسلامية و مكتبة برهومة . 1413هـ . ص35 .

[5] العزّي , عبد المنعم صالح العلي : **تهذيب مدارج السالكين** . بلا طبعة . دبي : مكتبة كاظم . بلا تاريخ . ص 123

[6] سورة الأنبياء : الآية 87 .

على الساحل "[1]. ثم أنبت الله له شجرة يقطين ليقيه من حرارة الشمس , وليأكل من ثمرها , قال تعالى : {فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ }[2]. فبعد الغم والهم الذي أصيب به يونس عليه السلام , والظلمات التي سكنها , والضيق والشدة التي عصفت به . كان الندم والاعتراف بالخطأ أو الذنب فرجاً له . إذ : 1- نجّاه الله من الغمّ الذي هو فيه . 2- أضاء الله له الدنيا بعد الظلمات حين لفظه الحوت على الساحل . 3- أنبت الله له شجرة يقطين . 4- فتح الله به قلوب أمةٍ بأكملها , قال تعالى :{ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ }[3].

لذا فإن المخرج من الفتن والشدائد يكون بالندم , والاعتراف بالذنب . قال ابن كثير : " وقوله تعالى :{ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ }[4] أي أخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات ,

وقوله : { وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ }[5] أي إذا كانوا في الشدائد ودعونا منيبين إلينا , ولا سيّما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء "[6].

وقد روى الترمذي في سننه عن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : " دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت { لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ }[7]فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له "[8].

[1] قطب : **في ظلال القرآن** . ج 4 ص 2393 .
[2] سورة الصافات : الآيتان 146,145.
[3] سورة الصافات : الآيتان 148,147.
[4] سورة الأنبياء : الآية 88 .
[5] سورة الأنبياء : الآية 88 .
[6] ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . ج 4 ص 587 .
[7] سورة الأنبياء : الآية 87 .
[8] الترمذي : **سنن الترمذي** . كتاب الدعوات . باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد . رقم الحديث (3505) . وقال الألباني : صحيح . ص 795.

الفصل السادس

انفعال اليأس

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول : مفهوم اليأس ودلالته النفسية

المبحث الثاني : مشهد انفعال اليأس عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الثالث : القيم التربوية لانفعال اليأس عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الأول

مفهوم اليأس ودلالته النفسية

أولا : اليأس في اللغة والاصطلاح :

يأتي اليأس في اللغة بمعنى القنوط[1] وقطع الرجاء[2] . ويأتي كذلك بمعنى العلم [3] كما يدل عليه قوله تعالى : { أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ }[4] , أي أفلم يتبين ويعلم [5] .

أما اصطلاحاً : فلا يختلف معنى اليأس في الاصطلاح عنه في اللغة . فالأصفهاني يعـرّف اليأس بقوله : " اليأس : انتفاء الطمع "[6] .

وقد وردت كلمة اليأس ومشتقاتها في القرآن الكريم ثلاثة عشر مرة[7]. يدور المعنى فيها على القنوط , وقطع الرجاء والأمل .

فعند قول الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام : {وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ }[8] , قال الإمام القرطبي : " أي لا تقنطوا من فرج الله , وقوله تعالى : { إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ} دليل على أن القنوط من الكبائر , وهو اليأس "[9].

---

[1] ابن منظور : **لسان العرب** . ج 6 ص 259 . وانظر . الجوهري : **الصحاح** . ج 3 ص 992. الزبيدي : **تاج العروس** . ج 4 ص 376. الفيروز آبادي : **القاموس المحيط** : ج 2 ص 270 .

[2] ابن فارس : **معجم مقاييس اللغة** . ج 6 ص 153.

[3] المرجع السابق : نفس الجزء والصفحة . وانظر : ابن منظور : **لسان العرب** . ج 6 ص260 . الرازي : **مختار الصحاح** . ص 740-741 .

[4] سورة الرعد : الآية 31 .

[5] الطبري : **جامع البيان** : ج 6 ص 4742 .

[6] الراغب الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** . ص 551 .

[7] هي : في سورة المائدة : الآية (3) . وسورة هود : الآية (9) . وسورة يوسف : الآيات (80, 87, 110) . وسورة الرعد : الآية(31) . وسورة الإسراء : الآية (83) . وسورة العنكبوت : الآية (23) . وسورة فصلت : الآية (49) . وسورة الممتحنة : الآية(13). وسورة الطلاق : الآية (4) .

[8] سورة يوسف : الآية 87

[9] القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . ج 9 ص 252 .

وعند قوله تعالى: { لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ }[1], قال أبو حيّان[2]: " أي فهو يؤوس قنوط . وأتى بهما صيغتي مبالغة . واليأس : من صفة القلب وهو أن يقطع رجاءه من الخير . والقنوط : أن يظهر عليه آثار اليأس فيتضاءل وينكسر . وبدأ بصيغة القلب , لأنها هي المؤثرة فيما يظهر على الصورة من الانكسار " [3].

وإذا تأملنا مشتقات كلمة اليأس , وأمعنا النظر فيها . فسوف نصل إلى أن اليأس نوعان :

الأول : مذموم , وهو القنوط من رحمة الله تعالى . وذمّ لأنه يجر صاحبه إلى كل شر , بل يجره إلى الكفر والضلال . وإلى العذاب الأليم . لذلك وصف ربنا سبحانه الكفّار بقوله : {وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[4]. ووصف الله القانطين من رحمته بالضالين , فقال سبحانه : {وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ }[5]. وهذا النوع هو الغالب على هذا المصطلح .

الثاني : محمود . وهو اليأس مما في أيدي الناس , وقطع الرجاء والأمل بهم . والاعتماد على الله تعالى وحده , والرجاء مما عنده سبحانه . وهذا مقام من مقامات العبودية لله سبحانه. بل هو من أشرفها . لا يصل إليه العبد إلا بالمجاهدة ورياضة النفس . كحال يعقوب عليه السلام لمّا أُخبر من أولاده بفقد ولده الثاني , لم يسعه إلا التعلق بحبل الله تعالى قائلا : {إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }[6]. ثم بيّن لهم أن الأمل والرجاء بالله وحده دون سواه , قائلا:

---

[1] سورة فصلت : الآية 49 .

[2] هو : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي الجيّاني الغرناطي المغربي المالكي ثم الشافعي . الإمام , العلاّمة, الثقة ,الحجة . يكنى بأبي حيّان . قرأ القرآن بالروايات . وسمع الحديث واشتغل به في الأندلس . وقرأ النحو واللغة . بل يعتبر أمير النحاة . له مؤلفات كثيرة , من أشهرها : البحر المحيط , وعقد اللالي في القراءات السبع العوالي , والوهاج في اختصار المنهاج . توفي في مصر سنة 745هـ . انظر : ابن حجر : **الدرر الكامنة** . ج 4 ص 302-310 . ابن العماد : **شذرات الذهب** . ج 6 ص 145-147 .

[3] أبو حيّان, محمد بن يوسف : **تفسير البحر المحيط** . 7مج . تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون . ط :1 . بيروت : دار الكتب العلمية . 1993م . ج 7 ص 482 .

[4] سورة العنكبوت : الآية 23 .

[5] سورة الحجر : الآية 56 .

[6] سورة يوسف : الآية 86 .

{ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ }[1].

ثانياً : اليأس عند علماء النفس :

عرّف الدكتور فهد ناصر المطوّع اليأس بأنه : " مرض نفسي يدفع صاحبه لضيق الصدر واشتهاء الموت , وتصور كل ما حوله بمنظار أسود قاتم , كما يسبب لصاحبه الانطواء والانزواء , والابتعاد عن الآخرين , ويكتنفه خوف وقلق وتضجر . كما يتركه ليعيش على هامش الحياة في تعاسة وشقاء عظيمين . كما يجعله يعاني من تدهور نفسي خطير "[2].

وقيل هو : " القنوط , وهي حالة مرضية لا تتعارض مع طبيعة الإنسان المحدودة , ولا تُعد عيبا في تكوينه البشري , ولكنها مع ذلك ظاهرة خطيرة تحجب صاحبها عن الرؤية الصحيحة للأمور , وتحصره في دائرة مظلمة لا يرى من خلالها إلا كل شر وقبيح "[3].

وعلى ضوء ذلك فإن اليأس لا يعد عيبا في أصله , وإنما يمكن أن يتطور ليصبح مرضا نفسيا, وانفعالا حادّا يؤدي إلى الإحباط , والضجر , والقنوط , والانتكاس , والانزواء , والانطواء مما يفقد الفرد أثره في مجتمعه الخاص , والمجتمع العام .

وهناك عوامل وأسباب لهذا الانفعال من أهمها [4]:

1- المعاملة بقسوة .

2- غرس الخوف في نفس الفرد وانتزاع الشجاعة من قلبه .

---

[1] سورة يوسف : الآية 87 .

[2] مقال على الانترنت للكاتب الدكتور فهد ناصر المطوع , بعنوان : "اليأس" . انظر :
http://bafree.net/forums/showthread.php?t=19745

[3] مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه , بعنوان : " مقاومة اليأس " .انظر:
http://www.hawhome.com/vb/t85510.htmi

[4] مقال على الانترنت للكاتب الدكتور فهد ناصر المطوع , بعنوان : "اليأس" . انظر :
http://bafree.net/forums/showthread.php?t=19745

3 - تعرضه لموقف ما يجعله قانطا يائسا من حياته.

4 - خشيته من متاعب وهمية أو ضعيفة .

ويمكن إضافة سببين أساسيين آخرين هما :

1 - الفشل في تحقيق الهدف .

2 - ضغط الواقع سواء كان خاصاً بالفرد كأسرته أو عائلته أو عاماً كمجتمعه أو جماعته.

المبحث الثاني

مشهد انفعال اليأس عند الأنبياء عليهم السلام

لقد وصف القرآن الكريم انفعالا مشتركا مر به الأنبياء عليهم السلام . يكاد يكون هو الانفعال الوحيد الذي يشترك فيه الأنبياء وهو انفعال اليأس .

يأس الأنبياء عليهم السلام من تأخر نزول النصر :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى : {حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ }[1].

هذا المشهد يكشف عن مدى الضيق والكرب والشدة التي واجهت الأنبياء عليهم السلام . حتى وصلوا إلى حالة اليأس .

وقوله تعالى :{ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ } , قال الزمخشري : "{حَتَّىٰٓ} متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام . كأنه قيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخى نصرهم حتى إذا استيأسوا من النصر"[2] .

ومعنى {ٱسۡتَيۡـَٔسَ} مبالغة في اليأس [3]. ففي هذه الكلمة بيان لمدى اليأس الذي وصلت إليه حالة الأنبياء عليهم السلام . فقطع الرجاء بلغ من الأنبياء مبلغاً كبيراً , ووقعاً عظيماً . قال الزمخشري عند قوله تعالى :{فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗا}[4]: " يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة"[5].

---

[1] سورة يوسف : الآية 110 .

[2] الزمخشري, محمود بن عمر : **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** . 4مج . حققه: محمد الصادق قمحاوي . بلا طبعة . القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى ألبابي الحلبي وأولاده . 1972م . ج 2 ص 347 .

[3] ابن عاشور : **التحرير والتنوير** . ج6 ص69 .

[4] سورة يوسف : الآية 80 .

[5] الزمخشري : **الكشاف** . ج2 ص 336 .

أما الشيخ الشعراوي فقد أفاد رحمه الله في توضيح المعنى الدقيق لكلمة{ٱسۡتَيۡـَٔسَ} فقـد قـال "هناك فرق بين **{يأس}**و**{استيأس}** , ف**{يأس}** : تعني قطع الأمل من شيء . و{**استيأس**} : تعني أنه يلح على قطع الأمل . أي أن الأمل لم ينقطع بعد . ومن قطع الأمل هو من ليس له منفذ إلى الرجاء , ولا ينقطع أمل إنسان إلا إن كان مؤمنا بأسبابه المعزولة عن مسببه الأعلى لكـن إذا كان الله قد أعطى له الأسباب , ثم انتهت الأسباب , ولم تصل به إلى نتيجة , فالمؤمن بالله هـو من يقول : أنا لا تهمني الأسباب ..."[1] .

وهذا الكلام يؤكد على أن الأنبياء عليهم السلام لم يصلوا إلى اليأس الحقيقـي وهـو القنـوط وحاشاهم أن يصلوا . ولقد توصل الشيخ الميداني إلى هذه الحقيقة من خلال تصريف كلمة

{**استيأس**}, فقد قال : " صيغة استفعل تأتي للدلالة على معان متعددة , منها صـيرورة الـشيء مشابها ببعض صفاته للشيء الآخر الذي دل عليه أصل الفعل . مثل استحجر الطين أي : صار في قساوته كالحجر ولم يصر حجرا , واستنوق الجمل أي صار في بعض صفاته كالناقة , ولـم يصر ناقة في الحقيقة , واستنسر البغاث أي صار البغاث كالنسر في الاستعلاء , ولم يصر نسرا في الحقيقة "[2].

وبناءاً على ذلك فالأنبياء عليهم السلام طاقات الصبر عندهم قاربت على الانتهاء . ولم تنتـه بعد , وذلك لشدة ضغط أتباعهم المؤمنين عليهم باستعجال النصر وإنزال الهلاك والعذاب علـى المكذبين. لذا يقول الزمخشري : " إن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر مـن الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت . حتى استشعروا القنوط , وتوهموا أن لا نـصر لهـم فـي الدنيا"[3].

لكن ما سبب هذه الحالة النفسية المتأزمة اليائسة التي وصل إليها الأنبياء عليهم السلام ؟ وما هو المؤثر الحقيقي الذي أوصلهم إلى هذه النفسية ؟ .

---

[1] الشعراوي : **تفسير الشعراوي** . ج 12 ص 7136-7137 .

[2] الميداني : **معارج التفكر** . ج10 ص757 .

[3] الزمخشري : **الكشاف** . ج 2 ص 347 .

إن المتدبر والمتأمل في هذا المشهد سوف يصل إلى أن السبب في هذه النفسية اليائسة هو:

1 - شدة المحن والكروب والأهوال التي تعرضوا لها من أقوامهم .

2 - تأخير نصر الله تعالى عنهم . لحكمة يعلمها الله .

3 - ضغط المؤمنين من أقوامهم عليهم في استعجال النصر ومحق الكافرين . قال تعالى :{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ}[1].

يقول سيد قطب وهو يصف حالة الأنبياء عليهم السلام : " إنها صورةٌ رهيبة , ترسم مبلغ الشدّة والكرب والضيق في حياة الرسل , وهم يواجهون الكفر والعمى والإصرار والجحود . وتمر الأيام وهم يدعون فلا يستجيب لهم إلا القليل . وتكرّ الأعوام والباطل في قوّته , وكثرة أهله , والمؤمنون في عُدّتهم القليلة , وقوّتهم الضئيلة . إنها ساعاتٌ حرجة , والباطل ينتفش ويطغى ويبطش ويغدر . والرسل ينتظرون الوعد فلا يتحقق لهم في هذه الأرض , فتهجس في خواطرهم الهواجس ... تراهم كذبوا ؟ ترى نفوسهم كذبتهم في رجاء النصر في هذه الحياة الدنيا ؟ وما يقف الرسول هذا الموقف إلا وقد بلغ الكرب والحرج والضيق فوق ما يطيق البشر"[2].

ثم يصور لنا الأستاذ سيد رحمه الله الحالة النفسية التي يمر بها الرسل . وهول وعظم وحجم الهواجس والكروب التي ترجّ نفسيتهم . يقول : " وما قرأت هذه الآية والآية الأخرى {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ }[3] . ما قرأت هذه الآية أو تلك إلا وشعرت بقشعريرة من تصور الهول الذي يبلغ بالرسول هذا المبلغ , ومن تصور الهول الكامن

---

[1] سورة البقرة : الآية 214 .

[2] قطب : **في ظلال القرآن** . ج 4 ص2035 .

[3] سورة البقرة : الآية 214 .

في هذه الهواجس , والكرب المزلزل الذي يرجّ نفس الرسول هذه الرجّة , وحالته النفسية في مثل هذه اللحظات , وما يحس به من ألم لا يطاق "[1].

إن الأنبياء عليهم السلام بشر . تصيبهم حالات من الوجوم والكآبة والضيق والشدة . وأحيانا تتأزم نفوسهم . بل قد تخطر في نفوسهم الخواطر .

يقول الشيخ الميداني عند قوله تعالى :{حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ } :" أي حتى إذا صار الرسل واجمين , حيارى , كاليائسين من تحقيق ما أنذروا مجرمي أقوامهم به من عذاب الله , وما طمأنوا به الذين آمنوا بهم من تأييد الله ونصره . ولم يصيروا يائسين حقيقة ... ولكن قد يصلون أمام ضغط أتباعهم المؤمنين بهم إلى حالة من الوجوم والحيرة تشبه حالة اليائسين , وليسوا بيائسين , لكن طاقات الصبر عندهم قاربت على الانتهاء ولم تنته بعد "[2].

فما هو اليأس الذي يأسه الأنبياء عليهم السلام ؟ وما هي الحالة النفسية التي وصلوا إليها حتى قال الله فيهم { حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ } .

لقد وصف الشيخ عبد الكريم الخطيب حالة الأنبياء عند هذه الآية بقوله : " وهكذا يظل الرسل في متلاطم الشدائد والمحن , حتى لقد يدخل اليأس عليهم , وتغيم الحياة في أعينهم عليهم طريق النجاة , ويخيل إليهم أن النصر أبعد ما يكون منهم "[3] .

ولقد كان نتيجة هذا الانفعال أن الأنبياء عليهم السلام { وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ }. فما هذا الظنّ الذي وصل إلى قلوبهم ؟ وما هذا التكذيب الذي اعتراهم ؟ .

---

[1] قطب : **في ظلال القرآن** . ج 4 ص 2035 .

[2] الميداني : **معارج التفكر** . ح10 ص757 .

[3] الخطيب : **التفسير القرآني للقرآن** . ج 13 ص60 .

هناك قراءتان متواترتان لهذه الآية . قراءة بالتخفيف وهي قراءة ابن عبّاس وابن مسعود والكوفيين . وأخرى بالتشديد وهي قراءة عائشة رضي الله عنها وغير الكوفيين[1] . ولكل قراءة معنى مغايرٌ للآخر.

القراءة الأولى :{ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ} بالتخفيف . روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن أبي مليكة قال : قال ابن عباس ﷺ :" {حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ}[2].

خفيفة , ذهب بها هناك وتلا {حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ}[3] فلقيت عروة بن الزبير فذكرت له ذلك "[4]. قال ابن حجر [5]:" وزاد الاسماعيلي في رواية : ثم قال ابن عباس : كانوا بشراً ضعفوا وأيسوا وظنوا أنهم قد كذبوا "[6] .

وعلى هذه القراءة فإن الضمير في { كُذِبُواْ} عائدٌ على الرسل ." أي : وظنّوا حين ضعفوا وغُلبوا أنهم أخلفوا ما وعدهم الله من النصر , وقال : كانوا بشرا , وتلا قوله تعالى: { وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ}[7]. وهذه الرواية صحيحة عن ابن عباس . قال ابن حجر وهو يردّ على الزمخشري في تشكيكه بهذه الرواية , وعلى ابن الانباري في جزمه

---

[1] انظر . ابن الجزري , أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي : **النشر في القراءات العشر** . 2 مج . أشرف على تصحيحه: علي محمد الصبّاغ . بلا طبعة . بيروت : دار الكتب العلمية . بلا تاريخ . ج 2 ص 296 . القاضي , عبد الفتاح : **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة** . ط : 1 . بيروت : دار الكتاب العربي . 1981 ص 168.

[2] سورة يوسف : الآية 110 .

[3] سورة البقرة : الآية 214 .

[4] البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب التفسير . باب. **{أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ}**. [البقرة : 214] . رقم الحديث (4524) . ج 2 ص 396 .

[5] هو : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي . شيخ الإسلام وإمام الحفاظ في زمانه , وحافظ الديار المصرية , بل حافظ الدنيا مطلقا , قاضي القضاة . اشتغل أولا بالشعر والأدب فبلغ الغاية فيهما , ثم طلب الحديث وبرع فيه . له مصنفات كثيرة منها : فتح الباري شرح البخاري , والذي لم يصنف مثله في الأولين ولا في الآخرين , والإصابة في تمييز الصحابة , وتغليق التعليق , وتهذيب التهذيب , وتقريب التهذيب وغيرها . توفي في مصر سنة 852هـ. انظر : السيوطي : **طبقات الحفاظ** . ص 552 .

[6] ابن حجر : **فتح الباري شرح صحيح البخاري** . ج 8 ص 368 .

[7] انظر : الطبري : **جامع البيان.** ج 6 ص 4661 ورقم الرواية (19814,19813, 19818) . القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . ج9 ص276. القاسمي : **محاسن التأويل** . ج 9ص 3614.

بعدم صحتها : " وعجب لابن الانباري في جزمه بأنه لا يصح , ثم الزمخشري في توقفه عن صحة ذلك عن ابن عباس , فإنه قد صح عنه "[1] .

وما دامت الرواية ثابتة عن ابن عباس ﷺ وظاهرها يتناقض مع العقيدة والإيمان . فقد تأول العلماء والمفسرون كلام ابن عباس وحملوه على محمل يتوافق مع العقيدة . فمن ذلك قول الزمخشري : " ...فقد أراد ابن عباس بالظن ما يخطر بالبال , ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس . على ما عليه البشرية . وأما الظن وهو ترجيح أحد الطرفين فلا يظن بالمسلم فضلاً عن الرسول "[2] . وقريب من هذا التأويل حمل الخطّابي [3]تفسير ابن عباس للآية قال ابن حجر : " قال الخطابي : لاشك أن ابن عباس لا يجيز على الرسل أنها تكذب بالوحي ولا يشك في صدق المخبر , فيحمل كلامه على أنه أراد أنهم لطول البلاء عليهم , وإبطاء النصر , وشدة استنجاز من وعدوه به , توهموا أن الذي جاءهم من الوحي كان حسباناً من أنفسهم , وظنّوا عليها الغلط في تلقي ما ورد عليهم من ذلك , فيكون الذي بنى له الفعل أنفسهم لا الآتي بالوحي , والمراد ب{ كُذِبُوا} : الغلط , لا حقيقة الكذب , كما يقول القائل : كذبتك نفسك"[4] .

إلا أن ابن حجر ردّ على هذه التأويلات قائلا : " ولا يظن بابن عباس أنه يجوّز على الرسول أن نفسه تحدثه بأن الله يخلف وعده , بل الذي يظن بابن عباس أنه أراد بقوله كانوا بشراً ... من آمن من أتباع الرسل لا نفس الرسل . وقول الراوي عنه : ذهب بها هناك , أي إلى السماء , معناه أن أتباع الرسل ظنوا أن ما وعدهم به الرسل على لسان الملك تخلف , ولا مانع أن يقع

---

[1] ابن حجر : **فتح الباري** . ج 8 ص 369 .

[2] الزمخشري : **الكشاف** . ج 2 ص347 .

[3] هو : أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي . الإمام العلاّمة , الحافظ اللغوي . صاحب التصانيف الكثيرة , من أشهرها : معالم السنن , وغريب الحديث , وإعجاز القرآن . توفي ببست سنة 388هـ . انظر: الذهبي : **سير أعلام النبلاء** . ج17 ص 23-28 .

[4] ابن حجر : **فتح الباري** . ج 8 ص 368 .

ذلك في خواطر بعض الأتباع . ولم يأت عن ابن عباس بأن الرسل هم الذين ظنّوا ذلك , ولا يلزم ذلك من قراءة التخفيف."[1]

وقال الطبري عن رواية ابن عباس :" وكانوا بشراً قد ظنوا " , ورواية سعيد بن جبير :"نعم الم يكونوا بشراً " : " وهذا تأويلٌ وقول , وغيره من التأويل أولى عندي بالصواب. وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء والرسل "[2] . ثم ذكر رواية عائشة رضي الله عنها وهي القراءة الثانية للآية .

القراءة الثاني: { وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِّبُواْ} بالتشديد . فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى: { حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ} قال قلت : أكذبوا أم كذّبوا ؟ قالت عائشة : كذّبوا . قلت : فقد استيقنوا أن قومهم كذّبوهم فما هو بالظنّ . قالت : أجل لعمري , لقد استيقنوا بذلك . فقلت لها: وظنوا أنهم قد كذبوا ؟ قالت : معاذ الله , لم تكن الرسل تظن ذلك بربها . قلت : فما هذه الآية ؟ قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدّقوهم , فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر , حتى إذا استيأس الرسل ممن كذّبهم من قومهم , وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذّبوهم , جاءهم نصر الله عند ذلك "[3] .

وعلى هذه القراءة فان عائشة رضي الله عنها أعادت الضمير في{ وَظَنُّوٓاْ} إلى المرسل إليهم. ويصبح المعنى : إن الرسل حين استيأست من إيمان قومهم , ظنّوا أن الذين آمنوا بهم كذّبوهم . قال الفخر الرازي : " هذا أحسن الوجوه المذكورة في الآية "[4].

---

[1] المرجع السابق : ج 8 ص 369 .

[2] الطبري : **جامع البيان** . ج 6 ص 4664 .

[3] البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب التفسير . باب {حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ}.[البقرة : 214]. رقم الحديث (4695) . ج2 ص 444 .

[4] الرازي : **مفاتيح الغيب** . ج 9 ص 221 .

ويمكن تلخيص أقوال المفسرين في توجيههم وتفسيرهم لهذه الآية وفق القراءتين المتـــواترتين بالآتي :

1- معنى الآية على قراءة التخفيف{ كُذِبُوا} أي : ظنّ القوم أن الرسل كذّبوهم فيما أخبروا به من العذاب , ولم يصدقوا . أو ظن القوم أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا به من نصرهم .

ومال إلى هذا المعنى جمهور المفسرين [1]. والملاحظ أن جلّ هؤلاء المفـــسرين مـــن أصـــحاب التفسير بالمأثور . وذلك لورود كثير من الروايات حول هذا المعنى .

2- معنى الآية على قراءة التشديد { كُذِبُوا} أي : أيقن الرسل أن أقوامهم كذّبوهم أو حسبوا أن من آمن بهم من قومهم كذّبوهم , لا أن القوم كذّبوا , ولكـــن الأنبيـــاء ظنـــوا أو حـــسبوا أنهـــم يكذبونهم.

وقد مال إلى هذا المعنى الفخر الرازي [2], وأبو حيّان [3], والشوكاني [4].

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال بأن حالة اليأس , والضجر , حـــصلت للأنبيـــاء ولأقـــوامهم بحيث أن كلا الطرفين حصل عنده تجاه الآخر بعض الظنون .

فالأنبياء عليهم السلام ظنوا أن أقوامهم كذبوهم , والقوم ظنوا بالأنبياء أنهم كـــذبوهم فيمـــا وعدوهم سواء بالنصر , أو بهزيمة أعدائهم , وأدّى ذلك إلى الظن بالله تعالى من قبـــل بعـــض القوم . والذي يدلل على هذا القول قوله تعالى :{أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ

---

[1] انظر : الطبري : **جامع البيان** . ج 6 ص4663. القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . ج 9 ص276. ابن الجوزي : **زاد المسير** . ج4 ص 221 . ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . ج4 ص 62. الثعالبي: **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**. ج 2 ص 262 .

[2] الرازي : **مفاتيح الغيب** . ج 9 ص 232 .

[3] أبو حيان : **البحر المحيط** . ج 5 ص218,217 .

[4] الشوكاني, محمد بن علي : **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** . 5 مج . بلا طبعة . بيروت : دار المعرفة . بلا تاريخ . ج 3 ص 61 .

خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ}[1] .

وظنّي أن سبب هذا الظن المتبادل من كلا الطرفين هو شدة وهول العذاب والاضطهاد ضد الأنبياء وأتباعهم , وتأخر نزول النصر , وتحكم الطغاة والجبابرة في رقاب العباد . مما سبب حصول اليأس من كلا الطرفين .

وآية يأس الأنبياء ترسم الصورة النفسية للأنبياء عليهم السلام في حالات الشدة وضغط الواقع.

---

[1] سورة البقرة : الآية 214.

المبحث الثالث

القيم التربوية لانفعال اليأس عند الأنبياء عليه السلام

لقد صوّر القرآن الكريم نفسيّة الأنبياء عليهم السلام في مرحلة من مراحل التأزّم والاحتقان سواء في علاقاتهم النفسيّة مع أتباعهم المؤمنين , أو في علاقاتهم الوجدانية مع خالقهم عز وجل . وذلك من خلال آية اليـــأس { حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ }[1]. ومن خلال هذه الصورة النفسيّة للأنبيـــاء علـــيهم السلام سنستلهم القيم والفوائد التربوية التي تعين المسلم في حمل رسالة الهداية للعالمين, ومنهج التعمير في هذه الأرض . ومن هذه القيم التربوية :

أولاً : لا يضير أتباع الرسل في مرحلة من مراحل سيرهم نحو الهدايـــة والتغييـــر , أن تتـــأزّم نفوسهم , وتضيق صدورهم . سواء من شدة ما يلاقونه من ضرّ وأذى من أعدائهم , أو من قلة صبر إخوانهم على مشاقّ الطريق , أو من تأخر وعد الله تعالى – لحكمة – في إنجاز مهمـــاتهم وتحقيق رغباتهم وأهدافهم .

وهذا ما نفهمه من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لآية اليأس , فقد نظر إلى الأنبياء أنهـــم بشر , يصيبهم ما يصيب البشر , ويعتريهم ما يعتري البشر مـــن الـــضيق والتـــأزم , والـــشدة واستعجال النصر . وهذا كله في مرحلة من مراحل دعوتهم , وليس كلها . حتى قال : "وظنّوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم أخلفوا ما وعدهم الله من النصر قال : وكانوا بشرا "[2]. فابن

عباس نظر إلى الجانب البشري من الرسل , وفسّر الآية على ضوء بشرية الأنبياء , وهذا يـــدل على عمق التصوير النفسي للأنبياء عند ابن عباس رضي الله عنهما .

فطبيعة البشر أيّاً كان هؤلاء البشر , أنبياء مرسلون , أو أولياء مقربون , أو مؤمنون سائرون . قد تعتريهم حالة من الضيق والشدّة , أو حالة من الاستعجال وقطف الثمر قبل بدوّ نـــضجها .

---

[1] سورة يوسف : الآية 110 .

[2] الطبري : **جامع البيان** . ج 6 ص 4661 .

أي حالة من اليأس بفهم ابن عباس رضي الله عنهما . والتعبير القرآني يـشير إلـى ذلـك {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ}[1] .

فالضيق والشدّة , واليأس والضراء . وصلت إلى مستوى بحيث زلزلت الأنبياء وأتباعهم حتى اضطرتهم إلى استعجال نصر الله .

فإذا كان الأنبياء عليهم السلام وحوارييهم وصلت نفسيّاتهم إلى هذا الحد . فلا ينبغي اتهام أتبـاع الأنبياء أو المؤمنين في أي زمان أو مكان بأنهم يائسون أو قانطون من رحمة الله تعالى.

ثانياً : قرن الله النصر باليأس , والغلبة بعدم التعلق بالكليّة بأسبابه الظاهرة . كي يعلم أصـحاب الدعوات الصادقة أن دعواتهم لا بد أن تمر بالشدائد والكروب , والضيق والأذى . فلا يـصلون إلى اليأس إلا بعد شدة وضيق , وكربات وأذى . وهذا يبشّر بالنصر .

والعلّة في اقتران النصر باليأس " كي لا يكون النصر رخيصاً فتكون الدعوات هزلاً . فلـو كان النصر رخيصاً لقام في كل يوم دعيّ بدعوة لا تكلفه شيئا . أو تكلفه القليل . ودعوات الحق لا يجوز أن تكون عبثاً ولا لعبا . فإنما هي قواعد للحياة البشرية ومنـاهج . ينبغـي صـيانتها وحراستها من الأدعياء . والأدعياء لا يحتملون تكاليف الدعوة , فإذا ادّعوها عجزوا عن حملها وطرحوها , وتبين الحق من الباطل على محك الشدائد التي لا يصمد لها إلا الواثقون الصادقون الذين لا يتخلفون عن دعوة الله , ولو ظنوا أن النصر لا يجيئهم في هذه الحياة "[2] .

فهذه إذاً سنّة الله في الدعوات . لابد من شدائد ومحن , وكروب وأذى , وضيق في الـصدر وفتنة في الأموال والأنفس والثمرات , قال تعـالى : { أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ }[3] . فهذه ضريبة النصر الموعود والغلبة المنشودة .

---

[1] سورة البقرة : الآية 214 .
[2] قطب : **في ظلال القرآن** . ج 4 ص 2036 .
[3] سورة العنكبوت : الآية 2 .

ثالثاً : على الرغم من حالة اليأس التي مر بها الأنبياء عليهم السلام , لم تتوقـف مـنهم عجلـة الدعوة إلى الله تعالى , ولم يعكفوا في ديارهم أو ينزوا بها ويتركوا الساحة والميدان للمفـسدين والعابثين , أو للطغاة والطغام . بل استمروا في جهـدهم وجهـادهم , وعطـائهم ودعـوتهم . مجابهين ومتحدين كل الصعاب . فالشدة واليأس والمحن لم تقعدهم عن واجبهم ووظيفتهم . وهذا يدلل على أن اليأس حالة نفسية قد تمر بالإنسان نبي أو غير نبي تمر به كطـائف يجـول فـي خاطره فترةً من الزمن قصيرة , ويتجاوزها بهمّةٍ وعزيمةٍ وإرادة . متغلباً بذلك على عواطفـه ومشاعره . أما إذا استحكمت في نفسه , وأخلد أو ركن إليها , وانزوى بعيداً عن مسرح الحيـاة والأحداث . يائساً متضجرا , ضائقاً صدره , ونفسيّته متردية . فهذا هو المرض النفسي الـذي حذّر منه علماء الشرع والنفس .

إن اليأس يصبح ظاهرة سلبية إن أقعدت الإنسان عن وظيفته في تعميـر الأرض وخلافتهـا وتحقيق أهدافه وطموحاته , بل وتحقيق النجاح الذي رسمه لنفسه في هذا الوجود .

ويصبح اليأس ظاهرة سلبية إن كان سبباً في قطع الصلة بالله . وانعدام الثقة بنصره وتوفيقه.

ويصبح ظاهرة سلبية إن جعل الإنسان ينزوي بنفسه بعيداً عن أصدقائه وخلاّنه ورفاق دربه. لأن الإنسان لا يعيش بمفرده , ولا يقيم حضارة وحده , بل لابد من تضافر الجهود , والتعـاون على النهوض بالمجتمع والأمّة , قـال تعـالى :**{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ}**[1] .

رابعـاً : إن على المصلحين والدعاة والمربّين أن لا يفقدهم ضغط الواقع الذي يعيشونه , أو عدم الاستجابة المرغوبة لهم من الناس , أو عدم تحقيقهم للنجاح الذي خطّطوا للوصول إليـه . أن لا يفقدهم ذلك الأمل " من صلاح النفوس واستجابة القلوب , مهما واجهوا من إنكار وتعذيب, ومن

---
[1] سورة المائدة : الآية 2 .

عتّو وجحود , فإذا كانت المرة المائة لم تصل إلى القلوب , فقد تصل المرة الواحدة بعد المائة... ولو صبروا هذه المرة وحاولوا ولم يقنطوا لتفتحت لهم أرصاد القلوب "[1] .

إن الأمل يجب أن يكون السلاح الذي يتسلّح به المصلحون في مواجهة اليأس والإحباط والقنوط , وحالات الصدّ والتمرد والشرود . ولقد سلك الأنبياء عليهم السلام هذا المسلك والطريق في مواجهة عناد أقوامهم واستعجال أتباعهم .

[1] قطب : **في ظلال القرآن** . ج 4 ص 2394 .

الفصل السابع

انفعاليّ التبسم والعبوس

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم التبسم ودلالته النفسية

المبحث الثاني : مشهد التبسم عند سليمان عليه السلام

المبحث الثالث : مفهوم العبوس ودلالته النفسية

المبحث الرابع : مشهد العبوس عند محمد عليه الصلاة والسلام

المبحث الأول

مفهوم التبسم ودلالته النفسية

أولاً : التبسم في اللغة والاصطلاح :

قال ابن فارس : " الباء , والسين , والميم , أصل واحد , وهو : إبداء مقدم الفم لمسرّة وهو دون الضحك "[1] . واعتبر الزمخشري التبسم أول مراتب الضحك فقال : " وأول مراتب الضحك التبسم "[2] . ويرى ابن منظور أن التبسم هو : " أقل الضحك وأحسنه "[3].

وأما اصطلاحاً : فلا يخرج المعنى الاصطلاحي للتبسم عن معناه في اللغة . ولم ترد كلمة التبسم أو مشتقاتها في القرآن الكريم إلا مرةً واحدةً في قوله تعالى :{ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا}[4]. قال القرطبي : " تبسم مقدار الضحك , لأن الضحك يستغرق التبسم , والتبسم دون الضحك وهو أوله "[5] . وقال الميداني : " التبسم من درجات الضحك الخفيفة الذي لا يكون مصحوباً بصوت. وهو من آداب الكبراء والعقلاء الرازنين , الذين لا تستخفّهم السّارات والمعجبات . بل يعبّرون عن سرورهم وإعجابهم بالتبسم "[6] .

ثانياً : التبسم عند علماء النفس :

" تعتبر الابتسامة إحدى لغات الجسد , ووسيلة من وسائل الاتصال غير اللفظي لدى الكائن البشري , كما أنها سلوك معقّد , وتحتوي على أنواع ومعان , وهناك طائفة كبيرة من المشاعر والأحاسيس تعبّر عنها الابتسامة "[7]

---

[1] ابن فارس : **معجم مقاييس اللغة** . ج1 ص 249. وانظر : الجوهري : **الصحاح** . ج 5 ص 1872 .

[2] الزمخشري : **أساس البلاغة** . ص 22 .

[3] انظر : ابن منظور : **لسان العرب** . ج 12 ص 50 .

[4] سورة النمل : الآية 19 .

[5] القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . ج13 ص 175 .

[6] الميداني : **معارج التفكر** . ج 9 ص 66 .

[7] مقال على الإنترنت غير مذكور اسم كاتبه , بعنوان : الابتسامة " ألوان وأنواع ومعان " . انظر :
http://arb2.maktoob.com/vb/arb181605

المبحث الثاني

مشهد التبسم عند سليمان عليه السلام

ذكر القرآن الكريم انفعال التبسّم مرةً واحدة , وفي مشهد واحد , ولنبي واحد هو سليمان عليه السلام .

تبسّم سليمان عليه السلام من كلام النملة :

ويبدأ هذا المشهد من قول الله تعالى : { وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٧ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ }[1] .

ففي هذا المشهد يصف المولى عز وجل انفعال التبسّم عند سليمان عليه السلام , وسبب هذا الانفعال ونتيجته. يقول سيد قطب : " لقد سار الموكب , موكب سليمان عليه السلام من الجن والإنس والطير . في ترتيب ونظام , يجمع آخره على أوله , وتضم صفوفه , وتتلاءم خطاه ,

حتى إذا أتوا على واد كثير النمل , حتى لقد أضافه التعبير إلى النمل فسمّاه (وادي النمل) قالت نملة . لها صفة الإشراف والتنظيم على النمل السارح في الوادي , قالت للنمل {ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}"[2] .

فهذه الكلمات من هذه النملة الصغيرة , والتي لا تكاد ترى بالعين المجردة . هزّت سليمان عليه السلام , وانفعل معها , ووصلت إلى فؤاده , وانعكست على وجهه ومحيّاه , تبسماً وضحكاً وحبوراً { فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا}[3] .

---

[1] سورة النمل : الآيات . 17-19 .

[2] قطب : **في ظلال القرآن** . ج 5 ص 2636 .

[3] سورة النمل : الآية 19 .

يقول الشيخ الميداني : " وقد أبان هذا النص أن سليمان ضحك من درجة التبسم , فلم يكن ضحكه مصحوباً بصوت قهقهة "[1].

وهذا المشهد يكشف الستار عن مقدار الانفعال الذي حصل لسليمان ﷺ , فلم يكتف النص القرآني بالتبسّم , بل أضاف إليه الضحك . والسر في ذلك كما يقول أبو حيّان هو أنه : " لما كان التبسم يكون للاستهزاء وللغضب كما يقولون : تبسم تبسّم الغضبان , وتبسم تبسّم المستهزئ. وكان الضحك إنما يكون للسرور والفرح أتى بقوله :{ ضَاحِكًا}".[2]

ويزيد الشيخ الميداني الأمر وضوحاً بقوله : " الضحك : انفراج الشفتين عما في داخل الفم. وله درجات بعضها أشد من بعض , وقد يكون مصحوباً بصوت خفيف أو شديد , ويثير الضحك سروراً أو إعجاباً أو استهزاءاً وسخريةً أو غير ذلك . ولما كان انفراج الشفتين عما في داخل الفم قد لا يكون تبسماً من ضحك مسرةٍ أو إعجاب . جاءت كلمة { ضَاحِكًا} قيداً لازماً. فهي حال كاشفة للمراد بالتبسم , أي : هو تبسم من الضحك "[3].

وسليمان ﷺ حين انفعل تبسماً ضاحكا " لم يخرجه عن الأدب الكامل والتعجب في موضعه... فإن القهقهة تدل على خفّة العقل , وسوء الأدب . وعدم التبسم والعجب , مما يتعجب منه , يدل على شراسة الخلق والجبروت . والرسل منزهون عن ذلك "[4].

وأما سبب هذا الانفعال فيوضحه الإمام النسفي[5]بقوله : " فإن قلت ما كان سبب ضحك سليمان ﷺ . قلت : شيئان أحدهما ما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده , وشفقتهم وذلك قولها {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} يعني أنهم لو شعروا ما يفعلون . والثاني : سروره بما آتاه الله مما لم

---

[1] الميداني : **معارج التفكر** . ج 9 ص 66 .
[2] أبو حيّان : **البحر المحيط** . ج 7 ص 61 .
[3] الميداني : **معارج التفكر** . ج 9 ص 66 .
[4] السعدي : **تيسير الكريم الرحمن** . ج 2 ص 827 .
[5] هو : عبد الله بن أحمد بن محمد حافظ الدين النسفي : فقيه حنفي , مفسر , أصولي . له مؤلفات كثيرة في علوم الشريعة المختلفة من أهمها : مدارك التنزيل , في التفسير , والكافي في شرح الوافي, في الفقه , والمنار , في أصول الفقه وغيرها . توفي سنة 710هـ . انظر : طاش كبرى زاده , أحمد بن مصطفى : **مفتاح دار السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم** . 4مج . مراجعة وتحقيق: كامل بكري و عبد الوهاب أبو النور . بلا طبعة . القاهرة : دار الكتب الحديثة . بلا تاريخ . ج 2 ص 188 .

يؤت أحداً عن إدراك سمعه ما قالته النملة , وقيل إن الإنسان إذا رأى أو سمع ما لا عهد له بـه تعجب وضحك "[1]. وقيل إن سبب هذا الانفعال هو " أنه تبسم بظهور عدله حيث بلغ عدله في الظهور مبلغاً عرفه النمل . وقيل تبسم من حذرها "[2] .

وأما نتيجة هذا الانفعال فقد تمثّل بالآتي :

أولاً : أن سليمان عليه السلام حاد بركبه عن وادي النمل " وهو يضع ابتسامة على فمه , ويرسل ضحكة رقيقة واعية من صدره "[3].

ثانياً : دعا ربه عز وجل بدعوات مباركات طالباً منه سبحانه ثلاثة أشياء[4] :

1- أن يلهمه الله ويوفقه الشكر على نعمه , التي أنعمها عليه , وعلى والديه , سيّما نعمة الإسلام التي هي فوق كل نعمة . قائلاً :{ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ } [5].

2- أن يلهمه ويوفقه للعمل الصالح , المرضيّ عنده سبحانه . قائلاً:{ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ}[6].

3- طلب من الله تعالى حسن العاقبة والخاتمة , لأن الصالح من عباده , من هو مختوم له بالسعادة . قائلا :{وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ}[7].

---

[1] النسفي , أبو البركات عبد الله بن أحمد : **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** . 2مج . بلا طبعة . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر . بلا تاريخ . ج 3 ص 379 .

[2] الطبرسي , الفضل بن الحسن : **مجمع البيان في تفسير القرآن** . 6مج . بلا طبعة . بيروت : دار مكتبة الحياة . 1961 . ج 5ص 208 .

[3] الخطيب : **التفسير القرآني للقرآن** . ج 10 ص 230 .

[4] الآيديني , محمد بن عالم : **تفسير الدعوات المباركات من القرآن العظيم** . حققه وعلق عليه : محمد علي الصابوني. ط : 1 . دمشق : دار القلم . 1985. ص47 .

[5] سورة النمل : الآية 19 .

[6] سورة النمل : الآية 19 .

[7] سورة النمل : الآية 19 .

وأي افتقار وذل أكبر من هذا الافتقار إلى الله تعالى , ومن هو الصالح في زمانه إذا لم يكــن سليمان عليه السلام على قمة الصالحين , ولكن هذه الأدعية تكشف عن عظيم نفسيّة سليمان عليه السلام . وأن نعمة تسخير الجن والإنس والطير له لا تزيده إلا تواضعاً وذلاً لله سبحانه .

المبحث الثالث

مفهوم العبوس ودلالته النفسية

أولاً : العبوس في اللغة والاصطلاح :

يدور المعنى اللغوي للعبوس على معنيين رئيسين هما :

1- التكرّه والغضب من الشيء . قال ابن فارس : " والعين ,والباء , والسين, أصل صحيح يدل على تكرّه في شيء . وأصله العبس وهو : ما يبس على هلب الذنب من بعر وغيره . ثم اشتق من هذا اليوم العبوس وهو : الشديد الكريه . واشتق منه عبس الرجل يعبس عبساً وهو عابس الوجه : غضبان "[1] .

2- قطّب ما بين عينيه وتجهّم . قال ابن منظور : " عبس يعبس عبساً وعبّس : قطّب ما بين عينيه "[2]. وفي المعجم الوسيط : " عبس فلان عبساً وعبوسا : جمع جلد ما بين عينيه وجلد جبهته وتجهم "[3]. وهذا المعنى ناتج عن المعنى الأول .

وأما اصطلاحا : فلا يختلف معنى العبوس في الاصطلاح عن معناه في اللغة . فقد قال الأصفهاني : " العبوس : قطوب الوجه من ضيق الصدر . قال تعالى : {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ}[4]. وقال تعالى : {ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ}[5] "[6] .

---

[1] ابن فارس : **معجم مقاييس اللغة** . ج 4 ص 210-211 .

[2] ابن منظور : **لسان العرب** . ج 6 ص 128 . وانظر . الجوهري : **الصحاح** . ج 3 ص 945 . الزبيدي : **تاج العروس** : ج 4 ص183 .

[3] مصطفى : **المعجم الوسيط** . ص 580 .

[4] سورة عبس : الآية 1 .

[5] سورة المدثر : الآية 22 .

[6] الراغب الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** . ص 323 .

ثانياً : العبوس عند علماء النفس :

لم يضع علماء النفس تعريفاً محدداً للعبوس , وذلك أنه لا يخرج عن تعريفه في اللغة , لكــن الكاتبة فاطمة الشامسي قالت : إن الإنسان حين يقطّب وجهه ويعبس يحس في داخلــه بــالبؤس والشقاء "[1] إلا أن هذا الأمر بعيد عن الأنبياء , وقد يحس النبي بالضيق .

[1] مقال على الانترنت للكاتبة: فاطمة الشامسي بعنوان:" الابتسامة اشراقة تعطر الحياة" .انظر :
http://www.albayan.co.ae/albayan/2002/03/26/mnw/4.htm

المبحث الرابع

مشهد العبوس عند نبينا محمد عليه الصلاة والسلام

لم يذكر القرآن الكريم حصول انفعال العبوس إلا لاثنين فقط هما : الأول : نبينا محمد ﷺ عند قوله تعالى : {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ}[1]. الثاني : الوليد بن المغيرة [2]. عند قوله تعالى : {ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ}[3]. والذي يعنينا في هذا البحث هو نبينا محمد ﷺ .

العبوس في وجه العمى :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى : {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ}[4] .

فهذا المشهد كشف الستار عن الأمور التالية :

1- حصول انفعال العبوس للنبي محمد ﷺ .

2- السبب المباشر الذي أدّى إلى حصول هذا الانفعال .

3- سلبية هذا الانفعال من خلال العتاب الإلهي للنبي محمد ﷺ.

ذكر الرازي أن المفسرين قد أجمعوا على أن الذي عبس وتولى هو الرسول ﷺ [5].

وعبوسه ﷺ كان تارةً بإرادته , وأخرى بغير إرادته . قال الشيخ الميداني : " تقول لغة : عبس الرجل إذا كلح وجهه وتقبّض عن كراهية واستياء . وتقول أيضا : عبس الرجل وجهه إذا جعله

---

[1] سورة عبس : الآية 1 .

[2] انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . ج 7 ص 158 .

[3] سورة المدثر : الآية 22 .

[4] سورة عبس : الآيات 1-11 .

[5] الرازي : **مفاتيح الغيب** . ج 16 ص 56 . وانظر : النيسابوري : **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** . ج 30 ص 27.

بإرادته متقبضّاً عن تكرّه واستياء . فالفعل يأتي لازماً ومتعدياً , ويمكن حمل ما جاء في الآيــة على الأمرين كليهما , فوجه الرسول ﷺ عبس بحركة غير إرادية , ثم عبس الرسول ﷺ وجهــه بحركة إرادية "[1] .

ويبدو أن انفعال العبوس قد وصل إلى مرحلة متقدمة في نفس الرسول ﷺ . وذلك أن الــنص القرآني أتبع العبوس بالتولّي . فقال:{وَتَوَلَّى}, ولم يكتف ب{عَبَس} ليدلل على أن هذا الانفعال أخذ مداه من الضجر والضيق في نفس الرسول ﷺ وحركة جسمه .

فمعنى قوله:{ وَتَوَلَّى} أي أعرض بوجهه [2]. إلا أن التولّي " قد يكون بالجسم ..."[3]. وقد حمــل السعدي التولي على المعنى الثاني قائلا : " عبس أي في وجهه . وتولى أي في بدنه "[4]. وقــال الميداني :" تولّى : أي أدار ظهره مدبراً . وشرحُ بعض المفسرين كلمة تولّى بأعرض فيه تسمّح لغوي "[5] .

وأنا أميل إلى هذا التأويل لكلمة تولى , وذلك أن سياق سبب نزول سورة عبس دلّت على أن الرسول ﷺ عبس , وأدار ظهره ووجهه . فهما مرتبطان كارتباط الضحك بالتبسم .

وأما المسبب الحقيقي لهذا الانفعال فهو الرجل الأعمى (ابن أم مكتوم)[6] . قــال الــرازي: "وأجمعوا على أن الأعمى هو ابن أم مكتوم " [7].

---

[1] الميداني : **معارج التفكر** . ج 2 ص217 .

[2] القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . ج 19 ص 211 . وانظر . ابن الجوزي : **زاد المسير** . ج 8 ص 180.

[3] الراغب الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** . ص 540 .

[4] السعدي : **تيسير الكريم الرحمن** . ج 2 ص 1269 .

[5] الميداني : **معارج التفكر** . ج 2 ص 218 .

[6] هو : عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم بن أم مكتوم , ويقال اسمه عبد الله . صحابي شجاع , كان ضرير البصر, أسلم قديما بمكــة . وكان من المهاجرين الأولين , حيث قدم المدينة قبل قدوم الرسولﷺ إليها . كان الرسول ﷺ يستخلفه على المدينة في عامّة غزواته يصلي بالناس . وقد شهد القادسية وقاتل فيها , ورجع إلى المدينة ومات فيها . انظر . ابن حجر , أحمد بن علي : **الإصابة في تمييز الصحابة** . 4 مج . بلا طبعة . بيروت : دار الفكر . بلا تاريخ . ج 2 ص 523 .

[7] الرازي : **مفاتيح الغيب** . ج 16 ص 56 . وانظر : الصوّاف , محمد محمود : **فاتحة القرآن وجزء عم الخاتم للقرآن تفسير وبيــان** . ط : 1 . جدّة : دار العلم للطباعة والنشر . 1985 . ص109

وأما قصّة ومناسبة حصول هذا الانفعال فهي : ما رواه الترمذي وحسّنه والحاكم وصـــححه عن عائشة رضي الله عنها قالت : أنزل {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ}[1] في ابن أم مكتوم الأعمى , أتى رســـول الله ﷺ فجعل يقول : يا رسول الله أرشدني , وعند رسول الله ﷺ رجل من عظمـــاء المـــشركين فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول :" أترى بما أقول بأسا ؟" فيقـــول : لا ففي هذا أنزل "[2].

لقد كان رسول الله ﷺ مشغولاً بدعوة هذا الرجل العظيم من المشركين , واضعاً جل اهتمامـــه عليه , حريصاً على إدخاله الإسلام , لأن في ذلك فتحـــاً لهـــذا الـــدين , واختراقـــاً لحـــصون المشركين. فيأتي ابن أم مكتوم في هذه اللحظة الحاسمة , وهذه الساعة المصيرية . جاء يطلـــب من الرسول ﷺ أن يرشده . فتخطر في نفس الرسول ﷺ الخواطر والظنون أن هذا التابع المسلم – ابن أم مكتوم – يريد الاستمتاع بمحادثة الرسول ﷺ ومجالسته . دون حاجة داعية أو ملحّـــة إليه. فيعبس النبي ﷺ , ويقطّب وجهه , ويعرض ويتولى , ويدير ظهره عن ابـــن أم مكتـــوم . ليتابع دعوته لهذا المشرك .

وأمام هذا الموقف من الرسول ﷺ يأتي العتاب الإلهي بقولـــه : { وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ }[3]. " وهذه أول مرة ينزل فيها قرآن فيه عتاب للنبـــي ﷺ . وروح الآيـــات ومضمونها يلهمان أن العتاب إنما كان على مخالفة النبي لما هو الأولى . فالنبي ﷺ كـــان فـــي موقف المجتهد فيما رآه الأولى , والمستغرق في دعوته ونشرها , والحرص على النجاح فيهـــا. وليس في موقف الممتنع عن تعليم الأعمى وتنويره . وليس في هذا شـــيء ينـــاقض العـــصمة النبوية"[4] .

---

[1] سورة عبس : الآية 1.

[2] الترمذي : **سنن الترمذي .** كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ . باب ومن سورة عبس . رقم الحديث (3331) وصحح إسناده الألباني . ص 755-756 . الحاكم : **المستدرك على الصحيحين .** وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي في الذيل . ج 2 ص 514 .

[3] سورة عبس : الآيتان 4,3 .

[4] دروزة , محمد عزة : **التفسير الحديث.** 3مج . بلا طبعة . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه . 1962 . ج 1 ص 235 .

وهناك عتاب آخر نستلهمه من خلال أسلوب الخطاب الإلهي للنبي ﷺ . " فتوجيه الخطاب من الله تعالى إلى نبيه ﷺ أولاً بضمير الغائب {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ}[1], فيه عتب وفيه إعراض " [2].

وقال الميداني عند قوله تعالى :{ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ }[3] : " في هذا التفات من الغيْبة إلى الخطاب , فبعد أن كان الكلام بأسلوب الحديث عن الغائب , لتقديم لمسة تربوية ضاغطة , التفت النص إلى أسلوب المواجهة بكاف خطاب الحاضر , لبيان العناصر التي اقتضت تربية الله لرسوله بالعتاب , وبالكلام عنه بأسلوب الحديث عن الغائب .

ففي الحديث عن الرسول بأسلوب ضمير الغائب عتاب على ظاهرة السلوك بالعبوس والتولي , وفي مواجهة الرسول بكاف الخطاب المباشر مراعاة لمقتضى العتاب على الدافع النفسي لما كان من الرسول من سلوك ظاهر . إن قول الله تعالى لرسول الله ﷺ :{ وَمَا يُدۡرِيكَ} موجّه لخواطر وظنون نفسية كانت هي الدافع لعبوسه وتوليه عن المسلم الأعمى "[4].

وما دام هناك عتاب من الله تعالى . فإن انفعال العبوس الذي حصل للرسول ﷺ لم يكن محموداً , إذ لو كان محموداً لما نزل العتاب .

العبر المستفادة من هذا المشهد :

أولاً : " بيان مقام النبي ﷺ وأنه أشرف مقام وأسماه , دل على ذلك أسلوب عتاب الله تعالى له حيث خاطبه في أسلوب شخص غائب حتى لا يواجهه بالخطاب فيؤلمه فتلطف معه , ثم أقبل عليه بعد أن أزال الوحشة فيخاطبه { وَمَا يُدۡرِيكَ} "[5] .

ثانياً : " ليس من الأدب الإسلامي أن نواجه العميان بما يكرهون من أعمال وحركات لو كانوا مبصرين لرأوها "[6] .

---

[1] سورة عبس : الآية 1 .
[2] الخطيب : **التفسير القرآني للقرآن** . ج 30 ص 1449 .
[3] سورة عبس : الآيتان 4,3 .
[4] الميداني : **معارج التفكر** . ج 2 ص 218.
[5] الجزائري : **أيسر التفاسير** . ج 4 ص 622 .
[6] الميداني : **معارج التفكر** . ج 2 ص 217 .

ثالثاُ : كان للعتاب الإلهي أثره البالغ في نفسية الرسول ﷺ , وكذلك على تعامله مع أتباعه ومنهم عبد الله بن أم مكتوم , يقول سيد قطب : " ولقد انفعلت نفس الرسول ﷺ لهذا التوجيه , ولذلك العناب , انفعلت بقوةٍ وحرارة , واندفعت إلى إقرار هذه الحقيقة في حياته كلها وفي حياة الجماعة المسلمة ... كان رسول الله ﷺ بعد هذا العتاب يهش لابن أم مكتوم ويرعاه ويقول له كلما لقيه : " أهلا بمن عاتبني فيه ربي "[1] "[2] . وكذلك كان ﷺ لا يلقى أحداً من أصحابه أو يلقونه إلا مبتسماً , من ذلك ما رواه الترمذي من حديث عبد الله بن الحارث قال : ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ "[3] .

رابعاً : وضع هذا المشهد للمسلم ميزاناً يزن به الناس , وهذا الميزان لا يستند إلى موروثات الناس أو موازينهم ومقاييسهم , وإنما يستند إلى ميزان السماء , يقول سيد قطب : " إن الميزان الذي أنزل الله للناس مع الرسل ليزنوا به القيم كلها هو {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ }[4]. هذه هي القيمة الوحيدة التي يرجح بها وزن الناس أو يشيل , وهي قيمة سماوية بحتة , لا علاقة لها بمواصفات الأرض وملابساتها إطلاقاً "[5]

---

[1] لم أجد هذه الرواية في كتب الحديث , وإنما الرواية التي ذكرها الطبري في تفسيره هي : "... فلما نزل فيه ما نزل أكرمه رسول الله ﷺوكلمه وقال له : " ما حاجتك ؟ هل تريد من شيء ؟ وإذا ذهب من عنده قال هل لك حاجة في شيء " .انظر : الطبري : **جامع البيان .** ج 10 ص . وقد حكم ابن كثير على رواية الطبري بالنكارة والغرابة وفال : " وقد تكلم في إسناده " . انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم .** ج 7 ص 212-213 .

[2] قطب : **في ظلال القرآن .** ج 6 ص 3826-3827 .

[3] الترمذي : **سنن الترمذي .** كتاب المناقب . باب في بشاشة النبي ﷺ . وقال : حديث حسن غريب . وقال الألباني : صحيح . رقم الحديث (3641). ص 728 .

[4] سورة الحجرات : الآية 13 .

[5] قطب : **في ظلال القرآن .** ج 6 ص 3823 .

الفصل الثامن

انفعال الحزن

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم الحزن ودلالته النفسية

المبحث الثاني : مشاهد انفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الثالث : القيم الإيجابية لانفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الأول

مفهوم الحزن ودلالته النفسية

أولا : الحزن في اللغة والاصطلاح :

اتفقت معاجم اللغة على أن الحزن هو : نقيض الفرح , وخلاف السرور [1] . ويأتي بمعنى : الهمّ [2] , وذلك أن الحزن غالباً ما يقترن بالهمّ والغمّ . كما يأتي بمعنى : خشونة الشيء . قال ابن فارس : " الحاء والزاي والنون , أصل واحد , وهو خشونة الشيء وشدّة فيه "[3] . وهذه الخشونة والشدّة تحصل في النفس بسبب الهمّ والغمّ . قال تعالى : { وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ }[4], أي الغمّ [5] .

أما اصطلاحا : فقد تركّزت تعريفات العلماء للحزن على الجانب النفسي منه , وليس على آثاره الظاهرة فقط . قال رشيد رضا : " الحزن : هو ضرب من آلام النفس يجده الإنسان عند فوت ما يحب "[6] . وعرّفه النسفي بأنه : " ألم القلب بفراق المحبوب "[7] . وعرّفه رشيد رضا بتعريف جامع فقال : " الحزن : ألم يلمّ بالنفس عند فقد محبوب أو امتناع مرغوب أو حدوث مكروه "[8].

---

[1] انظر : ابن منظور : **لسان العرب** . ج 13 ص 111 . الجوهري : **الصحاح** . ج 5 ص 2098 . الرازي : **مختار الصحاح** . ص 134 . الزبيدي : **تاج العروس** . ج 9 ص 174 .

[2] انظر : الفيروز آبادي :**القاموس المحيط** . ج 4 ص 215 . البستاني : **قطر المحيط** . ج 1 ص 396 .

[3] ابن فارس : **معجم مقاييس اللغة** . ج 2 ص 54 .

[4] سورة فاطر : الآية 34 .

[5] الراغب الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** . ص 123.

[6] رضا : **تفسير القرآن الحكيم** . ج 6 ص 387 .

[7] النسفي : **مدارك التتريل وحقائق التأويل** . ج 3 ص 7 . وانظر : أبو السعود : **إرشاد العقل السليم** . ج 3 ص 370 . الطبرسي : **مجمع البيان** . ج 4 ص 23 .

[8] رضا : **تفسير القرآن الحكيم** . ج 7 ص 371 . وانظر : الزحيلي : **التفسير المنير** . ج 7 ص 182 . الميداني : **معارج التفكر** . ج 10 ص 723.

ثانياً : الحزن عند علماء النفس :

عرّف الدكتور محمد عبد العليم الحزن بأنه : " مشاعرٌ عاطفيةٌ لا تمس مقـــدرات الإنـــسان الأخرى , وأنه رد فعل لظرف سلبي " [1] .

وأحياناً يطلق علماء النفس الاكتئاب على الحزن [2] . ومعلوم أن الاكتئاب انفعال يختلف عن الحزن , لكن قد يلتقي به في مرحلة متقدمة من الحزن .

وقد فرّق الدكتور محمد عبد العليم بين الاكتئاب وبين الحزن بأن الاكتئاب : " جملـــة مـــن الأعراض التي تفقد الإنسان فعاليته , وتؤثر سلباً على عواطفه وتفكيره وتواصله , وحتى قيمتـــه كإنسان " [3] .

وحيث إن الحزن انفعال اعتيادي في حياة الفرد بشكل عام , بل وانفعال واقعي متعدد الأسباب , رأينا أن علماء النفس لم يتعمقوا في تعريفه أو توصيفه كما فعلوا مثلاً مع انفعال الخـــوف أو الغضب أو القلق .

ومن أهم مسببات الحزن [4] :

1- القلق الشديد من المستقبل .

2- تعرض الفرد أو أحد أفراد الأسرة أو الأصدقاء إلى حادث أو وفاة أو إصابة بمرض .

3- الهاجس النفسي : وهو الحزن بدون سبب .

---

[1] مقال على الانترنت للكاتب محمد عبدالعليم , بعنوان : "لماذا يأتي على بعض الناس أحوال يحبون فيها الحزن؟.انظر:
http://www.islamweb.net/ver2/istisharat/details2.php?reqid=274294

[2] مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه, بعنوان " الاكتئاب " . انظر :
http://ar.wikipedia.org/wiki

[3] مقال على الانترنت للكاتب محمد عبدالعليم , بعنوان: "لماذا يأتي على بعض الناس أحوال يحبون فيها الحزن؟.انظر:
http://www.islamweb.net/ver2/istisharat/details2.php?reqid=274294

[4] مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه, بعنوان:" الكآبة... مرض العصر. انظر:
http://www.albawaba.com/ar/health,Mental_ Wellbeing/270990

4 - العقل الباطني . وذلك من خلال مشاهدة الفرد أو سماعه لمشهد أو لخبر محزن , وهذا حزن مؤقت سرعان ما يزول .

ثالثاً : أقسام الحزن :

بالنظر إلى ما يخالط الحزن أو ينتج عنه يمكن تقسيمه إلى قسمين هما :

الأول : حزن مباح , هو الحزن الذي فطر الله تعالى الخلق عليه , وجعله من الغرائــز التــي لا تنفكّ عنهم . وقد ينتج عنه " دمع العين ورقّة القلب من غير سخط لأمر الله " [1] . وقد أثبتــه الله تعالى لنبيّه محمد ﷺ في غير ما موضع من القرآن الكريم , منها قولــه تعــالى : { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ }[2] . كما ثبت في البخاري أن النبي ﷺ حزن وبكى حين مات ابنه إبراهيم عليه السلام وقال : " إن العين تدمع , والقلب يحزن , ولا نقول إلا ما يرضي ربنا , وإنا بفراقــك يــا إبراهيم لمحزونون " [3] .

الثاني : حزن مذموم أو حرام , هو الحزن الذي لا صبر لدى صاحبه , ولا رضى بقضاء الله وقدره . ويخالطه في الغالب أو ينتج عنه ما حذّر منه الشارع الحكيم من لطــم الخــدود وشــقّ الجيوب وغيرها من السلوكيات التي تنم عن عدم الرضا بقضاء الله وقدره .

---

[1] ابن حجر : **فتح الباري** . ج 3 ص 174 .

[2] سورة الأنعام : الآية 33 .

[3] البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب الجنائز . باب قول النبي ﷺ " إنا بك لمحزونون " .رقم الحديث (1303) . ج1 ص 250 . وقد رواه مسلم في صحيحه بلفظ : " تدمع العين ويحزن القلب , ولا نقول إلا ما يرضي ربنا , والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون " . انظر : مسلم : **صحيح مسلم** . كتاب الفضائل . باب رحمة ﷺ الصبيان والعيال , وتواضعه وفضل ذلك . رقم الحديث (2315) . ج 4 ص 1808 .

المبحث الثاني

مشاهد انفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام

ذكر القرآن الكريم انفعال الحزن عند بعض الأنبياء عليهم السلام , وبيّن أسباب هذا الحزن , فمن هذه الأسباب ما كان لفقد حبيب , ومنه ما كان لغياب الإسلام عن واقع الأمة وهذا الحزن لا يظهر إلا من أصحاب الكمالات . وفي هذا المبحث سأتكلم عن انفعال الحزن عند يعقوب عليه السلام وعند نبينا محمد ﷺ .

المطلب الأول : مشاهد الحزن عند يعقوب عليه السلام

ذكر القرآن الكريم انفعال الحزن عند يعقوب عليه السلام في ثلاثة مشاهد من سورة يوسف. وتعدّ هذه السورة أكثر سور القرآن إبرازاً وإظهاراً لانفعال الحزن . كما أنها السورة الوحيدة التي صوّرت نفسية يعقوب عليه السلام على حقيقتها , ورسمتها بواقعيتها كوالد ملهوف على ولده ينفعل حزنا وخوفا عليه , وكنبي موصول بربه متفائل ثقة به[1] . والمشاهد الثلاثة هي:

أولا : حزن يعقوب عليه السلام على فراق يوسف عليه السلام :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى : { قَالُوا يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ }[2].

فهذا المشهد يكشف الستار عن انفعال يعقوب عليه السلام انفعال حزن مقرون بالخوف على ولده يوسف عليه السلام , كما يكشف عن مدى تعلق يعقوب عليه السلام به .

فما إن راود أولاد يعقوب عليه السلام أباهم لاصطحاب أخيهم يوسف عليه السلام معهم في رحلة الرعي حتى بدأ الحزن عليه ظاهرا , بل إنه صرح لهم أنه " يحزنني أن تذهبوا به لأني لا أصبر عن

---

[1] انظر ملامح شخصية يعقوب عليه السلام . ص 58 .

[2] سورة يوسف : الآيات 11-13.

رؤيته , ولا أطيق على فرقته ... هذا إذا كان الحال سلامته .. فكيف ومع هذا أخاف أن يأكله الذئب "[1] .

وقوله {إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ} , أي " حزناً ظاهراً محققاً . بما أشار إليه إظهاره النون وإثباته لام الابتداء "[2] . واللام في {لَيَحْزُنُنِيٓ} " لام الابتداء كقوله { وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ }[3]

ودخولها أحد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة "[4]. وأتي بهذه اللام " للتأكيد , ولتخصيص المضارع بالحال , أخبرهم أنه يحزن لغيبة يوسف عنه لفرط محبته له وخوفه عليه "[5].

وهذا يؤكد حصول انفعال الحزن عند يعقوب عليه السلام لحظة طلبهم يوسف عليه السلام منه . كما يؤكد على مدى تعلق الوالد بولده .

بينما نجد أن أبا حيّان ينكر حصول انفعال الحزن عند يعقوب عليه السلام في هذا المشهد حيث يقول : " {لَيَحْزُنُنِي} , مستقبل لا حال , لأن المضارع إذا أسند إلى متوقع تخلص للاستقبال لأن ذلك المتوقع مستقبل , وهو المسبب لأثره , فمحال أن يتقدم الأثر عليه , فالذهاب لم يقع فالحزن لم يقع "[6] .

وقد ردّ الآلوسي على هذا الرأي , مؤكداً حصول انفعال الحزن عند يعقوب عليه السلام قائلا: "فإن الحزن والغمّ كالسرور والفرح يكون بالشيء قبل وقوعه كما صرّح به ابن هلال [7] في فروقه , ولا حاجة إلى تأويل , أو تقدير , أو تنزيل للوجود الذهني منزلة الخارجي على القول

---

[1] القشيري : **لطائف الإشارات** . ج 2 ص 69.

[2] البقاعي : **نظم الدرر** . ج 4 ص 15.

[3] سورة النحل : الآية 124.

[4] الزمخشري : **الكشّاف** . ج 2 ص 306 .

[5] الشوكاني : **فتح القدير** . ج 3 ص 10.

[6] أبو حيّان : **البحر المحيط** . ج 5 ص 287 . وانظر : الميداني : **معارج التفكر** . ج 10 ص 627. ابن عاشور : **التحرير والتنوير** . ج 5 ص 231 .

[7] هو : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري , أبو هلال . عالم بالأدب , له شعر . نسبته إلى " عسكر مكرم " من كور الأهواز . من كتبه في اللغة : التلخيص , والفروق . وله : جمهرة الأمثال , والفرق في المعاني , وغيرها. توفي سنة 395هـ . انظر : الزركلي : **الأعلام** . ج 2 ص 196 .

به , أو الاكتفاء به فإن مثله لا يعرفه أهل العربية , أو اللسان , فإن أبيْت إلا اللجاج فيه فلـــيكن من التجوّز في النسبة إلى ما يستقبل لكونه سبباً للحزن الآن " [1] .

وأنا أميل إلى أن يعقوب عليه السلام انفعل حزناً وغمّاً على يوسف عليه السلام في هــذا المــشهد وذلــك للأسباب التالية :

أولاً : أن لام الابتداء في {لَيَحۡزُنُنِيٓ} قصرت الفعل على الحال . وهذا ما رجّحه الزمخشري[2] والشوكاني[3] , والآلوسي[4] . والمعنى : أن حالة يعقوب عليه السلام النفسية انتابها الحزن في الوقت الذي طلب أولاده ذهاب يوسف عليه السلام معهم .

ثانياً : إن فرط محبة يعقوب عليه السلام لولده , وشدّة تعلقه به , وعدم قدرتـــه أو تحملـــه فراقـــه , أو الابتعاد عنه , لا يمنع من حصول الحزن عنده .

ثالثاً : ما دام أن الحزن ألم نفسي يحدث لفقدان محبوب أو وقوع مكروه , فإن يعقوب عليه السلام توقع حصول المكروه على يوسف عليه السلام من إخوته , لكنه كتم الحزن مع الهمّ والغمّ كي لا يزيد الأمر تعقيداً مع أولاده , حيث إنه لو أظهر لهم الحزن لتغلغل الحسد واشتعل في نفوسهم التي أضمرت ليوسف عليه السلام الشر مسبقاً , وخططت لإبعاده عن أبيه.

ثانياً : حزن يعقوب عليه السلام على فقدان يوسف عليه السلام :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى : {وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ}[5] .

---

[1] الآلوسي : **روح المعاني** . ج 12 ص 195 .
[2] الزمخشري : **الكشّاف** . ج 2 ص306 .
[3] الشوكاني : **فتح القدير** . ج 3 ص10 .
[4] الآلوسي : **روح المعاني** . ج 12 ص 195 .
[5] سورة يوسف : الآيات 16- 18 .

فهذا المشهد , وهذه الكلمات التي خرجت من فم يعقوب عليه السلام تخفي في داخلها الحسرة والأسى , والهمّ والغمّ , والحزن العميق على فقدان ولده يوسف عليه السلام .

ويعقوب عليه السلام " أدرك من دلائل الحال , ومن نداء قلبه , أن يوسف لم يأكله الذئب , وأنهم دبّروا له مكيدة ما , وأنهم يلفقون له قصةً لم تقع , ويصفون له حالاً لم تكن , فواجههم بأن نفوسهم قد حسّنت لهم أمراً منكراً , وذلّلته ويسّرت لهم ارتكابه , وأنه سيصبر متحملاً متجملاً لا يجزع ولا يفزع ولا يشكو , مستعيناً بالله على ما يلفقونه من حيلٍ وأكاذيب "[1]

وقوله : { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ }, أي " فأمري الذي أعتصم به تجاه مكيدتكم هو صبر جميل على حزني الذي لا أبدي فيه تضجّراً ولا جزعاً , ولا أقول فيه إلا ما يرضي ربي " [2] . وقال القاسمي : " الصبر : قوة للنفس على احتمال الآلام كالمصائب إذا عرضت . والجميل منه هو ما لا شكوى فيه إلى الخلق ولا جزع , رضاً بقضاء الله , ووقوفاً مع مقتضى العبودية "[3] .

وقوله : {وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ}[4] , " من هذه المصيبة لا أستعين على احتمالها غيره أحداً منكم ولا من غيركم "[5] .

فالحاصل أن يعقوب عليه السلام حزن حزناً عميقاً , لكنه كتمه وكظمه في نفسه , وكأن الحزن لم يظهر على قسمات وجهه , واكتفى بالشكوى إلى الله تعالى والصبر والاحتساب على مصابه .

ويبدو من قول يعقوب عليه السلام : {وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ} بعد قوله : { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ } , ما يدل على قوة المغالبة بين دواعيه النفسية المتحرقة حزناً وهمّاً على يوسف عليه السلام والتي تدعوه

[1] قطب : **في ظلال القرآن** . ج 4 ص 1976 .
[2] الميداني : **معارج التفكر** . ج 10 ص 634 .
[3] القاسمي : **محاسن التأويل** . ج 9 ص 3521 .
[4] سورة يوسف : الآية 18 .
[5] رضا : **تفسير القرآن الحكيم** . ج 12 ص 267 .

لإظهار الجزع , وبين داعي الرحمن الذي يأمره بالصبر والرضا . فكان لا بد من الاستعانة بالله تعالى على لجم دواعيه النفسية [1] .

ثالثا : حزن وبكاء يعقوب عليه السلام على فاجعة يوسف وأخيه :

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام : { ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }[2] .

وهذا المشهد هو أبرز مشاهد انفعال الحزن في القرآن الكريم على الإطلاق . فقد جمع مع الحزن الكمد والهمّ , والبكاء والبثّ والشكوى إلى الله تعالى . ونتج عنه ضعف البصر جدّا.

وقد كشف هذا المشهد عن تطور انفعال الحزن عند يعقوب عليه السلام حتى وصل إلى أربع مراحل هي :

المرحلة الأولى : مرحلة الهمّ المكبوت في داخل النفس , وهي مقدمة للحزن بل جزء منه :

فيعقوب عليه السلام ما إن أخبره أولاده بما جرى لأخيهم مع عزيز مصر من احتجازه بسبب سرقة المكيال , حتى قال نفس الكلمات التي قالها حين جاؤوا بخبر أكل الذئب لأخيهم يوسف {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ}, وهذه الكلمة تخفي في داخلها الشك من كلام أولاده والهم والغم المكبوت في القلب .

---

[1] انظر : الرازي : **مفاتيح الغيب** . ج 18 ص 107.

[2] سورة يوسف : الآيات 80 - 86 .

المرحلة الثانية : مرحلة الحزن الشديد المقرون بتذكر أحزان الماضي وأشجانه :

يقول الدكتور أحمد نوفل وهو يصف هذه المرحلة : " لقد هجر الناس واعتزل , أو انصرف عنهم , تاركا قولهم وتأكيداتهم , خاليا إلى نفسه , ممتلئا حزنا , قائلا : {يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ}, ويا لها من كلمة تقطر حزنا ومرارة , وحرقة ولهفة , وهذه الكلمة ومثيلاتها في اللغة العربية مثل يا حسرتي , ويا ويلتي , لا يقصد بها حقيقة النداء , وإنما هي مجاز كأنه ينادي الأسف أن يسعفه "[1].

وقال محمد جواد مغنية : " اعتزل الناس ليندب وحده من لن ينساه أبداً , يندبه بهذه الصرخة الحزينة {يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ} , وزاده فراق ولده الثاني حزناً على حزن , وبكاءاً على بكاء {وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ} , أصيبتا بالقرحة من آثار البكاء فهو يتنفس منهما بالدموع , كما يتنفس من رئتيه بالآهات والحسرات { فَهُوَ كَظِيمٌ} , يتجرع الغيظ ويتجلد ولكن على حساب جسمه وأعصابه "[2]. وأما سبب إعراضه عن أولاده فهو " كراهةً لما سمع منهم "[3] .

وقوله {يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ} , الأسف : " أشد الحزن والحسرة إلى نفسه , والألف بدل من ياء الإضافة "[4]. ونداء الأسف " مجاز . نزّل الأسف منزلة من يعقل فيقول له : أحضر فهذا أوان حضورك , وأضاف الأسف إلى ضمير نفسه لأن هذا الأسف جزئي مختص به من بين جزئيات جنس الأسف "[5]. وقيل معناه : " يا رب ارحم أسفي على يوسف "[6].

قال الشوكاني : " قال يعقوب هذه المقالة لما بلغ منه الحزن غاية مبالغة بسبب فراقه يوسف وانضمام فراقه لأخيه "[7] .

---

[1] نوفل : **سورة يوسف دراسة تحليلية** . ص 517.
[2] مغنية : **التفسير الكاشف** . ج 4 ص 349 .
[3] أبو السعود : **إرشاد العقل السليم** . ج 3 ص 423 .
[4] الزمخشري : **الكشاف** . ج 2 ص 338.
[5] ابن عاشور : **التحرير والتنوير** . ج 6 ص 42 .
[6] الجمل : **الفتوحات الإلهية** . ج 2 ص 475 .
[7] الشوكاني : **فتح القدير** . ج 3 ص 48.

ولكن ما الذي ذكّر يعقوب عليه السلام بولده يوسف عليه السلام , وجعل شدّة حزنه ووجده عليه دون أخيه مع أن المشهد جاء في سياق الحديث عن ولده وليس عن يوسف عليه السلام ؟

والسبب كما يقول الزمخشري : " أن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضّا عنده طريّا , ولأن الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده , فكان الأسف عليه أسفاً على من لحق به "[1] . وأما الرازي فقد ذكر أربعة وجوه لعظم حزنه على مفارقة يوسف عليه السلام عند هذا المشهد وهي [2]:

1 - أن الحزن الجديد يقوّي الحزن القديم الكامن . والقرح إذا وقع على القرح كان أوجع .

2 - أن يوسف وأخاه كانا من أمّ واحدة , وربما كانت المشابهة بينهما في الصورة والصفة أكمل فكان يعقوب يتسلّى برؤيته عن رؤية يوسف , فلما وقع ما وقع زال ما يوجب السّلوة فعظم الألم والوجد .[3]

3 - لأن المصيبة في يوسف كانت أصل مصائبه التي عليها ترتبت سائر المصائب والرزايا وكأن الأسف عليه أسفاً على الكل .

4 - أن المصائب الجديدة كانت أسبابها جاريةً مجرى الأمور التي يمكن معرفتها والبحث عنها أضف إلى أن مكان من فقد مؤخراً معلوم , أما يوسف فلما يعلم يعقوب له مكانا , ولا للمصيبة فيه كيفية .

وهذه المرحلة من الحزن فيها تجانس جميل بين كلمتي {الأسف} و{يوسف} , وكأن النص يشير إلى أن الحزن الشديد والكبير والعظيم والفاجعة الكبرى بفقدان يوسف . وهذا " مما يزيد النظم الكريم بهجة "[4] , " ويقع مطبوعاً غير مستعمل فيملح ويبدع "[5] .

---

[1] الزمخشري : **الكشاف** . ج 2 ص 338 .

[2] الرازي : **مفاتيح الغيب** . ج 18 ص 197 .

[3] هذا السبب بحاجة إلى دليل , وحيث لا يوجد هذا الدليل فإن هذا السبب يكون من الإسرائيليات المسموح التعامل معها لعدم معارضتها نصوص الوحيين على منهج كثير من المفسرين, منهم ابن كثير . انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . ج 1 ص 8 .

[4] أبو السعود : **إرشاد العقل السليم** . ج 3 ص 423 .

[5] الزمخشري : **الكشاف** . ج 2 ص 338 .

المرحلة الثالثة : ذهاب البصر من شدّة الحزن والبكاء والكمد .

فقوله تعالى : {وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ} , قال ابن عاشور : " وعندي أن ابيضاض العينين كناية عن عدم الإبصار. وأن الحزن هو السبب لعدم الإبصار كما هو الظاهر , فإن توالي إحساس الحزن على الدماغ قد أفضى إلى تعطيل عصب الإبصار , على أن البكاء من الحزن أمر جبلّي فلا يستغرب صدوره من نبي "[1] .

وقال الشيخ عبد الكريم الخطيب وهو يصف هذه المرحلة من الحزن : " وهكذا تهجم لوعات الأسى والحسرة على الشيخ الكبير , حتى لقد ابيضت عيناه من الحزن الدفين , الذي أبى على عينيه أن تبللهما قطرات الدموع , وأن تطفئ النار المشتعلة فيهما , حتى أتت على فحمة سوادهما , وأحالته رمادا "[2] .

وقوله تعالى : { فَهُوَ كَظِيمٌ} , الكظم في اللغة : الردّ والحبس [3]. وقال الأصفهاني : " الكظم: مخرج النفس " [4]. والمعنى : " فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم "[5]. في حين نجد أن جمهرة المفسرين يفسرونها بممتلئ القلب من الحزن الشديد الذي لا يظهره للناس[6].

ولا يمنع أن يكون قلبه مملوءاً بالحزن على يوسف عليه السلام , والغيظ الشديد على أولاده الذين تسبّبوا له هذه المواجع والأحزان . وكظم الحزن الشديد في القلب وحبسه في الصدر هو "الحزن أفدح الحزن , وأشدّه قسوة "[7] .

---

[1] ابن عاشور : **التحرير والتنوير** . ج 6 ص 43 .
[2] الخطيب : **التفسير القرآني للقرآن** . ج 7 ص 34 .
[3] الفيروز آبادي : **القاموس المحيط** . ج 4 ص 173 .
[4] الراغب الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** . ص 434 .
[5] الزمخشري : **الكشاف** . ج 2 ص 339 .
[6] انظر : الطبري : **جامع البيان** . ج 6 ص 4609 . القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . ج 9 ص 249 . الشوكاني : **فتح القدير** . ج 3 ص48 . السعدي : **تيسير الكريم الرحمن** . ج 1 ص 539 . الرازي : **مفاتيح الغيب** . ج 18 ص 200 .
[7] الخطيب : **التفسير القرآني للقرآن** . ج 7 ص35 .

وهذه المرحلة أظهرت : " أن أشرف أعضاء الإنسان كانت غريقة في الغمّ , فاللسان كان مشغولاً بقوله {يَٰٓأَسَفَىٰ} , والعين بالبكاء والبياض , والقلب بالغمّ الشديد الذي يشبه الوعاء المملوء الذي شُدّ ولا يمكن خروج الماء منه , وهذا مبالغة في وصف ذلك الغمّ "[1].

المرحلة الرابعة : قطع الشكاية بالحزن والبثّ إلا إلى الله تعالى .

فإن الحزن والأسى يمكن أن يخفّ أو ينتهي ببثّه إلى الناس , وإفراغ الهموم والأحزان والغمّ والهمّ وأسبابها إليهم مما يريح النفس ويجلي الصدر خاصة إذا بثه إلى أهل الصلاح أو التخصص . أما إذا بقيت هذه الأحزان مأسورة في القلب بعد أن جفت العين من البكاء , فهذا قمة مراحل الحزن .

وقوله : {إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّى وَحُزۡنِى }, قال أبو السعود : " البثّ : أصعب الهمّ الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس , أي ينشره "[2]. وقال الميداني : " والبث : الشكوى التي يصرح بها الشاكي بلسانه عن أوجاعه وآلامه المادية والمعنوية "[3] .

لكن هل هناك فرق بين البث والحزن ؟ أم أن بينهما اشتراك ؟ يجيب على ذلك الإمام الرازي بقوله : " فالحزن إذا ستره الإنسان كان همّا , وإذا ذكره لغيره كان بثّا , وقالوا : البثّ أشدّ الحزن , والحزن أشدّ الهمّ "[4] .

فقوله : { إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّى وَحُزۡنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ } , فقد حصر الشكاية إلى الله وحده دون سواه وكأنه يقول : " إنما أشكو حزني العظيم , وما دونه من الحزن إلى الله لا إلى غيره من الناس"[5]. وذلك أن البثّ هو الحزن العظيم والحزن ما دونه .

---

[1] الرازي : **مفاتيح الغيب** . ج 18 ص 200 .
[2] أبو السعود : **إرشاد العقل السليم** . ج 3 ص 424 .
[3] الميداني : **معارج التفكر** . ج 10 ص 723 .
[4] الرازي : **مفاتيح الغيب** . ج 18 ص 202 .
[5] الشوكاني : **فتح القدير** . ج 3 ص 49 .

وقال الميداني : " وعطف الحزن على البثّ يقتضي المغايرة , فالمعنى : ما أشكو حالي وضعفي ومرضي وحزني إلا إلى الله بيني وبينه , ولا أشكو لأحد سواه "[1] .

إلا أن ابن عاشور لا يرى وجود هذه المغايرة حيث يقول : " البثّ : الهمّ الشديد وهو التفكير في الشيء المسيء . والحزن : الأسف على فائت . فبين الهمّ والحزن العموم والخصوص الوجهي , وقد اجتمعا ليعقوب عليه السلام لأنه كان مهتما بالتفكير في مصير يوسف عليه السلام وما يعترضه من الكرب في غربته وكان آسفا على فراقه "[2] .

وهكذا نرى أن هذا المشهد أكثر مشاهد القرآن الكريم حزناُ , وأنه جمع مراحل الحزن كلها.

المطلب الثاني : مشاهد الحزن عند نبينا محمد عليه الصلاة والسلام

بيّن القرآن الكريم في أكثر من عشر آيات حصول الحزن عند نبينا محمد ﷺ , وكان سبب هذا الحزن أمرين اثنين هما :

الأول : حزنه عليه الصلاة والسلام على افتراءات وتقوّلات المكذبين والجاحدين عليه

قال تعالى : {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ }[3].

يقول رشيد رضا عند هذه الآية : " وقد أثبت تعالى لرسوله ﷺ هذا الحزن إثباتاً مؤكدا بتعلق علمه التنجيزي به في بعض الأحيان , أي عندما كان يعرض عليه ﷺ , وبان مع ضمير الشأن وباللام " [4] .

وقوله تعالى:{قَدْ نَعْلَمُ} , " تحقيق للخبر الفعلي " [5] , " وتأكيد العلم بما ذكر " [6].

---

[1] الميداني : **معارج التفكر** . ج 10 ص 724 .
[2] ابن عاشور : **التحرير والتنوير** . ج 6 ص 45 .
[3] سورة الأنعام : الآية 33.
[4] رضا : **تفسير القرآن الحكيم** . ج 7 ص 371 .
[5] ابن عاشور : **التحرير والتنوير** . ج 3 ص 196 .
[6] أبو السعود : **إرشاد العقل السليم** . ج 2 ص 347 .

وقوله تعالى :{ٱلَّذِى يَقُولُونَ} , من قولهم عن النبي ﷺ إنه " ساحر كذّاب " [1] .

كما قال تعالى: {وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡ ۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ }[2] . وقوله تعالى : { فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡ ۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ }[3] .

ومعنى الآية " قد نعلم أيها الرسول إنه ليحزنك ويؤلم نفسك ما عليه هؤلاء القوم , وما يقولونه لك من تكذيب وطعن , وتنفير للعرب عن دعوتك , وهذه نفسك الطاهرة تتألم "[4] .

وقد ذكر الإمام الطبري رواية صحيحة في سبب نزول الآية , قال : " حدثنا هنّاد , قال : حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد , عن أبي صالح , في قوله : { قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ }[5] قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين فقال له : ما يحزنك ؟ فقال : كذّبني هؤلاء .

قال : فقال له جبريل : إنهم لا يكذبونك هم يعلمون أنك صادق , { وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ } "[6] .

وقد جاءت هذه الآية تسليةً وتأنيساً للنبي ﷺ عن الحزن الذي أصابه بسبب هذا التكذيب وهذه التقولات والإشاعات حوله وحول دعوته , وكأنها تقول له يا محمد " هم لا يكذبونك في الحقيقة

---

[1] الزمخشري : **الكشّاف** . ج 2 ص 14 .

[2] سورة يونس : الآية 65 .

[3] سورة يس : الآية 75 .

[4] حجازي , محمد محمود : **التفسير الواضح** . 3 مج . ط : 6 . القاهرة : مطبعة الاستقلال الكبرى . 1969 . ج 7 ص 50 .

[5] سورة الأنعام : الآية 33 .

[6] الطبري : **جامع البيان** . رقم الرواية (13226). ج 4 ص 3167 . وهذه الرواية صحيحة السند إلى أبي صالح . فهنّاد هو ابن السرّي بن مصعب الدارمي التميمي : ثقة . من شيوخ البخاري ومسلم . انظر : حلاّق , محمد صبحي بن حسن : **رجال تفسير الطبري جرحاً وتعديلاً** . ط : 1 . بيروت : دار ابن حزم . 1999 . ص 273 . وأبو معاوية هو محمد بن خازم , أبو معاوية الضرير الكوفي. ثقة . روى له الجماعة . انظر : ابن حجر , أحمد بن علي : **تقريب التهذيب** . 2 مج . حققه وعلّق: عليه عبد الوهاب عبد اللطيف . ط : 2 . بيروت : دار المعرفة . 1975. ج 2 ص 157 . وإسماعيل بن خالد . من كبار التابعين . ثقة ثبت . انظر : ابن حجر : **تقريب التهذيب** . ج 1 ص 68 . وأبو صالح هو مولى أم هانئ بنت أبي طالب . تابعي ثقة . انظر : حلاّق : **رجال تفسير الطبري** . ص 273.

وإنما يكذبون الله بجحود آياته . فاله عن حزنك لنفسك وإن هم كذبوك وأنت صـادق وليـشغلك عن ذلك ما هو أهم "[1] .

الثاني : حزن النبي عليه الصلاة والسلام لعدم إيمان قومه بدعوته

قال تعـالى : { لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ }[2]. وقـال تعـالى : {وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ }[3]. وقال تعالى : {وَلا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ }[4] .

وهذه الآيات تنهى النبي ﷺ عن الحزن على الكافرين " لكفرهم وعدم هدايتهم " [5]. كما قـال تعـالى : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ }[6] .

والمعنى " لا تهتم ولا تبال بهؤلاء المنافقين الذين يسارعون في الكفـر أي فـي إظهـاره بالتحيّز إلى أعداء المؤمنين من أهله "[7] .

وقد وصل الأمر بالنبي ﷺ أن يهلك نفسه غمّاً وهمّاً وحزناً وألماً على عدم استجابة الكفار لدعوته , كما قال تعالى : {فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا }[8] .

---

[1] الزمخشري : **الكشّاف** . ج 2 ص 14 .
[2] سورة الحجر : الآية 88 .
[3] سورة النحل : الآية 127 .
[4] سورة النمل : الآية 70 .
[5] القاسمي : **محاسن التأويل** . ج 10 ص 3880 .
[6] سورة المائدة : الآية 41 .
[7] رضا : **تفسير القرآن الحكيم** . ج 6 ص 387 .
[8] سورة الكهف : الآية 6 .

وذلك أن النبي ﷺ " كان حريصاً على هداية الخلق , ساعياً في ذلك أعظم السعي , فكان ﷺ يفرح ويسرّ بهداية المتديّن , ويحزن ويأسف على الكافرين الضالين شفقةً منه عليه السلام عليهم , ورحمةً بهم "[1] .

ومعنى {بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ} , " مهلك نفسك بحزنك عليهم " [2] .

وفي الآية " يعاتب الله تعالى رسوله ﷺ ويخفف عنه ما يجده في نفسه من الحزن على عدم إيمان قومه واشتدادهم في الكفر والتكذيب , وما يقترحونه عليه من الآيات . أي فلعلك يا رسولنا قاتل نفسك على إثر رفض قومك للإيمان بك وبكتابك وما جئت به من الهدى , حزناً عليهم , وجزعاً منهم , فلا تفعل " [3] .

وقد تضمنت الآية ذكر الأسف وهو: شدّة الحزن بقوله تعالى : {أَسَفًا} , وهو " فرط الحزن والغضب "[4].

وقد نهى الله تعالى نبيّه ﷺ في أكثر من موضع في القرآن الكريم عن إهلاك نفسه الشريفة حزنا على الكافرين , منها قوله تعالى : {لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ}[5] . وقوله تعالى : {فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ}[6] .

وهذه الآيات تؤكد على أن الحزن غير مرغوب فيه , لأن الله تعالى نهى نبيه ﷺ عنه . حتى قال رشيد رضا : " والحزن مذموم طبعاً وشرعاً مهما كان سببه , لهذا نهى الله عنه "[7] .

---

[1] السعدي : **تيسير الكريم الرحمن** . ج 1 ص 632 .

[2] ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** . ج 4 ص 366 . وانظر : ابن منظور : **لسان العرب** . ج 8 ص 5 .

[3] الجزائري , أبو بكر جابر : **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير** . 4 مج . ط : 2 . جدّة : راسم للدعاية والإعلان . 1987 . ج 2 ص 634 .

[4] القاسمي : **محاسن التأويل** . ج 10 ص 4024 . وانظر : الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** . ص 27 .

[5] سورة الشعراء : الآية 3 .

[6] سورة فاطر : الآية 8 .

[7] رضا : **تفسير القرآن الحكيم** . ج 6 ص 387 .

وأنا لست مع هذا التعميم , لأن الحزن انفعال فطري وطبعي في المخلوقات , وإنما الـــذي ينهى عنه هو لوازمه ونتائجه المخالفة للشرع , وكذلك الحزن المؤدي إلى هلاك الـــنفس كمـــا حصل للنبي محمد ﷺ , وليعقوب عليه السلام حتى إن أولاده شعروا بأن أباهم في خطر بسبب حزنـــه ووجده على يوسف عليه السلام قائلين لـــه : {تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ}[1].

[1] سورة يوسف : الآية 85 .

المبحث الثالث

القيم التربوية لانفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام

ذكر القرآن الكريم حزن بعض الأنبياء عليهم السلام , وكشف عن مكنونات نفوسهم تجاه سبب هذا الحزن , فمنهم من كان حزنه عاطفياً بحتاً كحزن يعقوب عليه السلام , ومنهم من كان حزنه على واقع أمته ومآل قومه في الدنيا والآخرة كحزن نبينا محمد ﷺ , وكلا النوعين يفيد أبناء هذه الأمة , كما يجعل منهما وسيلة تأس وإقتداء في التربية , فمن هذه القيم التي نستفيدها من حزن الأنبياء عليهم السلام هي :

أولاً : أصل الحزن جائز, وذلك أنه انفعال طبيعي فطر الله الإنسان عليه, وجعله غريزة فيه, بل جعله والضحك آيتان من آياته , قال تعالى :{ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ } [1] فهو سبحانه خالق الضحك والبكاء وخالق أسبابهما , والبكاء لا يأتي عادة إلا بعد حزن [2] . قال سيد قطب: "وهما (الضحك والبكاء) من أسرار التكوين البشري لا يدري أحد كيف هما, ولا كيف تقعان في الجهاز المركب المعقد , الذي لا يقل تركيبه وتعقيده النفسي عن تركيبه وتعقيده العضوي, والذي تتداخل المؤثرات النفسية والمؤثرات العضوية فيه وتتفاعلان في إحداث الضحك وإحداث البكاء"[3] . بل إن الحزن مظهر من مظاهر قدرة الله عز وجل, وسر من أسرار خلق هذا الإنسان.

---

[1] سورة النجم: الآية : 43 .

[2] قسّم ابن القيم البكاء إلى أنواع عشرة, حيث قال : " والبكاء أنواع : أحدها : بكاء الرحمة والرأفة. والثاني : بكاء الخوف والخشية . والثالث : بكاء المحبة والشوق. والرابع : بكاء الفرح والسرور. والخامس : بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله . والسادس : بكاء الحزن. والفرق بينه وبين بكاء الخوف, أن بكاء الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروه, أو فوات محبوب, وبكاء الخوف يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك, والفرق بين بكاء السرور والفرح, وبكاء الحزن, أن دمعة السرور باردة, والقلب فرحان, ودمعة الحزن حارة, والقلب حزين ولهذا يقال لما يفرح به : هو قرة عين, واقر الله به عينه, ولما يحزن: هو سخينة العين, وأسخن الله عينه به. والسابع : بكاء الخوف والضعف. والثامن:بكاء النفاق. والتاسع: بكاء المستعار والمستأجر عليه. والعاشر: بكاء الموافقة. ابن القيم, محمد بن أبي بكر الزرعي : **زاد المعاد في هدي خير العباد .** 6 مج. حقق نصوصه: شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط. ط:3. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1998. ج1 ص177- 178 .

[3] قطب: **في ظلال القرآن .** ج 6 ص3415 .

وأنبياء الله ورسله عليهم السلام _ لكونهم بشراً _ أصابهم الحزن على أنواعه وأشكاله, وتعدد مسبباته.

فهذا يعقوب عليه السلام حزن حزناً شديداً, وملك الحزن ذاته وكيانه. حتى كان كلما ذكر يوسف عليه السلام بكى بكاءً شديداً لشدة وجده وحزنه عليه حتى كاد البكاء يودي به{ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ }[1] .

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم حزن حزناً شديداً, وكاد الحزن يقتله كمداً وأسى على قومه الكافرين {فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا }[2] .

ثانياً : الحزن لا يحمل على الركون والقعود والضعف والدعة. وذلك أن الحزن انفعال عابر لظرف طارئ لا يجوز أن يلازم الإنسان وخاصة المسلم . لأن الحزن إن لازم الإنسان أياماً وأسابيع يصبح أسى " والأسى حالة مزاجية "[3] تقعد الإنسان عن العمل, وتثبط همته, وتشغل فكره فترته غير قصيرة من الزمن .

من هنا جاء النهي عن الحزن الذي يؤدي إلى القعود أو النكوص على الأعقاب , قال تعالى: { وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ }[4]. ومعنى {وَلَا تَحۡزَنُواْ} أي " لا تحزنوا على من قتل منكم "[5] . وقال رشيد رضا : " وقد يقال هنا : لماذا نهاهم عن الوهن بما عرض لهم والحزن على ما فقدوا في أحد وكل من الوهن والحزن كان قد وقع وهو أمر طبيعي في مثل الحال التي كانوا عليها ؟ والجواب : أن المراد بالنهي ما يمكن أن يتعلق به الكسب من معالجة وجدان النفس بالعمل ولو تكلفاً , كأنه يقول انظروا في سنن من قبلكم تجدوا أنه ما اجتمع قوم على حق وأحكموا أمرهم وأخذوا أهبتهم وأعدوا لكل أمر عدته , ولم يظلموا أنفسهم في العمل لنصرته , إلا وظفروا بما طلبوا , وعوضوا مما خسروا , فحولوا وجوهكم عن جهة ما خسرتم

---

[1] سورة يوسف : الآية 85 .

[2] سورة الكهف : الآية 6 .

[3] راجع : **أصول علم النفس.** ص154.

[4] سورة آل عمران : الآية 139 .

[5] القاسمي : **محاسن التأويل .** ج 4 ص 988 .

وولوها جهة ما يستقبلكم , وانهضوا به بالعزيمة والحزم , مع التوكل على الله عز وجل والحزن إنما يكون على فقد ما لا عوض منه وإن لكم خير عوض مما فقدتم "[1] .

ويحق لنا نتساءل , لماذا أقعد الحزن يعقوب عليه السلام حين أخبره أولاده بأكل الذئب يوسف عليه السلام؟ أليس من الواجب عليه أن يذهب ويبحث عن ولده يوسف عليه السلام ؟ ثم أليس من واجبه أن يتحقق من خبر أولاده ؟ ثم يقيم القصاص عليهم بسبب فعلتهم ومكيدتهم ومحاولة قتل أخيهم ؟.

ويجيب على هذا التساؤل الفخر الرازي حيث يقول: " لا جواب عنه إلا أن يقال إنه سبحانه وتعالى منعه عن الطلب تشديداً للمحنة عليه , وتغليظاً للأمر عليه , وأيضاً لعله عرف بقرائن الأحوال أن أولاده أقوياء وأنهم لا يمكّنونه من الطلب والتفحص , وأنه لو بالغ في البحث فربما أقدموا على إيذائه وقتله , وأيضاً لعله عليه السلام علم أن الله تعالى يصون يوسف عن البلاء والمحنة وان أمره سيعظم بالآخرة , ثم لم يرد هتك أستار سرائر أولاده وما رضي بإلقائهم في ألسنة الناس لأن أحد الوالدين إذا ظلم الآخر وقع الأب في العذاب الشديد لأنه إن لم ينتقم يحترق قلبه على الولد المظلوم وإن انتقم فإنه يحترق قلبه على الولد الذي ينتقم منه , فلما وقع يعقوب عليه السلام في هذه البليّة رأى أن الأصوب الصبر والسكوت وتفويض الأمر إلى الله تعالى بالكليّة " [2] .

وأنا أميل إلى أن السبب في عدم القيام بواجب البحث عن يوسف عليه السلام والتحقيق مع أولاده بشأنه أحد أمرين اثنين:

الأول: إما أن الله تعالى منعه عن البحث والعمل على استنقاذ يوسف عليه السلام . وهذا الأمر مرجوح لأنه لا يوجد نص قرآني أو نبوي يؤكد ذلك , وهذه قضية غيبيّة تحتاج إلى نص , ثم إن هذه القضية المهمة متعلقة بحياة إنسان فلو منعه الله تعالى لبيّن ذلك سريعاً لأنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة , والحاجة هنا ماسّة, ولم يبينها الله سبحانه.

[1] رضا : **تفسير القرآن الحكيم** . ج 4 ص 145-146 .

[2] الرازي : **مفاتيح الغيب** . ج 18 ص 106-107 .

الثاني: إن يعقوب عليه السلام لم يرغب قطع الصلة بالكليّة بينه وبين أولاده , فيعقوب عليه السلام كان يستشعر أن علاقة أولاده به متوترة ويسودها الشك والريْب وعدم الثقة , فمن هنا لو أراد يعقوب عليه السلام التحقيق معهم , وتكذيب راويتهم صراحة , والقيام بالبحث عن يوسف عليه السلام لهدم هذه العلاقة بالكليّة , ولقطع جسر الوصل بينه وبينهم , من هنا لازم الصبر والحزن, مع تيقنه أن الله تعالى سيحفظ ولده ويرعاه , وسيكون له شأن عظيم , بدليل قوله ليوسف عليه السلام وهو يطمئنه على مستقبل مشرق :{ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }[1]

أما نبينا محمد ﷺ فقد كان الحزن دافعاً له على العمل والدعوة والنشاط والهمّة والتحرك المستمر.

صحيح أن الحزن أوشك أن يقتله ﷺ , إلا أن هذا الحزن بقي داخلياً في نفسه , ومع ذلك جاءه النهي الإلهي{فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ }[2] . وهذا الحزن القاتل كان من أجل هداية الناس وإدخالهم إلى الإسلام .

ثالثاُ : من أهم وسائل دفع الحزن التي نتلمسها من انفعال الحزن عند الأنبياء هي :

1 - التوجه إلى تعالى , والاتصال به , والاطمئنان إليه , والاستعانة به , والصبر على قضاءه واستشعار معيّة الله معه .

فهذا يعقوب عليه السلام يعطينا أروع الأمثلة في دفع أحزانه والتخفيف من آلامه , من خلال صلته بربه عز وجل , وتوكله عليه , والاستعانة به , فحين جاءه خبر أكل الذئب ولده يوسف عليه السلام قال :{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ }[3] , أي أصبر وأستعين بالله والتجأ إليه .

---

[1] سورة يوسف : الآية 6 .
[2] سورة فاطر : الآية 8 .
[3] سورة يوسف : الآية 18 .

وحين وصله نبأ فقد ولده الثاني كرّر نفس الوسيلة لنجاعتها وأهميتها , مضيفاً إليها بارقة أمل باللقاء ولم الشمل قائلاً : {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا }[1], ثم بيّن أن الشكاية لله تعالى, واحتساب الأحزان والهموم عند خالقها مما يخفف عن المصاب , ويهوّن عليه الأحزان قائلاً:{ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ }[2] .

وحين انفعل النبي ﷺ حزناً على عدم إيمان قومه , وجهه ربه سبحانه أن يجعل صبره في ذلك عليه , ولا يحزن , قائلاً : { وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ }[3] , ولقد وجه الرسول ﷺ رفيق دربه في الهجرة الى هذه الوسيلة الناجحة بقوله:{لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا }[4].

2 - **المكاشفة والمصارحة** . وهي من الوسائل العملية في التخفيف من الأحزان , حيث إن المحزون إن نفّس عن أحزانه ببيان سبب حزنه , وكشف ما في نفسه والإفصاح عنه , فإنه يخفف عنه حزنه .

لقد استعمل الرسول ﷺ هذا الأسلوب كثيراً , فما كان يُسأل عن حزن حزنه أو دمعة نزلت منه إلا وصرح للسائل عن سببها .

فقد جاء في سبب نزول قوله تعالى : {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ}[5] , " أن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ وهو حزين فسأله عن سبب حزنه , فكشف له وصارحه بقوله :" كذبني قومي " , فخفف عنه جبريل بقوله : إنهم لا يكذبونك ..."[6] .

كما ثبت في البخاري في قصة موت إبراهيم ابن النبي ﷺ أنه ﷺ ذرفت عيناه , فقال له عبد الرحمن بن عوف مستغرباً ومستفسراً : وأنت يا رسول الله ؟ فقال : " يا ابن عوف إنها رحمة"[7].

---

[1] سورة يوسف : الآية 83 .

[2] سورة يوسف : الآية : 86 .

[3] سورة النحل : الآية 127 .

[4] سورة التوبة : الآية 40 .

[5] سورة الأنعام : الآية 33 .

[6] رواه الطبري : **جامع البيان** . ج 4 ص 3167 . وانظر لتحقيق الرواية : مشهد الحزن عند نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ص 159.

[7] البخاري : **صحيح البخاري** . كتاب الجنائز . باب قول النبي ﷺ :" إنا بك لمحزونون " رقم الحديث (1303) . ج 1 ص 250 .

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات, والصلاة والسلام على نبي الرحمة المهداة. محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :

في ختام هذه الرسالة , وبعد استعراض الانفعالات النفسية التي حدثت للأنبياء عليهم السلام, وتجولت في بطون الكتب وأمات كتب التفسير , للبحث والتنقيب والتحقيق والتدقيق في أقوال العلماء والمفسرين حول هذه الانفعالات , من خلال نصوص الكتاب الكريم خاصة , أود أن ألخص النتائج التي توصلت إليها وهي:

1 - الأنبياء عليهم السلام بشر, لكنهم خلاصة الجنس البشري , صنعهم الله على عينه , وخصّهم بمزايا وخصائص , ومع ذلك يعتريهم ما يعتري البشر, ويصيبهم ما يصيب البشر من ضرّ وأذى , ومن مرض وصحة, ومن أكل وشرب , ومن زواج وأولاد , وينفعلون كما ينفعل البشر, فيضحكون ويبكون , ويغضبون ويفرحون , ويخافون ويأمنون , ويحزنون ويبتسمون. وبذلك يكونون أقرب إلى التواصل مع أقوامهم , وأدعى إلى استجابة أقوامهم لهم.

2 - انعقد الإجماع على عصمة الأنبياء عليهم السلام من تعمّد اقتراف كبائر الذنوب ومن صغائر الذنوب الخسيسة, لأن الأنبياء عليهم السلام أسمى وأكرم وأعلى منزلةً وقدراً من ذلك. لكنهم غير معصومين من الصغائر غير الخسيسة. إلا أن الله سبحانه يصوّبهم حين يخطئون, وهذا قول عامة أهل العلم.

3 - الانفعالات النفسية التي حدثت للأنبياء عليهم السلام لا تتنافى مع العصمة مطلقاً , لأنها من العوارض البشرية التي لا تنفك عن البشر في العادة.

4 - الانفعالات النفسية هي عبارة عن حالات وجدانية داخلية مفاجئة , يصاحبها تغيرات فسيولوجية ونفسية معاً , وهذا التعريف يتوافق مع التعريف الاصطلاحي للانفعالات وهو حالة تغيير نفسي تعتري الإنسان بفعل مؤثر, وعليه فالانفعالات عملية طبيعية في الإنسان , ولكن ما ينتج عن هذا الانفعال يمكن أن يقيّم أو يصوّب .

5 - ذكر القرآن الكريم الانفعالات التي حدثت للأنبياء عليهم السلام من خلال استعراضه للقصص النبوي, في ثنايا سوره وآياته, وبيّن المؤثرات والأسباب لهذه الانفعالات وذكر الآثار المترتبة عليها.

6 - انفعال الخوف الذي حصل لبعض الأنبياء عليهم السلام , وكان أبرز وأكثر الانفعالات ذكراً في القرآن الكريم , هو من النوع المشروع الذي لا يلام عليه البشر في العادة , ولا أحد معصوم منه لكونه مغروزاً في الإنسان .

7 - خوف الأنبياء عليهم السلام لم يكن من قبيل الجبن والخور , وإنما كان له هدف سام , فمثلاً خوف يعقوب عليه السلام على ولده يوسف عليه السلام من إخوته , وخوف لوط عليه السلام على ضيوفه من قومه الشذّاذ . ووجس إبراهيم عليه السلام من ضيوفه الملائكة . بل إن خوفهم كان دافعاً للعمل والهمّة والنشاط .

8 - انفعال الغضب الذي حصل لبعض الأنبياء عليهم السلام كان غضباً لله , ومن أجل الله وحين انتهكت محارم الله عز وجل , ولم يكن لحظوظ النفس منه شيءٌ .

9 - كان في بعض نتائج هذا الغضب مخالفة وخطأ, منها مثلاً إلقاء موسى عليه السلام الألواح وفيها شريعة الرب مكتوبة , وإمساكه برأس ولحية أخيه هارون عليه السلام يجرّه إليه. أو مغاضبة يونس عليه السلام لقومه . وبعد هذا الخطأ مباشرةً أتبعوه ندماً واستغفاراً وتوبة , ليعطوا بذلك درساً لكل من ينفعل غضبا أن يراجعوا أنفسهم ويحاسبوها ويعالجوا آثار غضبهم .

10 - الندم والشعور بالذنب والخطأ والتقصير, ولوم النفس ومعاتبتها انفعال نفسي مهم , بل غاية في الإيجابية , حصل للأنبياء عليهم السلام , وكان من العوامل المهمّة في صقل شخصياتهم , وتهذيب نفوسهم , وقد خط الأنبياء عليهم السلام بهذا الانفعال منهجاً مهماً للأتباع ورافداً راقياً من روافد تهذيب النفس وصقلها .

11 - انفعال اليأس الذي حصل للأنبياء عليهم السلام هو من أبرز الانفعالات في إظهار الجانب البشري والعنصر الإنساني لهم عليهم السلام , وأنهم يصابون بالبأساء والضراء والهموم

والغموم , ويستعجلون نصر الله لشدة الضرّاء والبأساء التي تقع عليهم وعلى أتباعهم . وذلك كي يكونوا نماذج يحتذى بها في الصبر على البلاء والشدّة . فالأنبياء أكثر الناس بلاءاً.

12- الأمل والاستبشار بقرب الفرج كانا الشعاع الذي أضاءه الأنبياء عليهم السلام في فضاء البأساء والضراء , واليأس والإحباط , والدماء والأشلاء , والاضطهاد الذي تعرضوا له هم وأتباعهم .

13- العبوس في الغالب انفعال غير ايجابي عوتب الرسول ﷺ بسببه , وكان أول عتاب يعاتب بسببه وبعد هذا العتاب كانت منهجية الرسول ﷺ في علاقته بأتباعه ملؤها البسمة والاستبشار والبشّ في الوجوه , وأصبحت ابتسامته الدائمة شعاراً ونموذجاً تحتذي بها الجماعة المسلمة في علاقتها العضوية وحتى في علاقتها مع غيرها .

14- انفعال الحزن وألم النفس انفعال طبعي, فطر الله الخلق عليه, وجعله من الغرائز التي لا تنفكّ عن البشر. وقد انفعل الأنبياء عليهم السلام حزناً وبكاءاً . إلا أن هذا الانفعال يمكن أن يتحول إلى مرض إذا داوم عليه الإنسان أو إذا لم يكن له سبب .

15- الحزن لا يقعد الإنسان عن مهمته في الحياة, ووظيفته في هذا الوجود, وذلك أن الحزن انفعال عابر لظرف طارئ. والله عز وجل أمرنا بعمارة الأرض, واستثمار كنوزها في خدمة بني الإنسان بالحق والعدل والميزان. من هنا فلا يجوز أبداً أن يجعل الإنسان نفسه رهينة لانفعال عابر كالحزن. ويصبح حراماً إذا خالطه أو نتج عنه ما ينمّ عن عدم الرضا بالقدر .

16- الانفعالات النفسية عند الأنبياء عليهم السلام هي من الأمور المهمة التي ينبغي إظهارها وإبرازها لاستكمال الحديث عن القصص النبوي في القرآن الكريم. حيث إن القصص في القرآن أخذ حيّزاً مقدراً له فيه , وأخذ بالمقابل حيّزاً كبيراً في كتابات العلماء والباحثين والمفسرين والدارسين , لكن إفراد الانفعالات النفسية عند الأنبياء لم تأخذ الحيّز المطلوب خاصة أننا نعيش اليوم ضمن منظومة العولمة التي تحاول أن تجعل العلوم كلها حكراً على الغرب وخاصة علميّ النفس والاجتماع .

الفهارس الفنية

فهرس الآيات

السورة	الآية	الآية	الصفحة
البقرة	{ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ . . .}	30	114،112
	{ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ. . .}	31	114
	{ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ . . . }	34	112
	{ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ . . . }	35	115
	{ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِ . . . }	37	118
	{ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى . . . }	38	118
	{ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ . . .}	87	25
	{أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ . . . }	133	71
	{ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ.}	214	142، 147
	{ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ . . . }	251	62
	{ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ . . . }	258	51
آل عمران	{ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ . . }	33	29
	{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ . . . }	59	113
	{ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ . . . }	93	65
	{ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ . . . }	101	24
	{ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ . . . }	139	183
	{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ . . . }	144	19
	{ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ . . . }	173	77
	{ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ. . . }	175	37
	{ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ . . . }	196	45
النساء	{ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ . . . }	31	27

35	35	{ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ . . . }	
46	82	{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ . . . }	
49	125	{ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ. . . . }	
46	164	{ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ . . . }	
85	185	{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ. . . }	
147	2	{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ . . . }	المائدة
109	31	{ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ . . . }	
180	41	{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ. . .}	
45	54	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ . . . }	
29	67	{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ. . .}	
118، 176	33	{ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ . . . }	الأنعام
48	74	{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً . . . }	
44	81	{وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ . . . }	
33، 76	90	{ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ. . . }	
114	19	{ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ . . . }	الأعراف
116	20	{ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا . . . }	
117	22	{ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ . . . }	
115، 117	23	{ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا . . . }	
130	25	{ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ . . . }	
119	27	{ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ. . . }	
121	60	{ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ . . . }	
55	80	{ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ . . . }	
27	138	{ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ. . . }	
91	142	{ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ. . . }	

39	144	{ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى . . . }	
16	145	{ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً . . . }	
86	148	{ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً . . . }	
1، 16	150	{ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا . . .}	
120	151	{ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ . . . }	
103	154	{ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ . . . }	
76	176	{ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ. . . }	
105	200	{ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ . . . }	
169	40	{ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ . . . }	التوبة
110	54	{ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ . . . }	يونس
179	65	{ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا . . . }	
95	98	{ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ . . }	
86، 113	25	{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . . . }	هود
122	32	{ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا . . . }	
123	38	{ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ. . . }	
121	40	{ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ . . . }	
123	42	{ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ . . . }	
23	43	{ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ . . . }	
124	45	{ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى . . . }	
123	46	{ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ . . . }	
123	47	{ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ. . }	
109	65	{ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ . . . }	

	{ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا . . . }	69	50
	{ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ . . . }	70	30
	{ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ. . . }	71	69
	{ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا . . . }	77	57
	{ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ . . . }	78	57
	{قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ . . .}	80	60
يوسف	{ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا . . .}	4	67
	{ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ. . . }	5	67
	{ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ. . .}	6	185
	{ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ . . . }	7	58، 66
	{ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ. . . }	11	69
	{ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ . . . }	16	171
	{ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ . . . }	18	171
	{ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ. . . }	32	33
	{ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ . . . }	33	19
	{ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ . ..}	42	27
	{ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا . . . }	80	140
	{ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا . . . }	83	171
	{ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ. . . }	84	173
	{ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ. . . }	85	183
	{ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ. . . }	86	173
	{ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ. . . }	87	138

71	94	{ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ . . . }	
136 ،28	110	{ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ . . . }	
71	111	{ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ . . . }	
135	31	{ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ . . . }	الرعد
18	38	{ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا . . . }	
26	11	{ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ . . . }	إبراهيم
113	28	{ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ . . . }	الحجر
53	51	{ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ . . . }	
137	56	{قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ . . . }	
55	61	{ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ . . . }	
59	67	{ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ . . . }	
59	68	{ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ . . . }	
57	70	{ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ . . . }	
59	71	{ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ . . . }	
63	78	{ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ . . . }	
180	88	{ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا . . . }	
49	123	{ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا . . . }	النحل
164	124	{ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ . . .}	
186	127	{ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ . . . }	
121	3	{ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا . . . }	الإسراء
68	55	{ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ . . .}	
43	57	{أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ . . . }	
21	94	{ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ . . .}	

الكهف	{ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ . . . }	6	180
	{ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ . . . }	24	105
	{ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا . . . }	75	39
	{وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ . . . }	82	28
	{قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ . ..}	110	26
طه	{ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي . . .}	31	37
	{ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ . . . }	39	46
	{ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي . . . }	41	46
	{ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ . . .}	65	44
	{ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ . . . }	67	42
	{ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ . . .}	68	44
	{ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ . . . }	85	87
	{ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا . . . }	86	85
	{ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي . . . }	93	92
	{ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓ . . . }	94	94
	{ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ . . . }	115	114
	{ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ . . . }	118	117
	{ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا . . .}	121	117
	{ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ . . .}	131	116
الأنبياء	{ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ . . . }	8	18
	{ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ . . .}	58	49

	{ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ . . . }	60	75
	{ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ . . .}	68	49
	{وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ . . . }	74	55
	{ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا . . . }	79	96
	{ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ . . . }	87	105
	{ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّ . . .}	88	93
الحج	{وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ . . . }	78	54
المؤمنون	{ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ . . .}	34	29
النور	{ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا . . . }	115	115
الفرقان	{ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ . . . }	7	21
	{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ . . . }	20	18
الشعراء	{ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ . . . }	3	181
	{ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ . . . }	60	76
	{ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ . . . }	62	76
	{ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ . . . }	79	19
	{ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ . . . }	157	109
	{ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ . . . }	165	56
	{ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ . . . }	167	56
النمل	{ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ . . . }	9	42
	{ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗا . . . }	15	63
	{ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ . ..}	16	96
	{ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ . . . }	17	96
	{ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ . . . }	18	48

	{ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ . . . }	19	149
	{ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ . . . }	20	98
	{ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ . . . }	21	102
	{ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ . . . }	35	98
	{ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ . . . }	36	99
	{ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا . . . }	37	98
	{ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ . . . }	56	62
	{ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ . . . }	70	173
القصص	{ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا . . . }	15	35
	{ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ . . . }	18	28، 39
	{ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي . . . }	21	52، 53
	{ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ . . . }	23	76
	{ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ . . . }	25	76
	{ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ . . . }	26	28
	{ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ . . . }	31	49
يس	{ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ . . . }	75	171
الصافات	{وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ . . . }	77	56
	{ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ . . . }	97	79
	{ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ . . . }	139	94
	{ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ . . . }	142	95
	{ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ . . . }	143	127
	{ فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ . . . }	145	132
	{ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ . . . }	147	92

العنكبوت	{ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا . . . }	2	149
	{ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ . . . }	14	121
	{ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ . . . }	23	137
	{ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ . . . }	26	54
	{ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ . . . }	33	58
السجدة	{ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ . . . }	16	35
الأحزاب	{ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ . . . }	7	39
	{ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ . . . }	21	25
	{ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ . . . }	90	66
فاطر	{ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا . . . }	8	62
	{ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ . . . }	34	166
ص	{ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِ . . . }	17	68
	{ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ . . . }	20	62
	{ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ . . . }	21	64
	{إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ . . .}	22	64
	{ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِه . . . }	24	36
	{ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ . . . }	25	28
	{ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ . . . }	30	96
	{ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا . . . }	35	120
	{ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ . . . }	36	96
الزمر	{ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞ . . . }	16	44
	{ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ . . . }	30	27
	{ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ . . . }	56	110
فصلت	{ لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ . . . }	49	137

الشورى	{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا . . . }	13	39
	{وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ . . .}	37	105
الأحقاف	{ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ . . . }	35	39
الحجرات	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ . . .}	6	110
	{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ . . . }	13	158
الذاريات	{ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ . . .}	21	1
	{ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ . . . }	24	50
	{ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا . . . }	25	56
	{ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ . . . }	28	41
	{ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ . . . }	50	37
الطور	{ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا . . . }	48	37
النجم	{ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ . . . }	32	27
	{ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ . . . }	43	182
القمر	{ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا . . . }	9	122
	{ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ . . . }	24	29
	{ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ . . . }	37	65
التحريم	{ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ . . .}	10	56
القلم	{ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ . . . }	48	94
نوح	{ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا . . . }	5	123
المدثر	{ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . . . }	22	158
عبس	{ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ . . . }	1	31
	{ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ . . . }	3	156
البروج	{قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ . . .}	4	81
الأعلى	{سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ . . .}	6	29

49	19	{ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ . . . }	
127	16	{ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ. . . }	الفجر

فهرس الأحاديث

الرقم	طرف الحديث	المصدر	الصفحة
1	أترى بما أقول بأساً	الترمذي المستدرك	162
2	إذا رأيت أمتي تهاب	المستدرك	38
3	إذا غضب أحدكم وهو قائم. . .	أبو داود مسند أحمد	106
4	ألا وإن الغضب جمرة في القلب	الترمذي	82
5	اللهم أنجز لي ما وعدتني	مسلم	45
6	اللهم إنما أنا بشر	مسلم	104
7	أنزل[عبس وتولى] في ابن أم مكتوم الأعمى	الترمذي	161
8	إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً	الترمذي	96
9	إن داود النبي عليه السلام	البخاري	63
10	إن ربي قد غضب اليوم	البخاري	84
11	إن العين تدمع, والقلب يحزن	البخاري	168
12	إني لأعلم كلمة لو قالها	البخاري	105
13	أو ما علمت ما شارطت عليه ربي	مسلم	104
14	تدمع العين ويحزن القلب	مسلم	168
15	حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم	البخاري	76
16	خرج الرسول على أصحابه وهم يختصمون	ابن ماجه مسند أحمد	80
17	دعوة ذي النون إذ دعا	الترمذي	134

18	عرض عليّ الأنبياء	مسلم	48
19	فحجّ آدم موسى	البخاري و مسلم	114
20	فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح	البخاري	121
21	فيقول بعض الناس: أبوكم آدم	البخاري	113
22	قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل	البخاري	78
23	كان ينفخ على إبراهيم	البخاري	76
24	الكريم ابن الكريم ابن الكريم	البخاري	66
25	كل بني آدم خطّاء	الترمذي	131
26	لما خلق الله آدم	الترمذي	63
27	ليس الخبر كالمعاينة	مسند أحمد	31
28	ما رأيت أحداً أكثر تبسماً	الترمذي	164
29	ما ينبغي لعبد أن يقول أنا	البخاري	92
30	الندم توبة	ابن ماجه	133
31	نعم معلم مكلم	مسند أحمد المستدرك	113
32	ولا أقول إن أحدا أفضل	البخاري	172
33	وهل من نبي إلا وقد رماها	البخاري	20
34	لا تغضب	البخاري الترمذي مسند أحمد	84
35	لا طلاق ولا عتاق	أبو داود ابن ماجه	102

101	البخاري	لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان	36
63	البخاري مسلم	يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً	37
19	مسلم	يا أم سليم أما تعلمين أن شرطي	38
59	البخاري الترمذي	يرحم الله لوطاً	39
91	مسند أحمد المستدرك	يرحم الله موسى	40

فهرس الأعلام

52	محمد بن أحمد القرطبي	26
52	محمد جمال الدين بن محمد	27
51	محمد رشيد رضا	28
43	محمد الطاهر بن عاشور	29
106	محمد بن عبد الرؤوف (المناوي)	30
102	محمد بن عبد الله بن محمد (ابن العربي)	31
63	محمد بن عمر (الفخر الرازي)	32
87	محمد بن محمد بن مصطفى (أبو السعود)	33
137	محمد بن يوسف الأندلسي (أبو حيان)	34
52	محمود بن عبد الله (الآلوسي)	35
109	محمود بن عمر (الزمخشري)	36

قائمة المصادر والمراجع

أولاً :الكتب باللغة العربية :

ابن الأثير, علي بن محمد الجزري: **أُسد الغابة في تمييز الصحابة.** 5مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 1989 .

ابن الجزري, أبو الخير بن محمد الدمشقي: **النشر في القراءات العشر.**2مج. أشرف على تصحيحه: علي محمد الصبّاغ. بلا طبعة. بيروت: دار الكتب العلمي. بلا تاريخ.

ابن الجوزي, أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: **زاد المسير في علم التفسير.** 8مج حققه: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله وخرج أحاديثه السعيد زغلول. ط:2. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 1978 .

ابن العربي, أبو بكر محمد بن عبد الله : **أحكام القران** . 4مج . تحقيق : علي محمد البجاوي. بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة, دار الجيل. 1987.

ابن العماد الحنبلي, أبو الفلاح عبد الحي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب.** 4مج. بلا طبعة. بيروت: منشورات دار الأفاق الجديدة. بلا تاريخ.

ابن القيم, محمد بن أبي بكر: **إعلام الموقعين عن رب العالمين.**4مج. راجعه وعلّق عليه: طه عبد الرؤوف.بلا طبعة. بيروت: دار الجيل للنشر والتوزيع. بلا تاريخ.

ابن تيمية, أحمد بن عبد الحليم: **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية .** 37مج . جمع وترتيب:عبد الرحمن بن محمد النجدي. ط:1. بيروت: مطابع دار العربية 1398هـ .

ابن حجر, أحمد بن علي بن محمد: **الإصابة في تمييز الصحابة.** 4مج. بلا طبعة . بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ .

ابن حزم, أبو محمد علي بن أحمد: **الفِصل في الملل والأهواء والنحل**. 5مج. تحقيــق: محمــد نصر , د. عبد الرحمن عميرة. بلا طبعة. بيروت: دار الجيل. 1985

ابن حنبل, أحمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامــشه كنــز العمــال فــي ســنن الأقــوال والأعمال**.ط:2. بيروت: المكتب الإسلامي. 1978

ابن خلكان, أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر: **وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان**. 8مج. حققه: د. إحسان عباس. بلا طبعة. بيروت: دار صادر. بلا تاريخ

ابن رجب, عبد الرحمن بن أحمد: **جامع العلوم والحكم**. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للطباعــة والنشر. بلا تاريخ.

ابن عاشور, محمد الطاهر: **التحرير والتنوير** . 12مج . بلا طبعة . تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع. بلا تاريخ.

ابن عبد الهادي, أبو عبد الله محمد بن احمد: **العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية.** حققه: محمد حامد الفقي. بلا طبعة. بيروت: دار اكتب العلمية. بلا تاريخ.

ابن عثيمين, محمد بن صالح: **شرح رياض الصالحين**. 4مج. بــلا طبعــة. القــاهرة: مكتبــة الإيمان. بلا تاريخ.

ابن فارس, أبو الحسين أحمد بن فارس: **معجم مقاييس اللغة.** 6مج. تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون. ط:2. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مــصطفى البــابي الحلبــي وأولاده. 1971.

ابن كثير, إسماعيل بن عمر: **البداية والنهاية**.7 مج. تحقيق: أحمد فيــتح. ط:6. القــاهرة دار الحديث. 2002.

ابن ماجه, أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: **سنن ابن ماجه** . حكم على أحاديثه الألبـــاني اعتنى به مشهور آل سلمان:ط:1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. بلا تاريخ.

ابن منظور, جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب.** 15مج. بلا طبعة. بيروت: دار صادر. بلا تاريخ.

أبو السعود, محمد بن محمد بن مصطفى: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.** 6مج. وضع حواشيه :عبد اللطيف عبد الرحمن.ط:1.بيروت:دار الكتاب العربي. 1999.

أبو حجلة, عماد الدين بن أحمد: **النجوم اللامعة في ثقافة المسلم الجامعة.** ط:1. عمّـــان: دار الرازي. 1999

أبو حيّان, محمد بن يوسف: **تفسير البحر المحيط.** 8مج. دراسة وتحقيق: عادل عبد الموجـــود وآخرون. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1993.

أبو داود, سليمان بن الأشعث: **سنن أبي داود.** حكم على أحاديثه: الألباني. اعتنى به : مـــشهور آل سلمان. ط:1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. بلا تاريخ

أبو صفيّه, عبد الوهاب بن رشيد: **شرح الأربعين النووية في ثوب جديـــد.** ط:2. عمـــان: دار البشير للنشر والتوزيع. 1993

أبو عزيز, سعد يوسف: **صحيح وصايا الرسول** ﷺ. 3مج. بـــلا طبعـــة . القـــاهرة: المكتبـــة التوفيقية. بلا تاريخ.

الأسنوي, جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن: **نهاية السول في شرح منهاج الأصول** 4مج. بلا طبعة . بيروت: عالم الكتب. بلا تاريخ.

الأشقر, د. عمر سليمان: **الرسل والرسالات.** ط:8. عمّـــان: دار النفـــائس للنـــشر والتوزيـــع. 1999م .

إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان . اعتنى بتصحيحه: محمد عفيفي. ط:2. بيروت, الرياض: المكتب الإسلامي, مكتبة فرقد الخاني 1988.

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان . بلا طبعة . بيروت : المكتبة الثقافية. 1989.

الألباني, محمد ناصر الدين: **صحيح الجامع الصغير وزيادته.** 3مج . ط :3. بيروت, دمشق: المكتب الإسلامي. 1982.

الآلوسي, شهاب الدين السيد محمود: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني,**15مج, بلا طبعة.بيروت: دار إحياء التراث العربي. بلا تاريخ .

الآمدي**,** أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد: **الإحكام في أصول الأحكام.** 2مج.بلا طبعة**.** القاهرة: دار الحديث. بلا تاريخ .

الأميري , أحمد البراء : **فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم** . ط : 1. دمشق: دار القلم. 2000 .

أندروز, ت.ج : **مناهج البحث في علم النفس .** 2مج . ترجمة : د. يوسف مراد . بلا طبعة. القاهرة: دار المعارف. طبعة 1961

الأنصاري , عبد العلي محمد بن نظام الدين : **فواتح الرحموت** . بهامش المستصفى من من علم الأصول .2 مج . ط : 2 . بيروت : دار الكتب العلمية . بلا تاريخ .

الآيديني, محمد بن عالم: **تفسير الدعوات المباركات من القرآن العظيم.** حققه وعلق عليه : محمد علي الصابوني. ط:1. دمشق: دار القلم . 1985 .

البخاري, محمد بن إسماعيل: **الجامع الصحيح المسند(صحيح البخاري).**3مج. بتبويب وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي. ط:1. القاهرة: مكتبة الصفا. 2003.

البستاني, بطرس: **قطر المحيط .** 2مج. بلا طبعة. بيروت: مكتبة لبنان. بلا تاريخ .

البغدادي, أحمد بن علي: **تاريخ بغداد .** 14مج. بلا طبعة. المدينة المنورة: المكتبة السلفية. بـــلا تاريخ .

البقاعي, أبو الحسن إبراهيم بن عمر: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.** 8مج . خرجّ آياته ووضع حواشيه :عبد الرزاق المهدي . ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1995.

بني يونس, د. محمد محمود: **سيكولوجية الدافعية والانفعالات** . ط:1. عمّـــان: دار المـــسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. 2007

الترمذي, محمد بن عيسى بن سورة: **سنن الترمذي**. حكم على أحاديثه الألباني. اعتنـــى بـــه: مشهور آل سلمان. ط:1, الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. بلا تاريخ .

تفسير القرآن العظيم . 7مج. ط :2. بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر. 1970 .

التفسير القيم. حققه محمد حامد الفقي. بلا طبعة. بيروت: دار الكتب العلمية . بلا تاريخ.

تقريب التهذيب. 2مج . حققه وعلّق عليه : عبد الوهاب عبد اللطيـــف . ط :2. بيـــروت: دار المعرفة. 1975 .

الثعالبي, أبو زيد عبد الرحمن بن محمد: **الجواهر الحسان في تفسير القرآن .** 4مج. بلا طبعة. بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بلا تاريخ .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن. 10مج. تحقيق : أحمد البكري وآخـــرين.ط:2. القـــاهرة. دار السلام للطباعة والنشر. 2007

الجزائري , أبو بكر جابر : **أيسر التفاسير لكلام العلي القدير** . 4مج . ط : 2 .جدّة : راســـم للدعاية والإعلان . 1987 .

جلاء الإفهام في الصـــــلاة والـــــسلام على خير الأنام . بلا طبعة. القاهرة: مكتبة المتنبـــي. بلا تاريخ.

الجمل, سليمان بن عمر العجلي: **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية.** 4مج. بلا طبعة. بيروت.: دار الفكر للطباعة والنشر . بلا تاريخ .

الجوهري, إسماعيل بن حماد: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.** 7مج. تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار. ط:2. بيروت:دار العلم للملايين. 1979.

الحاكم, أبو عبد الله محمد بن عبد الله: **المستدرك على الصحيحين وبذيليه التلخيص.** 5مج. إشراف د. يوسف المرعشلي. بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة. بلا تاريخ.

حجازي, محمد محمود: **التفسير الواضح.** 3مج . ط : 6 . القاهرة : مطبعة الاستقلال الكبرى . 1969 .

حلّاق, محمد صبحي: **رجال تفسير الطبري جرحاً وتعديلاً.** ط:1. بيروت: دار ابن حزم 1999.

الحموي , ياقوت بن عبد الله : **معجم البلدان .** 5 مج . بلا طبعة . بيروت : دار إحياء التراث العربي . بلا تاريخ.

حوّى, سعيد: **الأساس في التفسير.** 11مج. ط:1. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.1985

الخالدي, د. صلاح: **سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد.** ط:1. بيروت, دمشق: الدار الشامية, دار القلم. 1991.

الخطيب, عبد الكريم: **التفسير القرآني للقرآن.** 15مج. بلا طبعة. بيروت :دار الفكر. بلا تاريخ

دبابنة, د. ميشيل: **سيكولوجية الطفولة.** بلا طبعة. عمّان: دار المستقبل للنشر والتوزيع. 1984

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. 4مج. بلا طبعة. بيروت: دار الجيل. بلا تاريخ.

دروزة, محمد عزة : **التفسير الحديث** . 3مج . بلا طبعة . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه. 1926

الدميري, محمد بن موسى بن عيسى: **حياة الحيوان الكبرى** . 2مج . اعتنى بتصحيحه: عبـد اللطيف سامر بيتيه. ط:3. بيروت: دار حياء التراث العربي ومؤسسة التـاريخ العربـي. 1999.

الذّهبي, محمد بن أحمد: **سير أعلام النبلاء.** 25 مج. حققه بشّار عواد, ومحي الـسرحان ط:8. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1992.

راجح, د. أحمد عزت : **أصول علم النفس** . ط : 10. الإسكندرية: المكتب المصري الحـديث للنشر والتوزيع. 1982.

الرازي, فخر الدين محمد بن عمر: **مفاتيح الغيب** . 16مج . ط:1. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. 1981

الرازي, محمـــد بن أبي بكر بن عبد القادر: **مختار الـصحاح.** ط:1. بيـروت. دار الكتـاب العربي. 1979

الراغب الأصفهاني , أبو القاسم الحسين بن محمد : **المفردات في غريب القـرآن .** راجعـه: وائل أحمد عبد الرحمن . بلا طبعة . القاهرة : المكتبة التوفيقية. بلا تاريخ .

رضا, محمد رشيد: **تفسير القرآن الحكيم** . 12مج. ط:2. بيروت:دار الفكر. بلا تاريخ

زاد المعاد في هدي خير العباد. 6مج. حقق نـصوصه: شـعيب الأرنـؤوط و عبـد القـادر الأرنؤوط. ط:3. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1998.

الزبيدي, محمد مرتضى: **تاج العروس من جواهر القاموس.** 10مج . ط:1. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة. 1306هـ

الزحيلي, أ.د. وهبة : **التفسير المنير في العقيـدة والـشريعة والمـنهج** . 15مـج . ط :1. بيروت, دمشق: دار الفكر المعاصر, دار الفكر. 1998

الزر كلي, خير الدين: **الأعلام** . 8مج . ط :6. بيروت : دار العلم للملايين . 1984

الزمخشري, محمود بن عمر: **أساس البلاغة**. تحقيق عبد الرحيم محمود . بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر. بلا تاريخ.

زين العابدين, محمد سرور: **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله**. 2مج. ط:3. لندن. دار الأرقم للنشر والتوزيع. 1988

سابق, السيد: **العقائد الإسلامية** . ط :2. بيروت : دار الفكر. 1982 .

السعدي, عبد الرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. 2مج. ط:1. فلسطين: مطبعة النور. 1997

سلطان, ناظم محمد: **قواعد وفوائد من الأربعين النووية**.ط:5. الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع. 1997

السيوطي, عبد الرحمن بن أبي بكر: **طبقات الحفاظ**. ط:2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1994

شرح العقيدة الوسطية. خرج أحاديثه احمد بن علي.ط:1. القاهرة: دار ابن الهيثم . 2002.

الشعراوي, محمد متولي: **تفسير الشعراوي**. 18مج. بلا طبعة. القاهرة. أخبار اليوم. بلا تاريخ.

الشنتناوي, أحمد وآخرون: **دائرة المعارف الإسلامية**. 15مج. بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة. بلا تاريخ.

الشوكاني, محمد بن علي: **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول** . 2مج . تحقيق وتعليق: د. شعبان محمد إسماعيل. ط:1. القاهرة: دار الكتبي. 1991

الصابوني, محمد علي : **النبوة والأنبياء** . ط :1. القاهرة : دار الحديث . 1986 .

صحيح مسلم بشرح النووي. 9مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 1983.

الصوّاف, محمد محمود : **فاتحة القرآن وجزء عم الخاتم للقرآن تفسير وبيان** . ط:1.جدة: دار العلم للطباعة والنشر. 1985

طاش كبرى زاده , أحمد بن مصطفى : **مفتاح دار السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**. 4مج. مراجعة وتحقيق : كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور بلا طبعة. القاهرة: دار الكتب الحديثة. بلا تاريخ .

طبّارة, عفيف عبد الفتاح: **مع الأنبياء في القرآن الكريم** . ط :22. بيروت : دار العلم للملايين. 2003

الطبرسي, الفضل بن الحسن: **مجمع البيان في تفسير القرآن**.6مج. بلا طبعة. بيروت: دار مكتبة الحياة. 1961

الطبري, محمد بن جرير: **تاريخ الأمم والملوك** . 6مج . بلا طبعة . بيروت:دار الفكر. .1979

الطنطاوي, علي : **تعريف عام بدين الإسلام** . بلا طبعة . بيروت : مؤسسة الرسالة . 1981

عباس, د. فضل حسن: **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**. ط:1. عمان: دار الفرقان. 1987.

عبد الخالق, عبد الغني : **حجيّة السنّة** . ط:1. بيروت : دار القرآن الكريم . 1986

العزي, عبد المنعم صالح بن علي: **تهذيب مدارك السالكين** . بلا طبعة . دبي : مكتبة كاظم. بلا تاريخ.

العلي, إبراهيم محمد: **الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء**. ط:1. دمشق , بيروت: الدار الشامية دار القلم. 1995.

الغزالي, محمد بن محمد : **إحياء علوم الدين**. 5مج. ط:4. بيروت: دار الكتب العلمية. .2005

فائز, أحمد: **طريق الدعوة في ظلال القرآن**. 2مج. بلا طبعة . بيروت:مؤسسة الرسالة. 1981.

الفائق في غريب الحديث. 4مج. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمود البجاوي. ط:2. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 1979 .

فتح الباري شرح صحيح البخاري. 13مج. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي . قام بإخراجه محب الدين الخطيب . بلا طبعة . بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر. بلا تاريخ .

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير 5مج. بلا طبعة **.** بيروت: دار المعرفة. بلا تاريخ**.**

الفراهيدي, أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد : **كتاب العين** .ط:1. بيروت : دار إحياء التراث العربي. 2001.

في ظلال القرآن.6مج. ط:17. بيروت, القاهرة: دار الشروق. 1992.

الفيروز آبادي, محمد بن يعقوب : **القاموس المحيط** . 4مج . بلا طبعة . بيروت: دار الجيل. بلا تاريخ.

القاسمي, محمد جمال الدين : **محاسن التأويل**. 10مج . رقّمه وخرّج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. بلا طبعة. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. بلا تاريخ.

القاضي عياض, عياض بن موسى اليحصبي : **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** .2مج . تحقيق: محمد أمين قرة علي وآخرين. ط:2. بيروت: مؤسسة علوم القرآن, دار الفيحاء. 1986.

القاضي,عبد الفتاح : **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة** .ط:1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1981 .

القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد : **الجامع لأحكام القرآن** . 22مج . بلا طبعة . بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ.

القشيري,عبد الكريم بن هوازن : **الرسالة القشيرية في علم التصوف**. تحقيق : معروف زريق وعلي بلطجي. ط: بيروت: دار الخير. 1991

قصص الأنبياء . ط:1. كانو: مكتبة أبو بكر أيوب. 2001.

قطب, سيد : **التصوير الفني في القرآن** . ط :4 . بيروت : دار الشروق . 1978.

قطب, محمد: **منهج التربية الإسلامية.** ط:2. بيروت, القاهرة: دار الشروق. بلا تاريخ.

القوصي, عبد العزيز: **علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية** . ط:8. القاهرة: مكتبة النهضة العصرية.

كحّالة, عمر رضا: **معجم المؤلفين.** 8مج. بلا طبعة. بيروت: مكتبة المتنبي, دار إحياء التراث. بلا تاريخ.

الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. 4مج. حققه: محمد الصادق قمحاوي. بلا طبعة. القاهرة: شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. 1972

لطائف الإشارات. 3مج. علّق عليه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن.ط:1 .بيروت:دار الكتب العلمية.2000.

الماوردي, علي بن محمد بن حسين: **أدب الدنيا والدين**.ط:1. القاهرة: جنّة الأفكار. 2006.

مخلوف , محمد بن محمد : **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية.** بلا طبعة . بيروت: دار الكتاب العربي. بلا تاريخ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين . 3مج. تحقيق : محمد حامد الفقي. ط:2. بيروت دار الكتاب العربي. 1972.

مسلم, مسلم بن الحجاج القشيري: **صحيح مسلم**. 5مج. رقمه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي.بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للنشر والتوزيع.طبعة 1983 .

مصطفى, إبراهيم وآخرون : **المعجم الوسيط**. بلا طبعة. القاهرة: مجمع اللغة العربية. بلا تاريخ.

مع قصص السابقين في القرآن . ط : 4. دمشق : دار القلم. 2004

معالم في الطريق. بلا طبعة. بيروت: دار الشروق. بلا تاريخ.

مغنية, محمد جواد : **التفسير الكاشف** . ط :2. بيروت : دار العلم لملايين . 1980.

المناوي, محمد عبد الرؤوف: **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**. 6مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. بلا تاريخ.

مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه . ط : 1. دمشق : دار القلم . 2003.

الميداني, عبد الرحمن حسن حبنّكة : **معارج التفكر ودقائق التدبر** . 15مج . ط :1. دمشق: دار القلم. 2002.

النسفي, أبو البركات عبد الله بن أحمد : **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** .2مج . بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر . بلا تاريخ.

النهاية في غريب الحديث. 5مج . تحقيق: محمود الطناجي. بلا طبعة. بيروت:المكتبة الإسلامية. بلا تاريخ .

نوفل, د. أحمد : **سورة يوسف دراسة تحليلية .** ط :1. عمان : دار الفرقان للنشر والتوزيع. 1989مـ.

النووي, يحيى بن شرف: **رياض الصالحين**. حقّقه : حسّان عبد المنان ط: 3. عمان : المكتبة الإسلامية, مكتبة برهومة. 1413هـ .

النيسابوري, الحسن بن محمد القمي: **غرائب القرآن ورغائب الفرقان.** 12مج. تحقيق إبـــراهيم عطوة عوض. ط:1. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. 1965.

هياجنة, د. محمود سليم محمد: **الصورة النفسية في القرآن الكريم** . ط:1. عمان, اربد: جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع, عالم الكتب للنشر والتوزيع. 2008.

الهيتمي, أبو العباس محمد بن أحمد بن حجر : **الزواجر عن اقتراف الكبائر** . 2مج بلا طبعـــة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. طبعة 1983.

الهيثمي, علي بن أبي بكر: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.** 10مج. ط :2. بيروت: دار الكتـــاب العربي. 1967.

ثانياً: المقالات:

مقال على الانترنت للكاتب محمـــد أحمد إبراهيم ســــــعفان , بعنوان :" مقياس الشعور بالذنب".

http://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=egb63427-5063408&search=books

مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه, بعنوان: "الانفعالات " .

http://www.fo-z.com/vb/t4312.html

مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه, بعنوان: " فوائد من المجلات العربية " .

http://www.hayatnafs.com/faoaied-men-almajalat-alarabia/masha3er-althanb.htm

مقال على الانترنت للكاتب سيد يوسف, بعنوان: " المقياس النفسي للشعور بالذنب ".

http://www.aklaam.net/aqlam/show.php?id=1775

مقال على الانترنت للكاتب الدكتور فهد ناصر المطوع, بعنوان: "اليأس".

http://bafree.net/forums/showthread.php?t=19745

مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه, بعنوان: " مقاومة اليأس ".

http://www.hawhome.com/vb/t85510.htmi

مقال على الانترنت بعنوان استشارات: "لماذا يأتي على بعض الناس أحوال يحبون فيها الحزن؟.

http://www.islamweb.net/ver2/istisharat/details2.php?reqid=274294

مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه, بعنوان " الاكتئاب " .

http://ar.wikipedia.org/wiki

مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه, بعنوان:" الكآبة... مرض العصر.

http://www.albawaba.com/ar/health,Mental_ Wellbeing/270990

مقال على الإنترنت غير مذكور اسم كاتبه, بعنوان : الابتسامة " ألوان وأنواع ومعان".

http://arb2.maktoob.com/vb/arb181605

An- Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Affective Emotion of Prophets in the Holy Quran

by
Ibrahim A.Mohammed Mustafa

Advisors
Dr. Odeh Abdallah and Dr. Rasmiyah Abedelqader

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Usool e-Deen , Faculty of Graduate Studies, at An- Najah National University, Nablus, Palestine.

2009

Affective Emotion of Prophets in the Holy Quran

By
Ibrahim A. Mohammed Mustafa
Advisors
Dr. Odeh Abdallah & Dr. Rasmiyah Abedelqader

Abstract

Prophets, may peace be upon them, are considered examples or models for people to follow and imitate. They are the beacons of guidance and lights in times of darkness. Their sayings and traditions and good deeds are sources of inspiration for people. In their missions, the prophets had faced a lot of events which aroused their feelings and emotions All these together had left their marks on their course of life. The prophets' unpleasant strong emotions included anger, fear, repentance, despair and anxiety. This study sought to understand these affective emotions from a Qur'anic perspective, and diagnose the personalities of the prophets through these agitations. Further, the study aimed at identifying the extent of these prophets' infallibility and the educational values which we can draw from these incidents of emotions.

The study began with a definition of affective emotions according to psychologists and religious scholars. Then it provided a classification of these emotions. It also dwelt on the human side of the prophets as well as their infallibility. The study emphasized that the emotions which the prophets had experienced did not affect their infallibility in their conveyance of the divine message. After that, the study moved to detail the most outstanding emotions which the prophets had experienced. Of these, the study highlighted the emotion of fear and its psychological significance. The researcher, in this regard, introduced the scenes which illustrated this emotion of the prophets. The researcher then provided a discussion of the

most important educational values we can learn from these emotional scenes.

The study also tackled other unpleasant emotions which the prophets had lived. These included anger, repentance, despair, smiling, grimness and sadness. The researcher also showed the psychological significance of these emotions and their Qur'anic scenes. This was in addition to the positive educational values of these emotions.